الدوحة



كلمة

من أجل العرب جميعا لا من أجل الخليج فقط

فى نهاية هذا الشهر ينعقد مؤتمر قمة دول الخليج ، وسوف يكون هذا الاجتماع بداية مرحلة جديدة فى مجال « التعاون الخليجى » ، تنطلق بعدها فكرة هذا التعاون بالخروج الى نطاق الواقع التطبيقى المباشر .

والحقيقة ان « التعاون الخليجى » هو خطوة لتحقيق مزيد من المصلحة المشتركة لابناء الخليج ، ولكنه فى نفس الوقت خطوة كبيرة من اجل تحقيق المصلحة العربية المشتركة .

فالتعاون الخليجى ليس من اجل الخليج فقط ... ولكن من اجل العرب جميعا .

إن الواقع السياسى العالمى يؤكد يوما بعد يوم ، ان « منطقة الخليج » قد اصبحت من اخطر مناطق العالم تاثيرا وقوة ، وخاصة بعد الموقف الخليجى الصامد فى حرب ١٩٧٣ ، ومن اجل هذا كله فان اعداءنا ، وعلى رأسهم اسرائيل والحركة الصهيونية من ورائها ، إنما يعملون بصورة دائمة على محاربة دول الخليج فى كل ميدان وفى كل مجال ، فالاعلام الغربى الخاضع لتاثير الصهيونية ،لا يكف عن إطلاق التهم الصغيرة والكبيرة ضد الدول البترولية ودول الخليج على وجه الخصوص وعلى رأس هذه الاتهامات أن دول الخليج ، وغيرها من دول البترول هى مصدر « الأزمة الاقتصادية العالمية » ، بسبب الارتفاع فى أسعار البترول ، بالاضافة إلى اتهامات اخرى ، اصغر او اكبر ... والحقيقة وراء مثل هذه الاتهامات ان « الخليج » قد اصبح قوة حقيقية مؤثرة بالنسبة للأمة العربية كلها ، إنه يساهم بنصيب واسع فى مسئولية النهوض الحضارى ، وفى مسئولية المواجهة ضد الصهيونية ، وفى مسئولية العمل على توحيد الصفوف العربية ، وإنهاء الخلافات بين الأشقاء ، وفى تحمل مسئولية التنمية والاستثمار ، لمواجهة مشاكل الحاضر والمستقبل ، كل هذه « المواقف الخليجية » انتهت فى اخر الامر الى ان يصبح الخليج قوة مؤثرة بالنسبة للحاضر العربى والمستقبل العربى معا ، وهذا هو السر الرئيسى وراء الحملات المليئة بالافتراء والتشويه والتشويش ضد الخليج .

وفى هذه الظروف التى تمر بها الامة العربية ، يكون التعاون الخليجى خطوة كبرى فى مسيرة الأمة العربية ، نحو التخلص من مشاكلها ومصاعب حياتها ومواجهة اعدائها مواجهة حاسمة .

إن القمة الخليجية وما سوف يتبعها من خطوات على طريق التعاون سوف ينعكس اثرها بوضوح ـ لصالح العرب والمسلمين جميعا ـ على هذه المشكلات :

١ ـ موقف اسرائيل المتصلب من القضية الفلسطينية .

٢ ـ المقاومة الفلسطينية وجهادها الشريف من اجل إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة .

٣ ـ الأزمة اللبنانية وما يعانيه شعب لبنان من الام انتهت بمقتل ٦٠ الف لبنانى خلال ما يقرب من ست سنوات ، بمعدل عشرة الاف قتيل كل عام .

٤ ـ مشاكل التنمية فى البلاد العربية والاسلامية الفقيرة .

٥ ـ أزمة افغانستان المسلمة المحتلة بقوات اجنبية .

وفوق ذلك كله ، فسوف يكون للقمة الخليجية ، وما يتبعها من خطوات فى مجال التعاون الخليجى اكبر الأثر على تحقيق الصورة السليمة لامن الخليج ، بقوة ذاتية للخليج نفسه ، وبدون السماح باى تدخل خارجى .

بقيت كلمة عن دور قطر ، حيث كانت قطر دائما فى مقدمة الصف فى مجال التعاون الخليجى مع إخوتها واشقائها ، وسوف تواصل الطريق من اجل الخليج .. ومن اجل العرب جميعا .

صوت عربي من الولايات المتحدة:

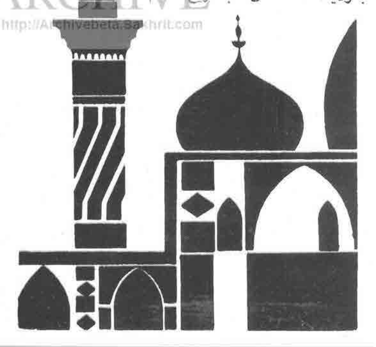
صورة الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسية الأمريكية

د. إياد القزاز

هذا البحث قدمه الدكتور إياد القزاز من جامعة كليفورنيا الى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى جامعة «البرتا» بأمريكا الشمالية فى الفترة من ٢٩ الى ٣١ مايو ١٩٨٠ ، وقد كان البحث فى صورة ورقة عمل تلقي الضوء على صورة الاسلام فى مقررات المدارس الثانوية بالولايات المتحدة فى كتب تاريخ العالم والعلوم الاجتماعية ، وتقدم الحلول التى نستطيع عن طريقها أن نصحح صورة الاسلام فى أذهان الطلاب الذين يتلقون كمية غريبة من المعلومات المشوهة والبعيدة كل البعد عن طبيعة الاسلام وعقيدته الراسخة فى قلوب ملايين المسلمين فى العالم كله ..

التصورات هى مجموعة الصور التى يكونها شخص ما عن آخر ، أو مجموعة ما عن اخرى . ولمحتواها أثر بعيد فى صاحبها فى تعامله وردود فعله تجاه الآخرين . فهى تشكل مواقفه سلباً وايجاباً ، وحياداً ، وانصرافاً عن الاهتمام . ولذا يهتم دارس السلوك الانسانى اهتماماً كبيراً بتقصى ودراسة المصادر التى يستقى منها الناس تصوراتهم عن الآخرين .

وقد أجمع علماء الاجتماع والسلوك على أن التجربة التى يمر بها الانسان فى المدرسة تشكل مصدراً أساسياً فى تكوين تصوراته عن الآخرين . فالمدرسة كمؤسسة تأتى فى المكان الثانى مباشرة بعد العائلة من حيث تأثيرها الدائم والقوى . والواقع أن كل امريكى مولود فى هذا البلد يمر بتجربة هذه المؤسسة ، وكثيرون هم أولئك الذين يقضون الجزء الأكبر من يومهم بها . كما أن المدارس الابتدائية بوجه خاص تستقبل الأطفال



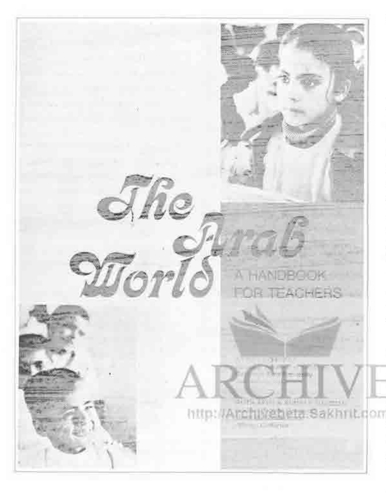
في سن مبكرة وقابلة للتاثر والتشبع العميق بما يلقى عليها .

دور الكتب الدراسية

والكتب الدراسية المقررة ركن أساسى فى النظام المدرسى . وهى عماد التعليم الرسمى فى كل المراحل المدرسية . وفى المراحل الابتدائية والثانوية يعتمد المعلمون اعتمادا شديدا على تلك المقررات كمصدر للمعرفة وكاداة رئيسية فى قيامهم بالتدريس .. سواء كان ذلك لعدم اكتمال تدريب المعلم او عدم اهتمامه او ضيق وقته . فالمدرس العادى فى المرحلة الابتدائية . كما يقول الدكتور جويس ، مطالب بان يحيط بجملة من المواضيع تشمل ادب الأطفال ومادة قراءتهم ، والرياضيات والعلوم . ولا يمكن بالطبع لكل معلم ان يكون خبيرا فى مجالات بكل هذا الاتساع ، ولذا فان مدرس الصف العادى يعتمد اعتمادا اشبه ما يكون كاملا على الكتب الدراسية المقررة وعلى المرشد الخاص بكل مادة .

ويضيف د. جويس ان المشكلة تتخذ شكلا اكثر حدة فى المرحلة الثانوية ، لان المدرس بها يعمل بين ما يقارب المائة وخمسين طالبا فى اليوم الواحد ، ولا يتسنى له من ثمة ان يفصل المادة لكل واحد منهم ، او حتى لكل صف ، الأمر الذى يضطره الى الاعتماد على المادة الجاهزة .. وهى المقررات .

فالكتب المقررة ، وخاصة تلك المتعلقة بالانسانيات والعلوم الاجتماعية ، هى المصدر الاول الذى يتزود منه الطالب بمواقفه ومعتقداته ومشاعره تجاه عالمه الخاص به . وتجاه من هم من بلدان اخرى ذات خلفيات مغايرة . فهى التى توفر للاطفال والمراهقين المعلومات الضرورية لمعرفة التاريخ الانسانى وثقافات العالم . وهى جزء لا غنى عنه فى عملية التعليم والتعلم .



البذرة الاولى للحصاد

وتشـــير الدراســـات الخاصــة بالسيكولوجية الاجتماعية المرتبطة بعملية التشكيل الاجتماعى الى ان المعرفة التى يتم تحصيلها فى المدرسة الابتدائية والمرحلة الثانوية ذات اثر عميق ودائم ، ويمكن ارجاع المواقف التى يتخذها البالغون تجاه مجموعات معينة الى ما استقوه من صور بالمدرسة . ولذلك نجد ان كل او معظم حكومات العالم تمارس قدرا كبيرا من السيطرة على المؤسسات التعليمية وخاصة المرحلتين الابتدائية والثانوية ، وتراهما اخطر من ان تتركا لرغبات وارادة الأفراد . ويمكن القول بان نوعية الحياة ومعدل ومدى التطور الاجتماعى والاقتصادى كلها يعتمد الى حد بعيد على ما تقدمه المدارس من تشكيل لتصورات التلاميذ ، وان الحكومات المختلفة تستخدم الكتب المقررة والمعلمين لبث المعرفة بين تلاميذ بلادها عن بلدهم كما عن الدول الأخرى ، وبالتالى فان المقررات وسيلة من وسائل بث تصورات سلبية عن الدول الاجنبية .

ويتم ذلك عن طريق الحذف (الاغفال) او الاضافة . والحذف هو عدم مناقشة المواضيع التى يمكن ان تسلط ضوءا ايجابيا عن الدولة او الامم المقرر دراستها . اما الاضافة فهى حشد معلومات ناقصة او مبتورة او عديمة الدقة ، او متحيزة او مغلوطة او غير ذات صلة مباشرة بالنص ، وذلك بقصد ايقاظ وبث تصورات سلبية ، او مشوهة عن الأمة او الأمم قيد النقاش .

ويمكن القول مع لوثر ايفانز بان الكتب المقررة والمعلمين هم البذرة الأولى لحصاد كبير من التفاهم الدولى والصداقة اذا تم تقديم الحقائق نوعا وحجما صحيحة .. او البذرة لحصاد من الحقد وسوء التفاهم والاحتقار بين الشعوب وطرق العيش المختلفة اذا قدمت الحقائق فى غير ما توازن ، ومغلوطة مشوهة .

وتظهر مشكلة التحيز والتشويه والحذف وسوء التقديم هذه أكثر ما تظهر فى المادة المقررة عن الاسلام . وقد اعترف العلماء بابعاد هذه المشكلة .. واظهرت دراسات عديدة ضرورة القيام بمراجعة كبيرة لتصحيح هذا الموقف .

ابعاد المشكلة

تستخدم هذه الورقة طريقة التحليل النوعى للمحتوى ، التى طورت فى العشرينات والثلاثينات من هذا القرن لدراسة وسائل الاعلام ، واستخدمت فى دراسة مواد أخرى منها الوثائق الشخصية والمقابلات والاختبارات وسجلات المرضى ، والكتب المقررة .

وقد أخذنا وحدة للتحليل فى هذه الدراسة هى فصول أو صفحات من كتب العلوم الاجتماعية وتاريخ العالم فى مقررات المدارس الثانوية ، والتى تناقش وتعرض الاسلام ، وتم التركيز على :

- الصور أو الخرائط .
- الصفحات التى تستخدم فى تقديم الاسلام .
- المعلومات الخاطئة أو المشوهة أو الفاقدة للدقة .
- المعلومات التى حذفت ، والتى كان يمكن أن تعطى صورة ايجابية عن الاسلام .

والكتب المختارة للتحليل كلها صادرة فى عام ١٩٧٥ او بعد ذلك التاريخ ، لأن الدراسات السابقة قد درست الكتب الصادرة قبل عام ١٩٧٥ .. وقمنا باجراء مقارنات ومقابلات مع تلك الدراسات السابقة للوقوف على الفرق بين محتويات الكتب الجديدة والقديمة ، ومعرفة مدى التغيير الذى طرأ مع مرور الزمن . والمشكلة التى قامت أمامنا فى



صورة الإسلام والمسلمين فى الكتب المدرسية الأمريكية

تلك المقارنة مشكلة فى اسلوب البحث ، إذ أن الدراسات السابقة لتحليل المقررات كانت قد تمت فى اطار أوسع هو دراسة صورة الشرق الأوسط أو العرب ، مما جعلها عامة ومقتضبة . ولن تتم مقارنتها من جانبنا إلا حين تتصل بموضوعنا .

وقد حددنا مدى انتشار واستخدام المقررات فى الأجزاء المختلفة من الولايات المتحدة على أساس قوائم الكتب التى جمعت من (ورش العمل) الخاصة بمعلمى المدارس الثانوية فى كاليفورنيا ونبراسكا وواشنطون دى سى فى عامى ١٩٧٩ و ١٩٨٠ . وكان قد طلب الى المعلمين فى ورش العمل تلك أن يضعوا قوائم باسماء كتب المقررات التى يستخدمونها أو أوصوا باستخدامها من قبل سلطات التعليم بالولاية أو المنطقة فى باب تدريس تاريخ العالم أو ما يتصل به .

والكتب التى تم مسحها وتحليلها فى هذه الدراسة هى تلك المذكورة فى كل القوائم التى اعدها المعلمون . وقد افترضنا أنها مستخدمة فى الولايات الأخرى بناء على أن المقررات كلها تطبع وتنشر من قبل شركات خاصة يهمها أن يتم التوزيع على المستوى القومى الأوسع ، وان الولايات المتجاورة تتبادل خبراتها ومن ثمة تؤثر على بعضها فى انتقاء الكتب المقررة ، كما اننا اتصلنا هاتفيا بعدد كبير من معلمى الثانويات فى ولايات الغرب ، والغرب الأوسط ، والمناطق الشرقية من الولايات المتحدة فاكدوا لنا انهم يستخدمون هذه الكتب المقررة فى ولاياتهم .

وقد قدمنا ما توصلت اليه هذه الدراسة تحت ثمانية عناوين رئيسية هى :

- تناول الاسلام بشكل عام .
- تسمية الدين .
- عدد المسلمين .
- صورة الرسول (ص) .
- الطبيعة العسكرية للاسلام .
- المرأة فى الاسلام .
- الصليبيون .
- متفرقات .

عناصر الاسلام

تقدم معظم الكتب المقررة العناصر الأساسية للاسلام بشكل سليم ، وتشمل العقيدة الأساسية ، وأركان الايمان ، والفرائض الخمس ، وحياة النبى (ص) . ولكن مناقشة ذلك كله تتم بشكل مختصر جداً . وتعترف المقررات بدور الاسلام ومساهمته فى صنع الحضارة العالمية بشكل عام ، ولكن ذلك الاعتراف يتم فى اختصار وتبسيط وسطحية ، ودون محاولة جادة لمناقشة وعرض ما تدين به الحضارة المعاصرة للحضارة الاسلامية فى مجال الرياضيات وعلم الجبر والفلسفة والطب والكيمياء .. الخ . أما وجود الاسلام فى اسبانيا حيث كان العلماء من كل الأديان يعملون معاً لمدة سبعة قرون لتطوير واحدة من قمم الحضارة العليا والثقافة فى أوربا الوسيطة ، فقد أهمل تماماً .

ولا تمثل معالجة الاسلام فى الكتب المقررة الجديدة أى تحسن ملحوظ بالمقارنة الى سابقاتها ، إذ أن دراسات كان قد قام بها الامى وكينى والقزاز وكريسفالد وبيرى قد أبرزت نفس النواقص والسلبيات .

توصيف الدين

● – تسمية الدين :

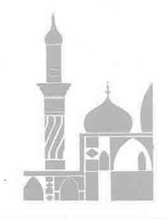
استخدمت كل المقررات التى تم

مسحها لأغراض هذه الدراسة لفظة «الاسلام» لتوصيف دين المسلمين ، ولم يرد فى أى منها لفظ «الديانة المحمدية» ، بل إن واحداً من تلك الكتب المقررة يقترح على المدرس فى الجزء الخاص بالأسئلة أن يوجه للطلاب هذا السؤال : «لماذا يكره أهل المنطقة تسميتهم بالمحمديين؟» «الناس والثقافة ، تأليف أ . س غاربارينو ، ١٩٧٥ ص ١٦٧» .

ويؤكد كتاب اخر انه (من الخطا ان نسميهم محمديين ، لأن محمداً لم يقدم نفسه لقومه كإله) ويرد فى مقرر ثالث : «ان محمداً ، كما جاء فى القران ، هو واحد من رسل الله ، وبالرغم من انه مكان تقدير كبير فان المسلمين لا يعبدونه باى شكل . لقد كان محمد واحداً من الذين اختارهم الله لتبليغ رسالته . ولذا فان الاشارة الأكثر صحة هى أن نطلق لفظ «الاسلام» على هذا الدين ، وليس «المحمدية» .

«إن وصف المسلمين بأنهم محمديون أمر يكرهه المسلمون لأنه يوحى بأن محمداً هو عنصر مركزى فى الاسلام ، بينما هو فى واقع الأمر مجرد رسول ، وبعبارة اخرى ، فان محمداً بالنسبة للمسلمين لا تضفى عليه صفة التقديس مثلما تفعل المسيحية بالنسبة للمسيح (عليه السلام) » .

وفى هذه النقطة تمثل المقررات الجديدة تحسناً واضحاً بالمقارنة الى المقررات السابقة ، والتى وجد (الامى) فى دراسته حول التعليم الابتدائى بولاية اوهايو فى الخمسينات لفظة «المحمدية» مستخدمة استخداماً متكرراً فى كثير من الكتب التى قام بمسحها ، كما ان كتب تاريخ العالم والعلوم الاجتماعية المستخدمة فى كاليفورنيا فى الستينات وأوائل السبعينات كانت تستخدم فى بعض الأحيان لفظة «المحمدية» لوصف الدين الاسلامى» .



لماذا التقليل ؟

● ــ عدد المسلمين :

تعمد معظم المقررات الجديدة ، كسابقاتها ، الى التقليل من عدد المسلمين فى العالم ، وكلها تقريباً تقدر عددهم باقل من خمسمائة مليون مسلم .. وتعتبر الاسلام ثانى أكبر الأديان فى العالم من ناحية عدد معتنقيه .

ولكن نظرة عاجلة للدول التى يمثل فيها الاسلام دين اغلبية الناس كافية لتدلنا على أن عدد المسلمين فى العالم يزيد عن ٧٠٠ مليون مسلم .

ليس من الدين

● ــ صورة الرسول (ص) :

وثمة خطأ اخر فى التصور تتضمنه هذه المقررات ، وهو تصوير الرسول (ص) فى كثير منها ، ووضع تعليقات شاذة تحت صوره . فقد قدم احد المقررات رسماً فارسياً مصغراً للرسول (ص) وتحته تعليق هو : (محمد واتباعه : ما هى الصفات التى يراها الفنان فى هذا القائد الدينى ؟) .

وفى كتاب اخر رسمان للنبى الكريم وتحتهما هذا التعليق (حاول اهل مكة ذات مرة أن يرجموا محمداً بسبب تعاليمه الدينية ، وكانوا مغضبين . فقام تاجر معتبر من اهلها شفيعاً له عند القوم ، وانقذ محمداً .)

لقد فشلت هذه المقررات وغيرها فى تعريف الطلاب بان الاسلام فى القرن الثامن قد حرم رسم الجسد ، وتصوير الرسول (ص) . وبالرغم من عدم وجود نص صريح فى القران يمنع المسلمين من رسم الأجساد الحية فان مصدر التحريم هو قولة منسوبة الى السيدة عائشة زوجة النبى (ص) . وكان النبى (ص) قد وجدها تطرز صورة على مخدة ، فقال لها ما يعنى : الا تدرين أن الملائكة لا تدخل بيتاً به صورة .. وأن راسم الصورة يعذب فى اليوم الآخر ؟ (الاسلام من أول عهده . تأليف د. ستيورات ، نيويورك ١٩٦٧ ص ١٠٥) .

العسكرية فى الاسلام

تعالت احتجاجات مؤلفى الدراسات السابقة ضد التركيز الشديد المبالغ فيه على الطبيعة العسكرية فى الاسلام فى المقررات . ولحظوا أن مناقشة موضوع الاسلام والحرب تتم وسط حشد من الألفاظ المنتقصة من قدر الاسلام ، وحشد من الأخطاء والادعاءات المغرضة ، والحذف والاغفال . مما يؤدى الى تكريس سوء فهم الرسالة الحقيقية للاسلام .

وقد أصرت المقررات الجديدة ايضا على التركيز على الطبيعة العسكرية للاسلام .. كما تظهر ذلك المقتطفات التالية :

ففى كلمات تحت احدى الصور نقرا «منظر سفينة حربية للمسلمين على الساحل الاسبانى» . ونقرا تحت صورة اخرى «الغزاة المسلمون يحاصرون مدينة ماسينا فى صقلية فى القرن الحادى عشر» . والكتاب الذى وردت فيه هذه التعليقات لا يكتفى بتخصيص ثمانى صور للنزعة الحربية فى الاسلام ، بل يفرد صفحة كاملة لفكرة الحرب المقدسة فى الاسلام ، ويختمها بالسؤال التالى : «أتظن أن روح الجهاد مازالت مشتعلة فى يومنا هذا ؟ هل يمكنك الاتيان بشواهد على اجابتك ؟» .

ونجد أن نفس هذا الكتاب المقرر لا يخصص سوى ثلث صفحة للحضارة الاسلامية وأثرها على الحضارة العالمية .

ويصر كتاب اخر على أن محمداً ، على العكس من المسيح ، كان يمتدح ما أسماه بالحرب المقدسة . ويرى أن السيف هو مفتاح الجنة .. وأن من يستشهد فى المعركة مغفورة خطاياه ، ومثواه الجنة .

ونقرا فى كتاب اخر :

«وكان المحاربون العرب يحملون السيف والايمان الراسخ الى المعركة ،

موقنين انهم يدخلون حربا مقدسة لنشر الاسلام .. ويقول القرآن (الكريم) ان من يستشهد مجاهداً له الفوز بالجنة» .

ويدعي مقرر آخر ان انتشار الاسلام كان سريعا ، وان محمداً دعا الى حرب مقدسة ضد الكافرين بالاسلام ، وان العرب قد اجتمعوا الى جهاد اكتسح الشرق الاوسط حتى بلغ الغرب .

وفي نص آخر يدعي الكاتب ان الاسلام قد نص على ضرورة فرض الاسلام بالقوة على غير المسيحيين واليهود وان الحرب المقدسة يمكن اعلانها لنشر الدعوة .

وآخر يقول : «وقد نشر العرب الاسلام عن طريق الحرب ضد جيرانهم» .

ويجيء ما يلي في نص آخر : «فبينما استخدم اليهود والمسيحيون التبشير للدعوة لدينهم ، عمد المسلمون في معظم الاحوال الى استخدام الحرب والعنف لنشر دينهم . وكان النصر حليف المسلمين في حملاتهم لأن تكتيكهم الحربي كان ذكيا ، ولأن دافعهم كان هو الطمع في الغنائم . واهم من ذلك انهم ما كانوا يهابون الموت في سبيل دعوتهم ، لأن محمداً قد أقسم لهم بأن القتال في سبيل الدين خير من الدنيا وما فيها ، وان خروج احدهم الى المعركة افضل من صلاة ستة اعوام ببيته ..

التركيز على الحرب

إن التركيز على الحرب في الاسلام في كثير من الكتب المقررة يكرس الأفكار الخاطئة عن هذه الدنيا وذلك باثارة اقترانه بالحروب المقدسة والسيف . وقد فشلت معظم الكتب المقررة في تعريف الطلاب بأن الدخول في الاسلام لم يتم بين ليلة وضحاها وبالسيف ، وانما عبر عملية بطيئة استغرقت عدة قرون ، كما ان كثيراً من هذه المقررات قد عجزت عن شرح سياسة التسامح في الاسلام تجاه أهل الكتاب ، الذين ظلوا ينعمون في حمى الاسلام قروناً عديدة . وأغفلت هذه المقررات نصائح النبي (ص) وخلفائه الراشدين من بعده الى قادة جيوش المسلمين بالحرص على عدم تشويه او قتل الطفل أو الشيخ المسن أو المرأة ، أو



صورة الإسلام والمسلمين في الكتب المدرسية الأمريكية

قطع النخل أو حرقه ، أو قطع أي شجر مثمر ، أو نفق الحيوان إلا لسد حاجة .

والأخطر من ذلك كله ان تلك المقررات لا تفصل بين الدين الاسلامي كما هو في تعاليمه وبين الدولة التي قامت باسم الاسلام . فالاسلام مثل غيره من الأديان هو دين العدالة والمساواة والمثل السامية الرفيعة . ولقد كانت الدولة عبر القرون تسيء استخدام الدين الاسلامي ، وتمارس باسمه ما لا يمت اليه بصلة .. سعياً وراء مصالح من بيده الحكم .

المرأة في الاسلام

وتنحو معظم الكتب المقررة كسابقتها الى رسم صورة مشوهة عن وضع المرأة ودورها في الاسلام ، إذ يصفها أحد تلك الكتب كما يلي : «لقد وعد محمد (ص) الرجال من المسلمين حياة رائعة بعد الموت ، حيث يستلقون على أرائك مزينة بالجواهر ، ويقوم بخدمتهم ولدان مخلدون ، بأباريق وأكواب من أصفى وأجود الخمر ، وفاكهة مما يشتهون ، وطير مما يحبون . أما النساء فليس لهن أن يطمحن الى مثل ذلك النعيم بعد الموت لأن الإعتقاد الذى ساد هو انهن بلا روح . (الندر ص ١٣٩ ــ ١٤٠) .

ويصور كتاب آخر المعاملة التي تجدها المرأة عند المسلمين كما يلي : «إن تعاليم الاسلام لتأمر النساء بالقيام بخدمة وطاعة أزواجهن وآبائهن وينص القانون الاسلامي على الا يكشفن وجوههن امام الغرباء ، وعليهن اخفاء الوجه حتى في بيوتهن اذا جاء ضيف . ويمكن للمرأة ان تطبخ وتجهز الوليمة الفاخرة للضيوف ، ولكن لا يحق لها ان تشارك فيها . وعلى المرأة والفتاة ان تطعما ما يتبقى من طعام بعد ان يفرغ الرجال من طعامهم . ويعلم الابناء ان واجب امهاتهم الرئيسي هو القيام بخدمتهم . اما البنات فلا يتم حسابهن حتى بين اطفال الرجل . (من كتاب بلدان الشرق الاوسط ص ٥٢ ــ ٥٣) .

ان مؤلفي تلك المقررات لم يكلفوا انفسهم عناء اخبار القارىء بأن وضع المرأة في الاسلام قد تحسن كثيراً بالمقارنة الى ما كانت عليه المرأة قبل الاسلام . فقد سجل التاريخ ان المرأة في بلاد العرب قبل الاسلام كانت تعتبر من قبل الرجال مجرد سلعة تشرى وتباع ، وتورث . ولكن الاسلام قد منحها حق ان تتملك ، وتتصرف في ما تملك كيف شاءت وان تحتفظ باسمها بعد الزواج ، وان تكفل القاصر ، وان تقوم بالتجارة أو العمل ، وان تقاضي الآخرين أمام المحاكم دون حاجة الى إذن من زوجها .. كما ان الاسلام قد بشر المؤمنين والمؤمنات بالجنة اذا خلصت اعمالهم واعمالهن في الدنيا .. وان الحساب والجزاء لا يقومان على نوعية الجنس ، بل على العمل الصالح والتقوى وفق ما نادى به الاسلام .

الصليبيون

لا تلقي الكتب الجديدة اللائمة على العرب المسلمين فيما يختص بالحروب الصليبية ، بل تلقيها على الأتراك الذين غزوا الأراضي المقدسة وجعلوا الأمور صعبة للحجيج . ويورد أحد الكتب انه «في عام ٦٤٠ م فتح العرب فلسطين ، ولكنهم تسامحوا تجاه الأديان الأخرى ، وسمحوا للمسيحيين بمواصلة الحج الى أماكنهم المقدسة . ولكن الأتراك السلاجقة هاجموا الأماكن المقدسة عند المسيحيين ونهبوا واستعبدوا الحجاج منهم» (الندر ص ١٨٠) .

وتتفق كل الكتب على أن الأتراك

السلاجقة ، وهم قبائل بدوية دخلت الاسلام حديثا ، هم الذين قاموا بنهب ومهاجمة الحجيج .

متفرقات

وقد اورد عدد من المقررات معلومات خاطئة ومضللة عن الاسلام . فقد ذكر احدها ان المسلم الورع يصلى خمس مرات كل يوم فى بيته او اى مكان اخر ، إلا فى يوم الجمعة ، حيث يجب ان يصلى فى الجامع . وبهذا يعطى المؤلف انطباعاً خاطئاً ومضللا ، فالمسلم يمكنه أن يصلى فى اى مكان يريد ، بما فى ذلك يوم الجمعة .

ويورد نفس المؤلف ان رمضان هو الشهر الذى ولد فيه محمد (ص) ... وفيه هاجر . والمعروف ان ولادته صلوات الله عليه وسلامه كانت فى ربيع الأول ، وهجرته فى محرم ، وموته فى ربيع الأول .

خاتمة

إن العرض القصير الذى قدمناه والمناقشة حول مقررات التعليم الثانوى فى الولايات المتحدة فى مجال تاريخ العالم الجديد والعلوم الاجتماعية ليكشفان عن سلبيات ونواقص كثيرة فى تلك المقررات . وقد وجدنا ان كل كتب المقررات تقريبا تنطوى على قدر كبير من المعلومات المضللة فى تناول عدد من القضايا المرتبطة بالاسلام ، وهى مضللة إما لنقص فيها او لانها منتزعة عن الاطار الذى نمت فيه ، او لحشو فيها لا صلة له بالموضوع ، او لأن المادة المقدمة لم يتم عرضها على الوجه السليم وبايفاء شرح سليم . وكل ذلك يؤدى بالضرورة الى تكريس المفاهيم المجترة حاليا عن الاسلام .

وقد اوضح العرض ايضاً ان التحسن فى تناول الاسلام وتقديمه لم يكن إلا طفيفاً فى السنوات التى مرت منذ اصدار المقررات السابقة التى غطتها دراسات سابقة ، إذ ان كل السلبيات والنواقص قد عادت مرة اخرى الى الظهور فى الكتب الجديدة ، وباختصار فان الحاجة الى تقديم الاسلام بشكل متوازن مازالت قضية عاجلة لكى يتسنى للطلاب ان يتعلموا بموضوعية الأسس الرئيسية للعقيدة الاسلامية والحضارة الاسلامية

ونقدم التوصيات والمقترحات التالية لتصحيح وتحسين تناول وتقديم الاسلام فى كتب مقررات المدارس الثانوية فى الولايات المتحدة :

● ـ دراسة صورة الاسلام فى مقررات المدارس الثانوية الأمريكية على أسس منتظمة ولسنوات طويلة أو لعدد من العقود وذلك لسببين : أولهما ، أن مثل تلك الدراسة ستوفر لرجال التربية وادارة التعليم سيلا متصلا من المعلومات عن نوعية المعلومات المتوفرة فى الكتب ، وتمدنا من جهة اخرى بالوسائل التى تمكننا من اكتشاف وقياس التغيير الى أفضل أو الى أسوأ فى نوع المعلومات المتوفرة فى كتب المقررات .

٢ ـ ان السياسة الامريكية تقوم على الضغط والمجموعات المنظمة . ولذا يجدر بكل المهتمين بصورة الاسلام ان ينظموا انفسهم للضغط على السلطات التعليمية المحلية واللجان التعليمية لاختيار الكتب الجيدة التى تقدم معلومات صحيحة وكافية عن الاسلام . ويجب أن يمتد هذا الضغط المنظم الى الناشرين أيضا ليحثهم على التحسين النوعى والكمى فى تناول الاسلام .

● ـ تنظيم حلقات دراسية وسمنارات ومؤتمرات حول الاسلام على اساس منتظم للمعلمين الذين يستطيعون حضورها ، وذلك بمصاريف اسمية ، وان يقدم فى تلك اللقاءات محاضرات وشروح وعروض بواسطة خبراء فى المواضيع المختلفة المتصلة بالاسلام . ويجب بذل الجهود لتشجيع المدارس الخاصة فى المناطق على تقدير مثل أولئك المعلمين الذين يستفيدون من تلك اللقاءات .

● ـ بذل جهود منسقة لتطوير وحدة مختصة حول الاسلام فى كل المراحل ، للمعلمين والطلبة على حد سواء ، وان تكون متوفرة بتكلفة زهيدة للمعلمين والطلاب .

● ـ اعداد قاموس متخصص عن الاسلام ، يتكون من ١٠٠ مادة فى كل صفحة او صفحتين ، تناقش قضية او مسالة متصلة بالاسلام ، وان تكون كل مادة مدخلة مكونة من معلومات صحيحة ودقيقة حتى اخر لحظة ، وان تذكر مراجع للقراءة للتوسع فى الموضوع ، وان تكتب المواد المدرجة بلغة ميسرة للفهم فالغرض من هذا المعجم هو ان يكون بمثابة مرجع سريع للمعلمين والطلبة على السواء .

● ـ على المجموعات المسلمة فى كل انحاء الولايات المتحدة ان تقيم مكتبا ممن يستطيعون تقديم الاحاديث فى المدارس متى طلب منهم ذلك ، على ان يكونوا من بين من لهم قدرة على التوصيل والاتصال فى مجال تقديم المعلومات للطلاب ، إذ لا يكفى كون الواحد منهم مسلما ، أو حتى إماما ، فالمهم هنا أن يتم اختيار شخص متمكن من لغة مخاطبة التلاميذ وقادر على الاتصال بهم وتوصيل المعلومات اليهم لتحقيق افضل النتائج .

د. إياد القزاز

جامعة قطر
ومطالب المرحلة الحضارية

د. محمد إبراهيم كاظم

تحاول جامعة قطر ان تضع نصب عينيها وهي تخطط للمستقبل أن تحقق مطالب المرحلة الحضارية التى يمر بها المجتمع القطرى باعتباره جزءاً من مجتمعات أوسع هى المجتمع الخليجى والمجتمع العربى والمجتمع الاسلامى والمجتمع الانسانى .. فالمرحلة الحضارية الراهنة تحتاج الى مجموعة من المتطلبات مثل اعداد المتخصصين فى المجالات المختلفة وتقديم الكوادر الفنية والفكرية والمساهمة فى تطوير المجتمع نفسه والاسراع بخطاه بما يؤدى الى إلتحامه بالعصر الحديث ، مع الحفاظ على المقومات والقيم والعقائد الأصيلة .. وهذا بالاضافة للاقتباه الى تضييق الفجوة الحتمية بين جيل الأبناء وجيل الاباء .. ومن كل ذلك وغيره نجد أن متطلبات المجتمع والاعتبارات الحضارية تفرض صيغة معينة على الجامعة تتسم بقابلية التطور الديناميكى ، كما تفرض على الجامعة أسلوب سيرها والتخطيط الذى تقوم عليه ..

الكليات المؤجلة

وقد روعيت هذه النواحى كلها مع بداية قيام التعليم الجامعى فى دولة قطر عندما بدأت الدراسة بكلية التربية ثم تلاها كليات العلوم ، والانسانيات والعلوم الاجتماعية والشريعة والدراسات الاسلامية ، ثم كلية الهندسة هذا العام .. وكان المفروض ان تبدأ ايضا كلية الادارة وكلية الاعلام ، إلا ان المقومات الكافية لقيام هاتين الكليتين على المستوى الذى يتناسب مع طموح الجامعة ، لم تتوفر بالدرجة المطلوبة ، الأمر الذى أدى الى تأجيل بداية الدراسة بها بعض الوقت .. وكذلك قادت الدراسات التى قامت بها الجامعة الى تأجيل انشاء كلية للطب .. إلا اننا فى نفس الوقت عملنا على تطوير مضمون المناهج فى جامعة قطر فاوجدنا دراسات يحتاجها المجتمع نفسه ، كالدراسات الاعلامية ودراسات المكتبات والتخطيط الاقليمى والعمل الاجتماعى والاقتصاد المنزلى ، كما أنشأنا فى الجامعة مركزاً للبحوث التربوية ومركزاً للبحوث العلمية والتطبيقية ، وصدرت القرارات الأميرية الخاصة بمركز بحوث الانسانيات ومركز دراسات السيرة والسنة النبوية ..

بحوث المراكز العلمية

ورغم مضى فترة قصيرة على انشاء مركز البحوث التربوية ، إلا انه انجز العديد من الدراسات ، وأعد حتى يومنا هذا ١٦ بحثا ومجموعة من الدراسات تشمل تطوير تدريس اللغة والتنشئة الاجتماعية للاطفال وزيادة فعالية الدراسة للطلبة وذلك فى إطار تخطيط شامل للمناهج وطرق التدريس والكتب وخلافه .. اما مركز البحوث العلمية والتطبيقية فقد انجز دراسة كاملة عن نباتات دولة قطر وهى على وشك الصدور ، ويقوم الباحثون بمراحل تالية فى هذه الدراسة حيث يبحثون العناصر الاقتصادية والطبية فى هذه النباتات .. واضافة الى ذلك فان هذا المركز نفسه يقوم حاليا باعداد دراسات حول تحلية المياه والزراعة بدون تربة واستنباط طرق جديدة لمواد البناء من خامات قطرية .. ومن اجل استكمال كل مقومات البحث العلمى داخل هذا المركز تم التعاقد على بناء احدث سفينة للبحوث المائية والبحرية ..

اما المراكز العلمية الاخرى فى الجامعة ، فانها لم تبدأ نشاطها الفعلى حتى الآن ، بسبب ضيق المكان ، أو لعدم استكمال القوى البشرية اللازمة ..

الجامعة والمجتمع

ومع الانتقال الى المبانى الجامعية الجديدة فى اغسطس عام ١٩٨٢ ، سوف يكون هناك حل جذرى

لكثير من هذه القضايا ، بما فى ذلك المختبرات الاضافية والاماكن المناسبة لاقامة مراكز البحوث ، وهذا بخلاف التطوير الجذرى للمكتبات الجامعية التى تعد الآن لتكون مرتبطة ببنوك المعلومات العالمية ولاستخدامات الحاسبات الالكترونية (كمبيوتر) .. ووقتها سندرك معنى أن ننظر الى الجامعة باعتبارها كائنا حيا قادرا على النمو، وفى نفس الوقت يحتاج الى كل مقومات التطوير والنماء ، ومعنى ارتباط الجامعة بالمجتمع الذى تنتمى اليه ..

والواقع أن الجامعة التى لا تتفاعل مع المجتمع ولا تؤثر فى توجيه خطاه ، ولا ترتبط بجذوره وقيمه وآماله والامه ، ما هى إلا جسم غريب لا يستحق الحياة فالجامعات بالذات لا يمكن أن تكون حيادية فهى إما تعمل لصالح المجتمع أو تكون عبئا عليه ، ومن هنا كان من الضرورى أن تتضح انعكاسات هذا المفهوم على جامعة قطر واساليبها وبرامجها وكلياتها وأساتذتها وطلابها ، ولنأخذ مثلا ما طرأ من تطور على كلية الانسانيات فى جامعة قطر خلال السنوات الثمانية من عمرهـــا ، حيث بدأت الدراســة بها من خــلال حاجة المجتمع ومتطلباته بتخصصات فى اللغة العربية والتاريخ والجغرافيا والاجتماع واللغات الأجنبية ، ثم ظهرت الحاجة الى المخطط العمرانى فتطورت برامج الجغرافيا لتضم هذا التخصص ، كما تطورت شعبة اللغة العربية لتتوجه الى تخصصات الصحافة ثم اتسعت لتضم تخصصات الاعلام بما فى ذلك علوم الاتصال وهى الاذاعة والتليفزيون والعلاقات العامة ، واتجه تخصص التاريخ ليشمل الوثائق والتوثيق ثم المكتبات ، وستتخرج فى العام المقبل المجموعة الأولى من الذين درسوا المكتبات فى جامعة قطر كتخصص ثانوى ، ومن هؤلاء تبدأ القاعدة البشرية التى سيعهد اليها بدور رئيسى فى تطوير مكتبات جامعة قطر ثم المكتبات المدرسية ثم مكتبات البيئة التى ستتوفر فيما بعد ..

عطاء هذا الجيل

وبالنسبة لدور كلية الانسانيات فى العمل الاجتماعى فان الدراسات بها لم تقف عند حد تفاعلات المجتمع وعناصر واصول هذه التفاعلات وآثارها على حركة المجتمع ، بل بدأ التوجه الى العمل الاجتماعى فى المدرسة بعد أن أصبحت المدرسة الحديثة مؤسسة اجتماعية فى حد ذاتها ، وبعد أن أصبح أفراد هذه المؤسسة فى حاجة الى خدمات المختص فى العمل الاجتماعى الى جوار الخدمات التى يقدمها المعلم .. ومن هنا بدأنا نعد هذا الأخصائى الذى يستطيع أن يساهم بدوره داخل المدارس ووسط الطلاب ، كما بدأنا نعد فى نفس الوقت الأخصائى الاجتماعى المطلوب فى التجمعات الأخرى وخاصة داخل المصانع ، فالمعروف أن المجتمع القطرى يتجه الى التصنيع ، وهو فى حاجة الى جيل قادر على العطاء المستمر حتى يجنى ثمار هذه الحركة المباركة ..

وعلى نفس القياس يمكننا أن نتحدث عن كلية التربية التى تعتز ببرامجها العادية ، فى نفس الوقت الذى تعتز فيه بصفة خاصة ببرامجها فى ميدان التعليم الابتدائى ، فاتفاق الجامعة مع وزارة التربية والتعليم على أن التعليم الابتدائى تخصص له مقوماته واسسه ومهاراته ، سمح بأن تبدأ الجامعة فى اعداد المعلم الذى يتعامل مع مرحلة من أهم مراحل التنشئة والتكوين على مستوى الأفراد والمجتمع ، ونحن نأمل أن يكون ذلك بداية لتغيير اجتماعى جذرى فى النظرة الى الطفولة والى التعليم الابتدائى ، فقد خرجت الجامعة ـ فعلا ـ مجموعة من الفتيات والشبان من حملة البكالوريوس فى التعليم الابتدائى، ولازالت التجربة مستمرة بصورة تبشر بالخير ..



جامعة قطر
ومطالب المرحلة الحضارية

الفكر الاسلامى

وتعتبر كلية الشريعة والدراسات الاسلامية هى الكلية المسئولة ـ بالتعاون مع كلية التربية ـ عن اعداد مدرسى الدراسات الاسلامية فى التعليم العالى، ونامل ان يكون هناك تطوير جذرى فى النظرة الى التربية الدينية فى المدارس ، فمدرس الدين لا يمكن ان يقوم بدوره السليم اذا كان على هامش الحياة الحديثة او لا صلة له بمفهوم المدرسة الحديثة ، ومن هنا فان برنامج اعداد مدرس الدين يجب أن يضم خلفيات كافية فى الاقتصاد والاجتماع والعلوم ، حتى يصبح الفكر الذى يمثله هذا المدرس فكراً اسلامياً أصيلاً مرتبطاً بعلوم العصر ، وحتى نستعيد عصر الأئمة العظام فى تراث الاسلام وهم هؤلاء الذين قدموا فكراً اسلامياً خالداً من خلال تعاملهم مع حقائق الحياة العلمية فى العصور التى وجدوا فيها ، ونرجو أن تتمكن كلية الشريعة والدراسات الاسلامية من أن تخرج لقطر والعالم الاسلامى الوعاظ والأئمة والقضاة القادرين على التعامل مع كل قضايا العصر من منطلق قوانين الاسلام الخالدة ..

الجامعات الشقيقة

ومن نفس المنطلق الساعى الى ربط الجامعة بالمجتمع . قامت كلية الهندسة فى جامعة قطر ، وبدأت هذا العام على اساس إعداد تخصصات الهندسة الكيمائية والهندسة الميكانيكية والهندسة الكهربائية والهندسة المدنية .. وتضم هذه التخصصات المعروفة تخصصات عصرية حديثة ، وذلك من منطلق دراسة شاملة عن احتياجات المجتمع القطرى والخليجى ومسيرته نحو التعمير والتصنيع والتنمية الشاملة ، ولم ندخل فى تخطيطنا هندسة البترول لأن تخصص الهندسة الكيمائية يجيب على الأولويات الملحة فى قطر ، كما اننا ننطلق من تنسيقنا مع الجامعات الشقيقة فى المنطقة ، فوجود جامعة كاملة للمعادن والبترول على بعد ٤٠٠ كيلو متر فى الظهران تجعلنا نكتفى بوجودها ونخطط فى مجالات اخرى تحتاجها المنطقة ..

المعيدون القطريون

ومن كل ذلك وغيره ، نرى ان التعليم فى جامعة قطر يتطور وفقاً للمجالات التى ننتمى اليها اجتماعياً وحضارياً وتاريخياً ..

وهذا يتم من ناحية ، فى نفس الوقت الذى تتطور فيه الجامعة من داخلها ، لتصبح أقدر على أداء رسالتها .. وفى هذا الخصوص وحدنا برنامج الجامعة فى اعداد الهيئة الادارية والتعليمية القطرية ، وفى هذا العام صدرت القرارات الأميرية بتعيين مساعد لمدير الجامعة وأميناً للجامعة من خيرة الشباب القطرى المثقف .. وكانت خطة تقطير الجهاز الادارى للجامعة قد بدأت منذ سنوات طويلة ، ونحن نعتز بالحقيقة القائلة بان الجهاز الادارى لجامعة قطر يتقدم ـ فى خطوات التقطير ـ معظم الأجهزة الادارية فى الدولة ..

أما بالنسبة لأعضاء هيئة التدريس ، فمن المعروف ان معظم اعضاء الهيئة التدريسية من غير القطريين ، وهم يضمون العديد من الجنسيات العربية والأجنبية وعلى وجه التحديد الاخوة من الجامعات المصرية والعراقية والسورية والسودانية والأردنية ، كما تضم زملاء من الجامعات الأميركية والأوربية والاسترالية والباكستانية وسريلنكا ..

وتضم جامعة قطر ستة من القطريين من حملة الدكتوراه ، وينتظر ان يصل هذا الرقم ما بين ١٥ ، ٢٠ فى اواخر عام ١٩٨٢ ..

والواقع ان كل المعيدين والمدرسين المساعدين فى الجامعة من القطريين ، وهم اكثر من مائة بينهم عدد كبير من الفتيات اللاتى يسرن فى دراستهن العليا بنجاح ، كما ان من بينهن من لم يبدأن دراستهن العليا بعد لأسباب تنشغل الجامعة بمعالجتها ..

وفى ختام ذلك كله ينبغى أن نكرر أن الأعمال العظيمة لا تبدأ كبيرة ولكن تبدأ جيدة ، ولقد حاولت جامعة قطر ـ وتحاول ـ ألا تكون جامعة للأعداد الكبيرة ولكن جامعة للمستوى الرفيع ..

واذا كانت جامعة قطر قد حققت من المنجزات ما يمثل قفزات الى الأمام ، فان طموحاتها اكبر بكثير مما حققت ، وأحلامها أعرض من آمالها فى الواقع ، وهى واثقة من أنها تسير بخطى ثابتة نحو التقدم والازدهار تحت قيادة راعى الحركة العلمية والرئيس الأعلى للجامعة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى الذى كان لقراراته وتوصياته الأثر البالغ والحاسم فى كل ما تحققه الجامعة من نجاحات وتقدم وازدهار ..

د. محمد ابراهيم كاظم



التحدي

شعر: محمد الفهد العيسى

طاوَلتْني الأمْواجُ عُنْفاً ولكنْ
حطّمتْها على الشّواطي صُخُوري

داهَمتْني الرّياحُ عَصْفاً هجيراً
فتلاشَتْ مِنْ نَفْحِ وَهْجِ سَعِيري

أنا صِنْوٌ لكُلِّ خَطْبٍ جَسيمٍ
والعَوادي تَمرّغَتْ في ثُبُوري

لاحقَتْني على القِنانِ بُغاثٌ
مزّقتْها على السّفوحِ نُسُوري

كَمْ جَوارٍ تحطّمتْ وشِراعٍ
فَوْقَ مَوْجٍ مُعَرْبِدٍ في بُحُوري

كَمْ غُثاءٍ جَرَفْتُهُ، كَمْ عُواءٍ
كَمْ سِنانٍ تحطّمتْ مِنْ سُطوري

يا بُغاثاً أَثَرْتَ فِيَّ ادِّكاراً
لِبُغاثٍ قَدْ أَوْغَلَتْ فِي العُصُورِ

زِدْ ضَلالاً فَمِلْءُ قَلْبِي يَقِينٌ
وَضِياءُ شُمُوسِهِ مِنْ ضَمِيري

حالِماتٌ هِيَ اللّيالِي بِدَرْبِي
فَشُمُوخِي بِكُلِّ دَرْبٍ نَصِيري

د. عبد الله الطيب للدوحة:

لا.. لتبسيط اللغة

لابد من العودة إلى أصولها

أجرى الحوار: الفاتح إبراهيم أحمد

- بدون لغة صحيحة.. لا يمكن تعريب العلوم الحديثة
- قبل التسرع في تبسيط اللغة يجب إصلاح أساليب تدريسها
- مستوى التعليم اللغوي أثر في قدرتنا على التعبير
- اللغة التي نستعملها اليوم لا تدل على عمق في الثقافة
- أكبر أخطائنا أننا أهملنا دروس القرآن الكريم

.. ونحن فى هذا العصر الذى تعقدت فيه الحياة وتشابكت تشابك خطوط الأسطوانة .. لاتجد الأمة العربية والاسلامية نفسها بمعزل عما يدور حولها ولا يمكن ان تكون بمنأى عما يجرى الآن .. وهاهنا يكمن التحدى .. ولابد من الاستجابة لمواجهة هذا التحدى ، وهذا التحدى يتعلق بمستقبلنا الحضارى ، والاستجابة لابد ان تكون فى مستوى ذلك .. ومن أهم التحديات التى تواجهنا مشاكل اللغة وقضاياها وقد طرحت مجلة الدوحة منذ فترة موضوع مشكلات اللغة العربية للمناقشة المفتوحة .

واتاح لنا الأسبوع الثقافى السودانى الذى اقيم بالدوحة فرصة اللقاء بالدكتور عبد الله الطيب استاذ الأدب العربى بجامعة الخرطوم وجامعات المغرب لاجراء حوار معه فى نطاق القضية المطروحة إسهاما متواضعا فى هذا الصدد ..

.. وقد يرى البعض فى الحلول التى يطرحها الدكتور الطيب بعض التشدد او كله .. وقد يراه البعض متطرفا وقد نتفق معه مرة ونختلف معه مرات إلا اننا لانملك إلا ان نحترم اراءه ..

والدكتور الطيب عالم جليل اصطحب الكتب طويلا وسبر أغوار اللغة ودرس الآداب العربية قديمها وحديثها ، كما اطلع على الآداب الغربية فى لغاتها الأصيلة .

وقد امتد الحوار مع الدكتور الطيب زهاء ساعتين فشمل قضايا اللغة العربية ومناهج تعليمها للصغار وقضايا التعبير بالعربية والكتابة بها كما تطرق الحديث إلى اسباب الداء ووسائل العلاج .. كما تناول مسالة تبسيط اللغة وتسهيلها .

اللغة والسهل الممتنع

ـ ....؟

ـ « عرف القيماء فى النقد لفظة استخدموه للبحترى مثلا ، وهو قولهم هذا شاعر أسلوبه من السهل الممتنع .. يعنون بذلك ان كلامه سهل ميسور يتناوله سامعه من قرب ولا يحتاج الى كد للذهن كثير فى تتبع ماهو عويص من الفاظه او غامض من معانيه .. ولكن السهل الممتنع امر لايبلغ إلا باختيار شديد وملكة خارقة من جانب من يقبل عليه ..

ولم يكن محصول البحترى من اللغة



د. عبد الله الطيب

العربية مقتصراً على عدد من الكلمات ويدلنا على ذلك انه اختار مجموعة من الشعر تعرف باسم حماسة البحترى ولعله كان يحفظ اكثر أبياتها ..

وإذا انتقل بنا الحديث من اللغة الى البلاغة نقول أنها بتعدد مذاهبها لابد فيها من ملكة ومن علم . وعلوم اللغة هى أول مايتردد به الانسان لكي يدخل عرين البلاغة ..

ونحن اليوم قد فقدنا هذه البلاغة لأن اللغة المستعملة دون قصد منى لاتدل على عمق فى ثقافه ، وحتى الكتاب العرب الذين نعدهم ممتازين لايستطيع احدهم أن يصف منظرا رآه بنوع الدقة التى يستطيعها الكاتب الفرنسى أو الانجليزى ..

فالكاتب العربى قاصر من جهة الموسوعة اللغوية وعلى غير ثقة من نفسه من جهة البيان العربى ، والعجيب فى هذا انه ليس بالنسبة للعربية فقط ولكن أيضاً بالنسبة للغة الدارجـة ..

إن الملكة فى تجويد الدارجة قد ذهبت مع ذهاب عناصر بداوتها .. وبدأت تشيع بيننا فى المدن لغة تغلب عليها العموميات وتغلب عليها الالفاظ المشتركة فى ميادين خاصة وذلك من النوع الذى يسميه الافرنج بالكليشيهات أى اللغة القالبية وهى لغات يتعامل بها الناس ولا يستطيعون أن يصفوا بها أمرا بدقة .

أسباب هبوط مستوى اللغة

ـ .... ؟

ـ « السبب فى هذا الوضع أن التعليم عندنا غير جيد ..

التعليم يبدأ بطريقة متكلفة ندرس الصغير فى أول الأمر كتبا لا تمت الى بيئته بصلة وفيها ذخيرة محدودة محصورة من المفردات ثم لا نتابع هذا بمكتبة ضخمة تناسب سنه وتزداد فيها الذخيرة مع زيادة سنه ..

والصغير يقبل على الكتب التى تناسبه إذا وجدها ، ويتزود منها حتى إذا صار مستطيعا للتعبير وجد أمامه ذخيرة واسعة من القول والتجارب يستطيع أن يستخدمها ..

فالطفل فى سن الثالثة والخامسة داخل المجتمع القروى وأطراف المدينة كان ذا موسوعة كبيرة من اللغة الدارجة .. اما الآن وبسماع الراديو والتليفزيون قلت هذه الموسوعة وانحصرت فى القالبيات التى يسمعها ويتلقاها من هذه الاجهزة..

وبذلك تصبح ملكته التعبيرية محصورة وسيجىء جيل تكون فيه ملكة الاطفال وملكة ابائهم محصورة حتى ينتج من ذلك جيل عييى فى آخر الأمر ..

ولو وازنا بين هؤلاء وبين ما يشابههم من أجيال الافرنج وجدنا أن ذخائر اولئك أوسع وانهم يتعمدون توسيعها بأصناف من أساليب الحياة ، ولا أريد بذلك ان اوازن بين مجتمع ومجتمع ولكن هذه الظاهرة ينبغى أن ينبه لها ..

هجرة النحو والقواعد

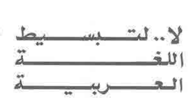
ـ .... ؟

ـ « على سبيل المثال الطلبة يؤخذون فى اللغة الفرنسية بدروس الأفعال المختلفة وطريقة تصريفها ويحفظون الشواذ منها عن ظهر قلب ..

ونحن لا نصنع شيئاً من هذا بل صار النحو عندنا ضمناً فى المراحل الأولى وافترضنا أن النحو شىء كامن فى نفس الصغير ويمكن أن يستخرج منه بممارسة القراءة بقطع قد لاتكون هى فى ذات نفسها جيدة وحتى إن توفرت فيها الجودة فهذا الافتراض خطأ ..

وأرى أنه ينبغى أن يدرس الصغير النحو وينبغى أن نحفظه القواعد وأن ناخذه بتطبيقها .. ومن الطبيعى أن لا يتساوى الصغار فى ملكاتهم فمنهم المبرز ومنهم المتوسط وهلم جرا ولكن هذا يمكن تلافيه بما نعطيه للناشئة من ضروب الكتب والخطب أو عن طريق المذياع وغيره إذا كانت على طريقة تربوية منظمة وليست بطريقة فوضوية وبذلك





تتسع مدارك الصغير ..

اكبر الاخطاء.. إهمال القرآن

ـ .... ؟

ـ « إن من أكبر اخطائنا اننا اهملنا دروس القرآن .. لأن المسلم لا ينبغى ان يخجل من أن يقول انه مسلم ولكن الواقع الذى نراه الآن أن بعض المسلمين يخجلون من قولهم إنا مسلمون حتى كان هذه جريمة يتوارى الانسان من التصريح بها !! .

وفى الانجليزية مثلا نرى الكتاب المقدس من الأسس التى يدرسها الصغار ويأخذون منها البلاغة ، ونحن كنا نصنع اكثر من ذلك وكنا نحفظ القرآن عن ظهر قلب ..

إن حفظ مايتيسر من القرآن فى مرحلة مبكرة وفى زمان مبكر يفيدنا ..

إن القرآن الكريم ناصع التعابير وبه رنة الموسيقى العربية ورنة الجرس العربى الصحيح فى أحسن أساليبه ويتعلم منه النطق الصحيح ..

وأنا بنفسى سمعت الازهريين الآن ينطقون الثاء سينا والذال زايا وغير ذلك من الاخطاء مع أن هذا لو علم فى مرحلة القرآن لكفيناه واصبح النطق صحيحاً فى مرحلة مبكرة ..

وتغلب على الطريقة المستخدمة فى التعليم بالمدارس الآن الطريقة التحليلية وهى أصعب الطرق فى تعليم النشء لأنك تعطى الناشىء المادة الخام لتركيب الكلمة والجملة ثم تحمله بعد ذلك على تركيبها وهذا صعب للغاية ..

والصغير يراها كلمة واحدة ويراها جملة واحدة فمن الاسهل ان تنطقها له كلمة واحدة وجملة واحدة وتأخذ بالمحاكاة ثم تأتى مرحلة التحليل فيما بعد على الطريقة القرآنية القديمة ..

البحث عن أساليب جديدة للتدريس

ـ .... ؟

ـ إن طرق التدريس وأساليبه عندنا تحتاج الى مراجعة كما ان الكتب التى توضع للاطفال تحتاج ايضا الى إعادة نظر .

ويحق لنا فى هذا الصدد ان نتساءل اين هى الكتب التى وضعت للأطفال فى الزمان الماضى وذلك حينما كان الطفل يجد مجموعة طيبة من الأساطير التى تعينه على تنمية الخيال وتعينه على التعبير ..

وبالرغم من أن بعض هذه الكتب لم يكن مكتوبا بأسلوب بالغ الجودة إلا أنها كانت تنمى ملكة الطفل وخياله ..

إن المادة التى تصلح لكتب الاطفال كثيرة جدا مما يمكن أن تبنى عليه مكتبة عامرة وهذا مجال فيه تقصير كبير ..

وقد حاول كامل كيلانى رحمة الله عليه أن يعطى الطفل مبادىء مكتبة ولكن العمل الذى بدأه لم يكمل ..

فقبل أن يتعجل الناس ويصموا اللغة العربية بالعقم والصعوبة ويدعون الى تبسيطها ينبغى أن يصلحوا أساليب التعليم اولا ثم ينظروا بعد ذلك هل يحصل النشء على شىء أم لا ؟ .

إفتقاد المختارات الشعرية والنثرية

من الأشياء التى اهملت الآن تعلم المختارات النثرية والشعرية التى كانت تدرس فى سن مبكرة وتحفظ عن ظهر قلب مثل مقامات الحريرى ، وكانت متنوعة منها مايصلح لهذه السن ومنها مايصلح لتلك السن ولكنها جميعا تحتوى على مادة خصبة وكلمات تبقى مع المرء مدى حياته لو حفظها فى صغره ..

هذا الكتاب الذى كان يدرس فى الماضى اختفى مرة واحدة من المدارس ونراه الآن عنوانا فى كتب تاريخ الادب .. وربما عمد إليه بعض الدارسين والمتخصصين ..

ومن المختارات التى اختفت تماما تلك التى كانت تعطى للناشئة من ديوان الحماسة . اذكر مثلا القصيدة اللامية المشهورة للسموءل والتى يقول فيها :

إذا المرء لم يسلم من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل ..

هذه القصيدة كانت تدرس فى سن مبكرة ..

وأرى ان الجيل الأول من المعلمين كان أعرف بطريقة التدريس ممن تلوهم وأعنى بالجيل الأول جيل حمزة فتح الله وحفنى ناصف من المصريين فهؤلاء وضعوا فى النحو قواعد اللغة العربية ووضعوا فى المختارات كتاب أدبيات اللغة العربية ..

وكان من الشاميين جيل يقاربهم ومنهم

لويس شيخو الذى وضع كتاب مجارى الادب وهذه الكتب كانت تشتمل على نخبة طيبة من مختارات نثرية وشعرية وامثال وحكم من أمثال الميداني ومن غيره من قصص كقصة الزباء ملكة الفرات واخبار حرب الباسوس وداحس والغبراء .

إن المختارات هى التى نشأت جيل شوقى والعقاد وحافظ ومادة هؤلاء فى اللغة لاريب فى جودتها ..

ذلك الجيل عندما طلب منه تعريب كتب الهندسة والطب عندما بعثوا فى البعثات لم يترددوا فدرسوا تلك اللغات وترجموا ماتيسر لهم .. علماً بأن هذا المجهود تقام له الآن اللجان وتعقد له الندوات بغير نتيجة .

المدرس مشكلة التعليم

ـ .... ؟

ـ « اعتقد ان قضية الشعر ومشكلة الكتابة عامة فى زماننا هذا مردها إلى ان اساس اللغة العربية ضعيف ، وقد تعقدت المشكلة جدا حتى أن حلها يوشك الى الاستحالة لأن العنصر الأول فى حل مشاكل التعليم هو المدرس ، والمدرس الآن يعسر الحصول عليه لعدة اسباب .. أولاً ـ كثرة الحاجة الى التدريس استدعت كثرة المدارس .. كثرة المدارس استدعت كثرة المدرسين .. كثرة المدرسين « ارخصت اسعارهم » .. رخص اسعارهم نفر اجود من عسى ان يقوم بالتدريس عن مهنة التدريس والتمس أبوابا اخرى للرزق ..

ودارت القضية وينبغى أن تكسر هذه الحلقة المفرغة لكى يوجد حل مناسب وهذا يخرج بنا من نطاق الأدب والعلم الى مسألة عامة ..

قد يدعو ذلك الى الاستغراب لكنى اصبحت اعتقد اعتقاداً جازماً أن كسر هذه الحلقة المفرغة لن يتأتى إلا بأن تتخلى الدولة تماماً عن التعليم !! . فمن أراد ان يكون نجارا فليكن ومن أراد أن يكون طبيباً او مهندساً أو صحفياً أو إذاعيا فليكن !!

هذا حل متطرف ولكن لابد أن يأتى زمن تعجز فيه اداة الدولة كل العجز عن سد حاجة الناس من التعليم وبما يريدونه ، وكما قال طه حسين ينبغى أن يكون التعليم كالهواء يأخذه الكل ..

.. إن اوربا استطاعت شيئاً من هذا لأنها حلت المشكلة الأساسية وهى مشكلة التعليم اللغوى الذى يكون به الأداء فى فترة مبكرة عندما كان عدد المدارس قليلا ، وعندما كان فى الامكان أن تعمم بين الناس لغة ثقافية وغنية .. وحمل الناس انجلترا وفرنسا وغيرهما على استعمال اللغة السلطانية أى اللغة العالية ..

حمل الناس عليها عن طريق المدارس وعن طريق الجيش لأنهم اشتغلوا فى الحروب وكانوا يحملون على سماع اللغة العالية من الأوامر والنواهى وهذا جعلهم يقراون ويسمعون ويتلقون هذه اللغـــة وعمل على توفير مكتبات وكتب تناسب المراحل المختلفة ..

.. وبالرغم من ذلك فان للأوربيين مشاكلهم فى التعليم وهم يحلونها بما يرونه مناسباً .. ولكن المشكلة عندنا قد تعقدت وليس الحل قط فى تبسيط اللغة العربيـــة ..

العودة الى الأصول

ـ .... ؟

ـ « اعتقد أنه لا حل ولا مخرج إلا أن نأخذ بالطريق العسر ، وهو أن نرجع مرة أخرى الى تعليم اللغة العربية من أصولها وهذا مهم ليس للغة العربية وحدها وإنما بالنسبة للعلوم الأخرى أيضا لأن التعريب لن يستطيع أن يقوم به فى العلوم المختلفة إلا الاكفاء فى تلك العلوم ..

فلن يستطع تعريب الهندسة إلا المهندس والطب إلا الطبيب والرياضيات إلا الرياضى وقل ذلك فى سائر العلوم ..

ولكن قبل ان يضطلع الطبيب والمهندس بالترجمة ينبغى أن يكون قد حصل من اللغة العربية على قدر كاف وهذا لا يمكن تحصيله فى المراحل المتأخرة بقدر ما يمكن تحصيله فى المراحل المتقدمة ..

وبتعبير اخر إذا اهتممنا بتعليم الناشئة تعليماً طيباً فى لغتهم عندما يتخصصون فى العلوم المختلفة يستطيعون أن ينقلوا من اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية ما شاءوا الى اللغة العربية وتعليم اللغة الأجنبية لابد منه لأخذ علوم الآخرين ، ولكن ينبغى ان تكون اللغة العربية هى أساسهم الذى يعولون عليه فى التأليف والتعريب والتعليم وهذا ممكن ولكن غير مأخوذ به الآن .

نحن الآن نعد التخصص فى اللغة العربية بمنزلة التخصص فى الطب مثلاً وهذا خطأ لأن اللغة العربية ليست بمهنة وإنما هى اداة تدريس ، ينبغى أن يتحلى بها الكل ، فالذى يدرس اللغة قد درسها فى مرحلة متقدمة والذى سيتخصص فيه الآن هو الطرق المختلفة فى التعليم .

الفاتح ابراهيم أحمد

● أعتقـد أن قضية الشعر ومشكلة الكتابة عامّة مردّها إلى أن أساس اللغة العربية ضعيف وقد تعقدت المشكلة حتى إن حلها يوشك إلى الاستحالة

● نحن الآن نعدّ التخصص في اللغة العربية بمنزلة التخصص في الطب مثلاً.. وهذا خطأ.. لأن اللغة العربية ليست بمهنة وإنما هي أداة تدريس

درويش مصطفى الفار

لكي لا نندثر ونفنى

لايزال علماء الحياة القديمة (الباليانتولوجيا) يقفون حيارى مشدوهين بعيدين جداً عن تفسير صحيح ، مقبول علميا ووجدانيا ، لناموس من نواميس الله فى الخلق ، يتجلى فى ظاهرة انقراض واندثار انواع من النبات والحيوان التى ازدهرت ، وصالت وجالت ، فى بحار الأرض ، وانهارها ، واوديتها وغاباتها ، وجوها ، منذ ملايين السنين ، ثم زالت دولتها فجاة ، ولم يبق منها ما يدلنا على انها (كانت) .. إلا اشلاء منها استحجرت فى صم الحجارة مذ كانت رطبة كما يقول شاعرنا الأموى (الطرماح) :

لنا المجد إذ صم الحجارة رطبـــة
وعهد الصفا باللين من اقدم العهد

ولا ادرى إذا ما كان الطرماح ، رحمه الله ، يعنى بقدم العهد ملايين السنين .. فمن تلك الأنواع المندثرة اشجار كانت تشبه النخيل ، واخرى تحاكى الصنوبر و (ارز لبنان) لانزال نعثر على مستحجرات من اوراقها وثمارها ، بل وجذوعها وصموغها وحبوب لقاحها ، فى طبقات الفحم الحجرى ، فى بلاد كثيرة كما فى سيناء مصر ، وفى المغرب الأقصى ، وفى عمان ، وفى اليمن (لا احدد الشمالى أم الجنوبى) ... وحيوانات قشرية مثل (الجمبرى والاستاكوزا وابى جلمبو) يسمونها ثلاثيات القصوص ، عاشت فى بحار حقب الحياة القديمة منذ اكثر من ثلاثمائة مليون سنة ثم اختفت دون إنذار ... وحيوانات ضخمة رهيبة ، كان منها السابح والطائر وما يمشى على بطنه ، أو رجليه وذيله، او اربعة ارجل ، سموها الديناصورات ، بعضها كان ياكل غيره من الحيوان ، والبعض الآخر كان نباتيا يعاف اللحم والعظم ... وحيوانات اخرى لا شبيه أو قريب لها اليوم ، من حيوان شائع فى بحارنا المعاصرة إلا الاخطبوط و (ام الحبر) .. كانت تعيش فى قواقع حلزونية تتميز بحزوز معقدة مسننة ، تفصل ما بين مراحل نموها ، فى صور واشكال تساعد على اتخاذها (حفريات دالة) مؤكدة ، لتمييز طبقات عصر جيولوجى يسمونه الجوروى ، نسبة الى جبال جورا فى حواف كتلة مرتفعان الألب الشهيرة .. عاصرت دولة الديناصورات فى عنفوانها ، وخلا منهما مسرح الحياة معا فجاة ، دون سبب نعلمه حتى الآن يقينا ... ولا يفتا العلماء يقدمون من التفسيرات ، ما يحلو لهم ، ولكن هذه التفسيرات احيانا ، رغم التقدم العلمى والتكنولوجى (المادى) الهائل فى عصرنا ، لا تخلو من مذاق (فقه بيزنطة) الذى اضاع وقتا ، لاباس به ، فى مسالة البيضة والدجاجة ... فمن تلك المحاولات للتفسير ، القول بانه يمكن تصور ان الديناصورات فيما بينها (عائليا) كانت تتزاوج احيانا ، كما تفعل الأتن والخيل ، فتلد بغالا ديناصورية عقيمة ، حتى انتهى بها شيوع العقم الى الفناء والاندثار ... ويقول آخرون بان براكين او مياها جوفية حارة مصحوبة بغاز كبريتيد الهيدروجين السام ، قتلت تلك المخلوقات عن بكرة ابيها .. او ان وباء ديناصوريا ؛ كالكوليرا والجدرى والطاعون ، سلطه الله على تلك الحيوانات حيث لم يك فى حوزتها طب وقائى ، ولا امصال ، أو لقاحات ، فبادت الى غير رجعة .. الى قائل يقول ... بان مراحل خلق النجوم ، التى تشبه شمسنا التى نعرفها ، يتاتى من ورائها اشعاعات ذات اطوال موجات تتفق مع نوع العنصر الذى يتكون داخل ذلك الفرن الذرى الهائل ، وان تحمل انواع الأحياء ليس ثابتا لكل اطوال الموجات ، فتميتها تلك الموجات التى لا تناسبها .. وقال لى عالم الفضاء الدكتور (جون اوكيف) اثناء تجاذب اطراف الحديث معه فى واشنجطن ، إنه مؤمن بان سحبا من الغبار الكونى المعتم ، مرت ، (وستمر فى اعتقاده) بجو الأرض خلال فترات من الزمان ، فتحجب



ضوء الشمس ، عن الأرض نهائيا ، فتشل حركة الحياة نباتاً وحيواناً ، فتهلك أصناف من النبات والحيوان ، فزعا أو جوعاً ، وينجى الله الصابرين ...

ولئن جاز تعدد الآراء ، وتشعب الأفكار ، فى مضمار محاولات تفسير اندثار انواع من النبات والحيوان ، منذ ملايين السنين .. ولئن وجدنا عذراً للهنود الحمر اهل أمريكا الأصليين ، أو لسكان استراليا البدائيين ، إذ باغتتهم عوامل الابادة فجاة ؛ فاننى أتساءل ، ويتساءل معى كل مهموم محزون لحالة هذه الأمة ، فى كل اقطارها .. هل يجوز لنا الاستمرار على ما نحن فيه ، مسيرين ، بمحض اختيارنا ، نحو مصير النباتات والحيوانات التى لم يبق منها إلا حفرياتها ... فالى متى تظل طبول موكب الفناء تدق والحـــانه الجنـــائزية تعزف :

- فى لبنان الدامى الجريح ...
- بين العراق وايران ...
- بين اليمنين .. والجنوبى منهما وعمان ...
- بين مصر وليبيا والسودان .. وفى تشاد .. واوغندة.
- على شاطىء المحيط والبحر فى المغرب الأقصى ...
- بين سوريا والعراق والأردن ...
- فى الصومال واريتريا ...
- حول القبلة الأولى للاسلام ، ومهد المسيح عليه السلام ؟؟؟
- فى افغانستان .

ناهيك عن ماسى الأقليات التى تشهد الا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...

والى متى نظل باسلوب فقهاء بيزنطة ، نعقد اللقاءات والمؤتمرات واللجان ، وندبج المقالات والقصائد ، والأحاديث ، والكتب ، والأبحاث ، دون أن نصل الى مغنم يحول بيننـــا وبين ما اصــــاب الديناصورات ؟

والى متى سنظل غارقين فى لجة الديكتاتوريات ، المقنعة والمعلنة ، سادرين فى عماية تحجب عن بصائرنا الأعداء (الحقيقيين) لأمتنا المتربصين بها الدوائر ، وتغض ابصارنا عن نفر من انفسنا وبين ظهرانينا قد يكون منهم صنو ورفيق (لكمال امين ثابت ايلى كوهين) صاحب القصة المشهورة فى التاريخ العربى المعاصر ، ونتغافل فى بلاهة عن سموم التخريب (الحقيقية) فيما تتقيؤه اذاعاتنا المرئية والمسموعة ؟؟؟ اعتقد انه قد آن الأوان ، قبل ان نصبح حفريات بين أيدى علماء الباليانتولوجيا ، ان نشكل (جماعة) شعبية حكومية من علمائنا ومفكرينا وأساتذة جامعاتنا ، المشهود لهم على مستوى الوطن الاسلامى كله ، بالخلق والعقل والحكمة والغيرة وعدم الانحياز لغير العروبة والاسلام ... علهم أن يصلوا الى ما لم يصل اليه من قبلهم من المؤتمرات واللجان التى لا يحصيها العد ، فى تاريخ هذه الأمة الحديث ...

درويش مصطفى الفار



رسائل غير عادية

إلى فتاة ويلز

معروف رفيق

اليك ايتها الفتاة الذكية ، يا صاحبة الأنامل البارعة ، ويا ذات الارادة الحية القوية ، اكتب هذه الكلمات ، عساها تصلك ، فى كوخك المتواضع ، فى قرية بيل كاى باوسا ويلز ...

قرات عن كفاحك الذى تحدثت عنه الصحف ، وكيف انك اعدت لأنوال النسيج اليدوية ، أمجادها الغابرة ، وايامها الخوالى ، عندما اقتنيت مغزلا قديما ، تحولين بواسطته ، ما تجمعينه من شعر كلاب سيبريا البيضاء ، الى معاطف جميلة ، تبيعينها باغلى الأسعار ..

وقد ادهشتنى الفكرة يا انستى ، لأنك تستغلين ما تساقط من شعور تلك الكلاب البيضاء ، القادمة من سيبيريا الجليدية ، وتغزلينها فى صمت وداب .. لتوضع على اكتاف امثالك من الفتيات ...

كما ادهشنى ان اسمك المتواضع ، قد ادرج فى دليل الصناعات والمهن المحلية ، بامر من مجلس تنمية الريف

اى تكريم للعمل هذا الذى نقرا عنه ؟.
واى اهتمام بالعاملين والعاملات ،

بل اى ذكاء هذا الذى جعل فتاة مثل مورين برين ، تستغل شعور الكلاب عندما تتساقط ، لتحيلها الى معاطف مغزولة ؟ ..

لقد شاهدت صورتك المنشورة فى احدى الصحف ، وانت تجلسين الى مغزلك القديم ، الذى يعمل برشاقة الأنامل وحركة القدمين ...

هل تصدقين انك تذكرينني بجدتى ، التى كانت تملك مغزلا صغيراً ، تغزل بواسطته صوف الخراف أو الماعز ؟ .

اسمحى ان انقل اليك اسمى تحياتى ، وفائق تقديرى ، لأنك اتخذت من العمل الشريف ، دونما استنكاف او اشمئزاز من عمل بسيط كهذا ، وسيلة للعيش الشريف .

بل اسمح لنفسى ان اهنئك بحرارة ، لأنك اخترت المجال المناسب ، لعمل يشرف المراة ، لانها تبدع فيه أيما ابداع .

يا فتاة ويلز ، يا صاحبة المغزل اليدوى .. تيهى بنشر اسمك فى سجل المهن اليدوية ، وفى دليل الصناعات التى عادت للحياة ...

فامثالك جديرات بالحياة .



ضوء الشمس ، عن الأرض نهائيا ، فتشل حركة الحياة نباتا وحيوانا ، فتهلك اصناف من النبات والحيوان ، فزعا او جوعا ، وينجى الله الصابرين ...

ولئن جاز تعدد الآراء ، وتشعب الأفكار ، فى مضمار محاولات تفسير اندثار انواع من النبات والحيوان ، منذ ملايين السنين .. ولئن وجدنا عذرا للهنود الحمر اهل امريكا الأصليين ، أو لسكان استراليا البدائيين ، إذ باغتتهم عوامل الابادة فجأة ؛ فاننى اتساءل ، ويتساءل معى كل مهموم محزون لحالة هذه الأمة ، فى كل اقطارها .. هل يجوز لنا الاستمرار على ما نحن فيه ، مسيرين ، بمحض اختيارنا ، نحو مصير النباتات والحيوانات التى لم يبق منها إلا حفرياتها ... فالى متى تظل طبول موكب الفناء تدق والحـــانه الجنـــائزية تعزف :

- فى لبنان الدامى الجريح ...
- بين العراق وايران ...
- بين اليمنين .. والجنوبى منهما وعمان ...
- بين مصر وليبيا والسودان .. وفى تشاد .. واوغندة.
- على شاطىء المحيط والبحر فى المغرب الأقصى ...
- بين سوريا والعراق والأردن ...
- فى الصومال واريتريا ...
- حول القبلة الأولى للاسلام ، ومهد المسيح عليه السلام ؟؟؟
- فى افغانستان .

ناهيك عن مآسى الأقليات التى تشهد الا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ...

والى متى نظل باسلوب فقهاء بيزنطة ، نعقد اللقاءات والمؤتمرات واللجان ، وندبج المقالات والقصائد ، والأحاديث ، والكتب ، والأبحاث ، دون أن نصل الى مغنم يحول بيننـــا وبين ما اصـــاب الديناصورات ؟

والى متى سنظل غارقين فى لجة الديكتاتوريات ، المقنعة والمعلنة ، سادرين فى عماية تحجب عن بصائرنا الأعداء (الحقيقيين) لأمتنا المتربصين بها الدوائر ، وتغض ابصارنا عن نفر من انفسنا وبين ظهرانينا قد يكون منهم صنو ورفيق (لكمال امين ثابت ايلى كوهين) صاحب القصة المشهورة فى التاريخ العربى المعاصر ، ونتغافل فى بلاهة عن سموم التخريب (الحقيقية) فيما تتقيؤه اذاعاتنا المرئية والمسموعة ؟؟؟ اعتقد انه قد آن الأوان ، قبل أن نصبح حفريات بين أيدى علماء الباليانتولوجيا ، ان نشكل (جماعة) شعبية حكومية من علمائنا ومفكرينا واساتذة جامعاتنا ، المشهود لهم على مستوى الوطن الاسلامى كله ، بالخلق والعقل والحكمة والغيرة وعدم الانحياز لغير العروبة والاسلام ... علهم أن يصلوا الى ما لم يصل اليه من قبلهم من المؤتمرات واللجان التى لا يحصيها العد ، فى تاريخ هذه الأمة الحديث ...

درويش مصطفى الفار



رسائل غير عادية

إلى فتاة ويلز

معروف رفيق

اليك ايتها الفتاة الذكية ، يا صاحبة الأنامل البارعة ، ويا ذات الارادة الحية القوية ، اكتب هذه الكلمات ، عساها تصلك ، فى كوخك المتواضع ، فى قرية بيل كاى باوسا ويلز ...

قرات عن كفاحك الذى تحدثت عنه الصحف ، وكيف انك اعدت لأنوال النسيج اليدوية ، امجادها الغابرة ، وايامها الخوالى ، عندما اقتنيت مغزلا قديما ، تحولين بواسطته ، ما تجمعينه من شعر كلاب سيبيريا البيضاء ، الى معاطف جميلة ، تبيعينها باغلى الأسعار ..

وقد ادهشتنى الفكرة يا انستى ، لأنك تستغلين ما تساقط من شعور تلك الكلاب البيضاء ، القادمة من سيبيريا الجليدية ، وتغزلينها فى صمت ودأب .. لتوضع على اكتاف امثالك من الفتيات ...

كما ادهشنى أن اسمك المتواضع ، قد ادرج فى دليل الصناعات والمهن المحلية ، بامر من مجلس تنمية الريف

اى تكريم للعمل هذا الذى نقرا عنه ؟. واى اهتمام بالعاملين والعاملات ،

بل اى ذكاء هذا الذى جعل فتاة مثل مورين برين ، تستغل شعور الكلاب عندما تتساقط ، لتحيلها الى معاطف مغزولة ؟ ..

لقد شاهدت صورتك المنشورة فى احدى الصحف ، وانت تجلسين الى مغزلك القديم ، الذى يعمل برشاقة الأنامل وحركة القدمين ...

هل تصدقين انك تذكريننى بجدتى ، التى كانت تملك مغزلا صغيراً ، تغزل بواسطته صوف الخراف أو الماعز ؟ .

اسمحى ان انقل اليك اسمى تحياتى ، وفائق تقديرى ، لأنك اتخذت من العمل الشريف ، دونما استنكاف او اشمئزاز من عمل بسيط كهذا ، وسيلة للعيش الشريف .



بل اسمح لنفسى ان اهنئك بحرارة ، لأنك اخترت المجال المناسب ، لعمل يشرف المراة ، لأنها تبدع فيه أيما ابداع .

يا فتاة ويلز ، يا صاحبة المغزل اليدوى .. تيهى بنشر اسمك فى سجل المهن اليدوية ، وفى دليل الصناعات التى عادت للحياة ...

فامثالك جديرات بالحياة .

صـــلاح عبدالصبور

مشارف الخمسين*

على الشاطئ الغربي .. لأول مـــرة

ان الأوان أن أرسى على شط حروف لغة الفرنجة ، فنحن ننمو عقليا وذوقيا فى هذا الزمن الحديث ، وقد وقر فى اذهاننا الا خلاص لنا إلا بادراك ما عليه هؤلاء القوم من علم وفن وذوق . ورغم اننى حين انتظمت طالبا فى الجامعة منذ ثلاثة وثلاثين عاما ، كنت طالب لغة العرب وادابهم ، إلا أن الأسماء التى كانت تقرع اذاننا كل صباح او معظمها ، كانت اسماء أجانب ، وكفى بالفرع العاتى من المستشرقين دليلا على ذلك . فان قراءة طه حسين كانت تقودنا الى نالينو ، وقراءة تاريخ العقائد الاسلامية كانت تقودنا الى اجناس جولد تسيهر ، والبحث عن مصادر الأدب العربى كان يقودنا الى نولدكه . وهكذا كان الحال فى مجال الدرس الأدبى ، أما فى مجال الذوق فقد كان المناخ الأدبى آنئذ عامرا باسماء المدارس الأدبية الأوروبية المتوالية منذ نشات الرمزية فى أواخر القرن الماضى ، ونازعتها البارناسية فى فرنسا افاقها ، ثم خلعت السيريالية ضبابها على ارض الشعر ، وعبثت بها ما طاب لها العبث ، حتى ولدت منها سقيطتها الدادية ، ثم ولدت الواقعية الاشتراكية ، وانطلقت الوجودية بمذهبها الحديث فى النظر الى الانسان والفن .

كانت أسماء كثيرة تتردد فى أروقة كلية الآداب وقاعاتها ، وكان كل من سمع من الطلاب عن مذهب أو اسم علم من الأعلام يعتنقهما عند أول بادرة نقاش . فلدينا عشرات من الجوركيين (جمع جوركى) والسراترة (جمع سارتر) والالاتيه (جمع إليوت) الى اخر هذه القائمة الطويلة من الاعلام ، واذكر فى ذلك الوقت أن كل من كتب حرفا فى النقد أو التذوق كان يحرص على ان يحليه باقتباس بعض خطرات هؤلاء الفرنجة ، حتى اننى اقرأ الآن كتبا لنقاد جهيرين من نقاد ذلك الزمان ، فاجدهم يقتبسون اسم هذا الكاتب او ذاك فى نسق خاطىء وبابتسار مخل شديد الاخلال . ولكن ماذا قد يصنع امثالنا من المتطلعين وعينهم بصيرة بالفن ، ويدهم قصيرة عن الوصول الى هذه المنابع الثرية والارتواء من مائها ، فهم يقنعون بهؤلاء الوسطاء الذين ادركوا لغة الغرب وقراوا بها ، ثم شغلوا انفسهم وشغلونا بهذه الترجمات والملخصات والتعليقات .

مع الدكتور بدوى

ولا اظن ان احدا من ابناء جيلى لم يقرا مؤلفات الدكتور عبد الرحمن بدوى ومترجماته ، والدكتور بدوى رجل قوى الشخصية العقلية والذوقية بلا شك ، ولذلك فان نيتشه او شوبنهور أو أرسطو الذين قدمهم لنا ليسوا هم ذواتهم الحقة ، بقدر ما هم صور منعكسة فى مرآة بدوى . فقد صنع بدوى بالفلسفة المعاصرة وبالفن المعاصر ما صنع ابن رشد والفارابى بأرسطو القديم ، إذ قدموه لنا فيلسوفا مشغولا بمشاكل المجتمع الاسلامى العقلية ، وكذلك فعلوا بافلاطون الحكيم وبافلوطين اللاهوتى . وكان صنيع بدوى هو ان جعل روحه القلق الشاعرى المتطلع للآفاق البعيدة يحلق فوق هؤلاء الأعلام ، ويظللهم بجناحيه الواسعين .

ولكن فضل بدوى لا ينكر ولا يجحد ، وكيف لنا ونحن نتعثر فى قراءة الانجليزية ان نرتاد هذه القمم الأولمبية الشامخة ، او نتسلل الى هذه الغابات الجرمانية السوداء . فليجز الله عنا الدكتور عبد الرحمن بدوى خير الجزاء .

ـ وأذكر من معالم القراءات فى ذلك الزمان كتاب الدكتور لويس عوض عن الأدب الانجليزى الحديث ، الذى انتظم مجموعة من المقالات كتبها لويس فى

د. طه حسين



شبابه الباكر فى مجلة «الكاتب المصرى» التى كان يرأس تحريرها طه حسين ، كما أذكر له مقدمته لترجمة «بروميثوس طليقا» للشاعر شللى ، ولقد كان الدكتور عوض فى ذلك الوقت مشغولا الى جانب الرؤية الفنية بالجانب الاجتماعى فى نتاج الادباء الذين عنى بهم ، فاذا كان بدوى يقدم لنا هؤلاء الأعلام كأرواح قلقة ، فان لويس يقدم لنا أعلامه كعقول مدركة فاعلة .

وأذكر ايضا كتاب الدكتور محمد مندور «نماذج بشرية» الذى نثر فيه طائفة من شخصيات الأدب العالمى ، لا الادباء بل الأبطال وأشباه الابطال الروائيين والمسرحيين ، مستطردا فى لغة عذبة الى جلاء واقعهم الذى خلقهم ، وآفاقهم التى خلقوا فيها ، ثم الرمز الانسانى والأخلاقى الذى حملوه للاجيال . فلقد كان مندور فى ذلك الوقت نموذجا للناقد الفنى الأخلاقى ، بينما كان لويس عوض ناقدا فى رؤية اجتماعية ، وأظن ان المواقف قد تبدلت كثيرا عند هذين الناقدين الرائدين فيما بعد .

كان ذلك هو بعض القدر الرصين من تعريف نقاد ذلك الزمان لنا بالأدب الأوروبى ، تقدم به ثلاثة من جيل الوسط من الاكاديميين ، وذلك بعد أن ارتاد طه حسين الطريق ومهده ، أما محاولات الهواة وأشباه القراء فقد طالما أساءت الى معرفتنا وضللتنا عن ادراك القيمة الحقيقية لما نقرأ . اذكر الآن ناقدا من المع نقاد ذلك الزمان ، وأقرأ ما كتبه عن «سارتر» الذى كان ولوعا بذكره ، ثم أعود الى سارتر الذى اقتنيته أصيلا ومترجما فيما بعد فلا أكاد أجد شيئا من الصلة بين سارتر الحقيقى وسارتر المبتدع .

ولقد كان على محمود طه مولعا بذكر أسماء الشعراء الفرنسيين فى تخريج قصائده ومطالعها والتعريف باتجاهاتهم الادبية ، ولا أظن ان شيئا من ذلك كان مجديا بحق للقارىء ، كما أولع بعض النقاد بالمقارنة بين إلياس ابى شبكة وبودلير ، أو بين بعض شعراء الرومانتيكية المصرية وشعراء البحيرة الانجليز ، دون قدر واف من علم ، ولكنها البادرة النقدية غير المؤصلة أو المدروسة .

مع ت . س . اليوت

كان ذلك حالى مع أدب الفرنجة ، حتى رزقنى الله من حيث لا أحتسب بمن شق لى الطريق ، وشجعنى على الولوج متكئا على الانجليزية وبعض الفرنسية الى هذا العالم الطريف .

كان الشاعر الناقد ت . س . اليوت قد هبط الى بلادنا لاول مرة على صفحات كتاب لويس عوض عن الأدب الانجليزى الحديث ، ولكن لويس عوض حذرنا منه كأنه الحلوى السامة حين قال انه شاعر عظيم ورجعى عظيم ايضا . ولقد كانت كلمة «رجعى» فى تلك الفترة أسوأ الكلمات وقعا فى آذاننا . ولكن صديقا قديما يسبقنى فى الجامعة ببضعة أعوام قال لى ذات مرة إن مجموعة من شعر إليوت ترقد فى مكتبة الجامعة التى كان يعمل بها ، ثم استعارها لى . وقرأناها معا ، وقرأنا خطراته النقدية أو بعضها أيضا معا .

كان ذلك الصديق هو الناقد القصاص «بدر الديب» ، ولا أظن أن كثيرا من أهل زماننا يعرف أمور الفن والأدب معرفة حقة كما يعرفها بدر ، ولا أعرف احدا تحمس لتجربتى الشعرية فى إبانها الأول كما تحمس لها بدر . ولقد كتب بدر مقدمة ديوانى الأول «الناس فى بلادى» .. عام ١٩٥٧ ، وفى بيته احتفلت احتفالا يتيما بهذا الديوان حين صدر ، فأولم بدر وليمة دعا اليها حفنة من صحابنا ، وذكرنى بما كان يقال من ان القبيلة كانت اذا نبغ فيها شاعر أولمت الولائم ودقت الطبول .. على فرض أننى كنت حقا قد نبغت أو قاربت النبوغ .

ولكن يا للذكريات ووطأتها على النفس .. ها أنذا أثب هكذا سبع سنوات أو ثمان لأتوقف عند مساء أجده طاويا ما سبقه من أصباح وأمسيات طوال . فقبل هذه الليلة بسنوات كنت قد غمست نفسى فى لغة الفرنجة وآدابها غمسا ، لا شعرها فحسب ، بل رواياتها ومسرحها وبعض فلسفتها ونقدها ، كما كنت قد عودت عينى على مطالعة جمال اللوحات الفنية واستشراف موسيقاها اللونية والتشكيلية . فأنا أحد عشاق الفن التشكيلى فى هذا الزمان المختلط الدميم وأحد الذين يعتقدون أن الحضارة العربية قد فقدت كثيرا من مقوماتها فقدت هذه الحاسة التشكيلية التى كانت تتجلى فى عمارة المساجد وتزيين الكتب وتجميل الخط ، وكانت آخر مذابح التشكيل هو اهمالنا المتعمد لتزيين الخطوط وتحسينها ، حتى ماتت مدرسة الخطاطين المسلمين .

ولا أذكر صديقى بدر الديب إلا وذكرت صديقى عبد الغفار مكاوى ، فقد كان عبد الغفار مكاوى — ومازال — مثقفا طلعة كما يقول القاموس فى وصف أمثاله

ت . س . إليوت



د. محمد مندور




د. لويس عوض

مشارف الخمسين

على الشاطئ الغربي ..لأول مـــــرة

اى متطلعا الى اجتياز الواقع الثقافى الى آفاق جديدة ، وهو الذى حدثنى عن مجموعات من الشعر الأوروبى فى مكتبة الجامعة كان قد سبقنى الى قراءتها ومحبتها ، وكان من اولها فيما اذكر مجموعة مترجمة الى الانجليزية من شعر الشاعر الألمانى رينر ماريا ريلكه شاعر رومانتيكية اوائل القرن العشرين .

وكما يحدث فى الحياة أن يقودك صديق ، كذلك يقودك الأدباء الذين تقرا لهم الى اصدقائك الجدد ، ومن قراءة إليوت وشعره ونقده ، عرفت من يحبهم من الشعراء الميتافيزيقيين الانجليز ، ورأسهم جون دون ، وعرفت دانتى الايطالى فى كوميدياه المقدسة ، وعرفت استاذه عزرا باوند ، وأتباعه المتمردين وعلى رأسهم الشاعر الانجليزى المتامرك الكبير دبليو . هـ . أودن ، وعن طريق آخر هو طريق الحب عرفت الشاعر الايرلندى ييتس والشاعر الويلزى ديلان توماس ، وكلاهما قرأته لي صديقة كريمة . وكذلك قدمتنى صديقة كريمة الى عالم الروائى الأمريكى وليام فوكنر الذى كانت تعشقه عشقا ، حين قالت لي : إنه شكسبير العصر الحديث .. نثراً .

والآن يبقى لي من ذلك الزمن المنهوم بالقراءة ظلال وظلال ، لعل أجدرها بالذكر هى الظلال التى خلفها إليوت العظيم .

وقد يكون أعظم مافى إليوت كما قال سبندر هو انه جمع بين ضدين ، اولهما الطابع الروحى السلبى لعالمنا المعاصر ، وثانيهما الطابع الروحى الايجابى للتقليد الذوقى والفنى فى العالم القديم ، فقد كان شاعرا ممسوسا بفكرة الزمن ، ولقد التقى فى شعره الماضى والحاضر فى هيئة رموز تكشف حين التامل فيها عن قيم اجتماعية ودينية بالغة العمق . وليس تفرد إليوت إلا أثراً من آثار ثقافته الواسعة ، فقد درس الفلسفة والتراث الانسانى دراسة مستوعبة ، ولعل ذلك يكون حافزا لشعرائنا الطالعين لكى يدركوا أن الثقافة مقوم رئيسى من مقومات شاعر العصر .

وإنى لأرى الآن بعد مرور الزمان أن إليوت لم يكن هروبيا ولا رجعيا . فقد هاجمه كثير من ناشئة الشعراء فى عصره زاعمين أنه يهرب الى العالم القديم يتخذ منه موضوعاته ورموزه زهدا فى العالم الحديث . ويبدو لي الآن أن هذه مقولة متعجلة ، فلم يكن إتكاء إليوت على الماضى إلا رغبة فى عرض الحاضر بفقره الروحى عليه ، لكى يكون ذلك دافعا لأبناء هذا الحاضر أن يتجاوزوا إملاقهم الروحى والفكرى ، وهو رأى إليوت ، حين انطلق من مقولة بودلير ان هذا العالم الحديث عالم خرب ومزيف لم يقف عند ذلك الحد ، بل تجاوزه مشيرا الى طريق الخلاص .



علي محمود طه

وربما كان طريق الخلاص الذى اختاره إليوت ، وهو الدين ، طريقا غير مجمع عليه ، فى عصر يزدهى بالعلم والاحصاء ، ولكنه على أى حال احد الطرق المطروحة على الوجدان المعاصر .

لم يكن إليوت إذن مجرد متنبىء ، بل كان داعية واقعيا ، أى متصلا بالواقع ، وكان هذا هو سر جاذبيته التى خلقت له مكانة سامقة فى عالمنا الشعرى المعاصر .

انصاف مع النفس

ولقد شغل كثير من النقاد بالمقارنة بين مسرحية إليوت الشعرية «جريمة قتل فى الكاتدرائية» وبين مسرحيتى «ماساة الحلاج» حتى غدا هذا الموضوع احد الموضوعات الرئيسية فى الأدب المقارن فى جامعاتنا العربية .

وقد يفزع غيرى لهذا الموضوع ، ففيه اتهام بالمحاكاة أو السرقة مما ينفى اصالة الشاعر ، ولكن رجلا مثلى قرأ نظرية إليوت فى الموروث الأدبى لابد أنه قد نقد هذه الحساسية المريضة . فليس التراث إلا صفحات ممتدة يفيد منها لاحق من سابق ، ومتعلم من معلم .

ولكنى ـ انصافا لنفسى ـ أقول اننى لم انسج على منوال إليوت ولم أقع تحت أفراس عربته المطهمة . فمازال لدي تصوري الخاص للمسرح حتى هذا الفرع الذى تنتمى اليه المسرحيتان ، وهو مسرح الاستشهاد والقداسة ، الذى تنتسب اليه أيضا مسرحيات «التعزية» الفارسية ، ومسرحية «القديسة جون» لبرنارد شو ، و «رجل الله» لجان أنوى ، وغيرهما .

ولعل أكبر أثر لاليوت فى تفكيرى هو أثره كناقد ، فهو إذا طعن بعض رصفائه فى شاعريته ، مثل روبرت جريفز الذى كتب عنه أسوأ مايكتب ، هو ناقد مجمع على ثقافته ونفاذ فكره وعمق حاسته . ومن المستطاع بلا شك أن يضاف اسمه الى اسماء النقاد الكبار أصحاب النظريات النقدية ، مثل أرسطو ولسنج وكولردج وريتشارد وغيرهم .

ولكن هذا حديث متعجل ، فلنتمهل له ولأمثاله قليلا فى إطلالة قادمة .

صلاح عبد الصبور

د. محمد عماره

السّلفيّة ..



مصطلح «السلفية» من المصطلحات التى يحيط بمضمونها الغموض ، فى عدد من الدوائر الفكرية والسياسية فى واقعنا العربى والاسلامى المعاصر ..

فهناك من يرون فى «السلفية» و «السلفيين» : التيار المحافظ والجامد فى حياتنا الفكرية ، وفى الجانب الدينى من هذه الحياة على وجه الخصوص .. وهناك من يرون فى «السلفية» وأهلها : التيار الأكثر تحرراً من الخرافة والبدع ، ومن ثم الأكثر استنارة فى مجال الفكر الدينى بالذات !

وهذا الغموض ، أو عدم التحديد ، لم ينشأ من الوهم أو الفراغ ، ذلك أن من الذين ينتسبون الى «السلفية» من هم ، بالفعل ، محافظون وجامدون . ومنهم من هم فى الطليعة المنادية بالتجديد الدينى وضرورة فك إسار العقل من قيود الخرافة والبدع والتقليد !.. كما أن منهم من يرى «سلفه الصالح» ، الذى يترسم خطاه ، فى «علماء» عصور الانحطاط والركاكة المظلمة التى مرت بأمتنا تحت حكم المماليك والعثمانيين .. ومنهم ، أيضاً ، من يرى «سلفه الصالح» فى أعلام عصر الخلق والابداع والازدهار الذى عرفته امتنا ، وبلورت فيه حضارتها «القومية ـ العقلانية ـ المستنيرة» ، قبل انحطاط عصر المماليك .. وأيضاً فمن «السلفيين» من يتنكر للعقل ، كقوة انسانية ، عندما ينكر عليها القدرة على البرهنة والحكم والتمييز بين ما هو حسن ونافع وما هو قبيح وضار ، ويحصر القدرة على ذلك فى النصوص والمأثورات وحدها .. على حين أن من «السلفيين» من يعلى مقام العقل ويعزز من سلطانه ، حتى ليعتبره أجل القوى التى ميز الله بها الانسان وأعظمها ، ومن ثم يمنحه الاستقلال فى مجال «عالم الشهادة» وفى نطاق الحياة الدنيا وما بها من ظواهر وعلوم ومعضلات ، على حين يجعل السلطان للنصوص والمأثورات فى نطاق «عالم الغيب» الذى لم ولن يدرك العقل كنهه ، وإن كان هو الاداة فى فهم ما جاءنا حوله من نصوص ومأثورات ! .

إذن .. فنحن بإزاء مصطلح يحيط بمضمونه الغموض وعدم التحديد ..

وإذا نحن ذهبنا نلتمس معنى هذا المصطلح فى القرآن الكريم فاننا نجد ان «السلف» يعنى : «الماضى» وما سبق الحياة الحاضرة التى يحياها الانسان (فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ما سلف) (عفا الله عما سلف) (إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف) .. فالسلف هنا هو : «الماضى» ، وما سبق وتقدم على الحياة الحاضرة للانسان ..

ونفس هذا المعنى يدل عليه هذا المصطلح فى الحديث النبوى الشريف ..



فعندما حضرت الوفاة رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال لابنته فاطمة : «... ولا أراه إلا قدحضر اجلى ، وإنك أول اهل بيتى لحوقاً بى ، ونعم السلف أنا لك !» .. كما نجده مستخدماً بالمعنى الشائع فى دوائر المال والتجارة ، أى اقراض المال ، فالسائب بن أبى السائب يروى : «انه كان يشارك رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قبل الاسلام ، فى التجارة ، فلما كان يوم الفتح جاءه ، فقال النبى : مرحباً بأخى وشريكى ، كان لا يدارى ولا يمارى ، يا سائب ، قد كنت تعمل أعمالا فى الجاهلية لا تقبل منك ، وهى اليوم تقبل منك . وكان ذا سلف وصلة» .. أى كان يقرض المال ويصل الأرحام ! .

وفى معاجم اللغة لا يختلف مضمون هذا المصطلح عن ذلك الذى وجدناه فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ... ونحو ذلك ، أيضاً ، نجد مضمون المصطلح فى (كشاف اصطلاحات الفنون) للتهانوى .. «فكل من تقدمك من ابائك وقرابتك فهو سلف لك .. والسلف ـ فى الشرع ـ اسم لكل من يقلد ـ (بالبناء المجهول) ـ مذهبه فى الدين ويتبع ـ (بالبناء للمجهول) ـ أثره .. وقد يطلق السلف شاملا للمجتهدين كلهم ..»

هكذا نجد مصطلح «السلف» و «السلفية» واضح المعنى محدد المفهوم .. غير أنه مثير للغموض وعدم التحديد ؟! .. فهو يعنى : «الماضى» .. لكن أى ماض ؟! .. ويعنى السابقين .. لكن أى تيار من تيارات السابقين ؟! .. تلك هى القضية ، وتلك هو سر الغموض !

صرخة مثقف إنجليزي حول المسرح العربي

مطلوب
مؤتمر للمسرحيين العرب في لندن

• كين ويتنجهام

قبل اسابيع قليلة رفع مندوبو الدول العربية بمنظمة الأمم المتحدة احتجاجاً شديداً على برنامج تلفزيونى أعدته وأذاعته شبكة اى بى سى الأمريكية عن الصراع فى الشرق الأوسط ، مشوهة صورته وطبيعته . وليست هذه هى المرة الأولى التى تمارس فيها تلك الشبكة التلفزيونية الأمريكية تحيزاً صارخاً ضد العرب . والمؤسف حقا ان مثل هذه الأفلام ومواجهة العرب لها بالاحتجاج امر أصبح مألوفا فى الغرب . وما «موت أميرة» الذى أثار عاصفة من الغضب فى العالم العربى كله سوى مثال واحد فقط .

ومع ذلك ، فأن الاحتجاج وحده لا يلغى الآثار السلبية العميقة التى يتركها فيلم . ولا يمكن إيقاف الاستمرار فى تشويه صورة العرب بردود الفعل السلبية ، وإنما بالعمل الايجابى . ان رجل الشارع فى أوروبا ليس ملوما لكونه يصدق ما يعرض عليه من شاشة التلفزيون .. لأنه لم يجد فرصة لمعرفة اى شىء عن العالم العربى خارج نطاق الجدل السياسى والتذمر من ارتفاع أسعار النفط . وهو باختصار لا يعرف شيئاً عن العربى كانسان ، ولا عن المجتمع العربى ككائن حى لا يختلف عن مجتمعه هو نفسه إلا فى درجة التطور .

إن التفاهم بين الناس العاديين ــ لا بين الحكومات ــ لا يتم عادة إلا فى مجال التبادل الثقافى .. سواء كان ذلك عبر المسرح ، أو الأفلام ، أو الرواية ، أو أى شكل آخر من اشكال التعبير . ومع ذلك ، وعلى الرغم من وفرة الانتاج الأدبى والفنى المؤثر من إبداع الفنانين والكتاب العرب فى الخمسة والعشرين عاما الماضية ، فان تلك الأعمال مازالت بعيدة عن متناول العالم الخارجى إلا ما عالجه منها عدد قليل من المستشرقين .. وهم ، كما يتوقع ، لا يهمهم أن يهبطوا من ابراجهم الأكاديمية العاجية ليقدموا حصيلة معرفتهم المتخصصة الى الجمهور العام . ولكننا لا نستطيع القاء اللوم كله على جماعة ضئيلة الحجم كالمستشرقين ، بل إنّ الدول العربية نفسها موضع لوم لأنها قعدت حتى الآن عن استخدام أمضى اسلحتها القادرة على مواجهة الدعاية الصهيونية ، إذ ان افضل السبل لدحض الباطل هو اظهار الحقيقة ، وإن افضل السبل لكسب تعاطف الأجنبى مع العرب وثقافتهم التى تختلف عن ثقافته هو تمكينه من رؤية وتفهم طريقة العرب فى الحياة من خلال منظور الكتاب والفنانين العرب .

مشكلة اللغة

وقد يحتج قائل بمشكلة اللغة .. وانا أول من يعترف بصعوبة ترجمة الأعمال الأدبية العربية الى الانجليزية أو اية لغات أوروبية أخرى ، خاصة وقد قمت بترجمة مسرحيات وأعمال أدبية عربية . ولكنها ليست بالعقبة التى يستحيل اجتيازها .. بالرغم من ان عدد الأعمال الأدبية العربية الحديثة المتوفرة للقارىء غير العربى ضئيل للغاية .

إن ايسر سبيل لتذليل هذه المشكلة هو الفنون المرئية .. والمسرح والأفلام . وبالنسبة للمسرح ــ على الأقل ــ اقامت هيئة التربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) التابعة لمنظمة الأمم المتحدة معهداً عالمياً للمسرح لتطوير الاتصال والروابط بين المسرحيين من مختلف الثقافات والمناطق . وهنا ايضا نجد ان الدول العربية قد أهملت هذا المشروع ، ولم تشترك بعدد كبير فى هذه المؤسسة وبشكل رسمى .

غياب المسرح العربى

وفى مؤتمر للمسرح العالمى عقد مؤخراً فى جزيرة قبرص التى لا تبعد كثيراً عن الدول العربية ، لم تشترك من الدول العربية سوى الأردن ، وهى حديثة عهد بالمسرح . أما حركات المسرح الكبرى الرئيسية فى العالم العربى ــ بمصر ، وسوريا ، والعراق ، والجزائر ، والمغرب ، ودول الخليج ــ فقد سجلت غياباً تاماً عن المؤتمر . ولذا لم يكن من المستغرب أن يتساءل مندوبون من الشرق الأقصى وامريكا اللاتينية ــ بعد أن

تجشموا عناء السفر الى قبرص النائية عنهم ــ عن وجود مسرح فى العالم العربى ، وعن صحة الانطباع السائد بأن الاسلام لا يبيح المسرح . وقد تمت مناقشات حية وجادة خارج قاعة المؤتمر ، طرح فيها مسرحيون من كل أرجاء العالم أسئلة عديدة عن تطور المسرح العربى .. وأسعدهم أن يسمعوا أنه مزدهر على مستويات عدة .. ولكنهم كانوا يريدون معرفة المزيد .

ومن هنا بالذات انبثقت فكرة عقد مؤتمر عالمى خاص يعقد فى لندن لإتاحة الفرصة للمسرحيين العرب للاجتماع بعدد كبير من نظرائهم البريطانيين ، وبمسرحيين من قارات الدنيا الخمس .. حيث يتم التقديم والتعريف بما جرى فى المسرح العربى فى السنوات العشر الماضية ، كما يتم تبادل الرأى حول طرق الاداء المسرحى ، وكيفية خلق الجمهور المسرحى ، واساليب الكتابة والاخراج ــ وبمعنى اشمل : توفير مناخ واطار لعملية تبادل بين الطرفين العربى والعالمى .. خاصة والمسرح المتطور فى الدول الصناعية أمامه الكثير ليتعلمه من المسرح النامى فى الدول النامية .. وهذه حقيقة يعترف بها المسرحيون .. وكانت قد وجدت تعبيراً كاملاً عنها فى الأعمال التجريبية التى قام بها بيتر بروك .

وقد أبدى مركز المعهد العالمى للمسرح ببريطانيا حماسا للفكرة لوعيه بخطورة نقص المعلومات عن المسرح فى العالم العربى ، كما أن عدداً من المخرجين قد تساءلوا عن امكانية الحصول على عدد من المسرحيات العربية مترجمة الى اللغة الانجليزية .

لماذا .. لندن ؟

وإذا ثار سؤال حول اختيار لندن مكانا لعقد هذا المؤتمر فان المدينة باعتراف الجميع هى اكبر مركز للمسرح العالمى ، وتوفر للمندوبين المؤتمريـــن بها ثروة من فرص الوقوف على أعمال مسرحية عالمية بمسارحها الكثيرة أثناء حضورهم المؤتمر نفسه ، كما أن لندن هى مركز للصحافة العالمية الناطقة بالانجليزية والتى يهم المؤتمر ان يتم عبرها تقديم المسرح العربى الى العالم الناطق بالانجليزية .

وبالاضافة الى ذلك ، هناك رابطة قائمة بين المسرح البريطانى والمسرح العربى ، إذ أن عدداً كبيراً من المسارح فى العالم العربى ، كمسرح الدوحة ، ومسرح عمان ، قد تم تجهيزها بأيدى فنية بريطانية ، ووظفت بعض الدول العربية بريطانيين كمستشارين لتطوير الحركات المسرحية الناشئة بها . وقد تلقى كثير من الممثلين والمخرجين العرب تدريباً مهنياً فى معاهد المسرح التى تذخر بها بريطانيا ، فتأثرت أساليبهم وطرقهم فى الأداء بالأساليب البريطانية .. خاصة فى مجال المسرح التجريبى . ويستطيع المرء أن يلاحظ فى كثير من المسرحيات العربية اشارات واضحة تدل على تأثرها بأعمال مسرحية بريطانية .. فى الاخراج ، أو الاضاءة ، أو النص نفسه .

ويمكن للمرء إذن أن يتصور مدى قيمة لقاء عالمى تجتمع فيه تجارب بيتر بروك او بيتر هول الى جنب تجارب عربية محددة كتجربة كرم مطاوع ، وسعد أردش ، وحيث يمكن لألفريد فرج وكاتب ياسين أن يتبادلا وجهات النظر والافكار مع جون أوزبورن وطوم ستوبارد .

بعيداً عن السياسة

إن مثل هذه اللقاءات البعيدة عن عالم السياسة وحبائله هى التى تتيح للمجتمعات المختلفة أن تلتقى عبر لغة مشتركة .. هى الثقافة . ولكن مجرد تبادل الآراء والأفكار حول المسرح لا يكفى ، لأن المسرح فن عملى وتطبيقى .. وليس مجرد أفكار ونظريات . ومن ثمة لابد أن يصاحب مؤتمر المسرح العربى مهرجان تقدم فيه بعض ابرز الأعمال المسرحية العربية التى أنتجت فى السنوات القريبة .. والتى تمثل الانواع المختلفة للمسرح العربى كله . ويمكن تقديم ترجمة فورية تساعد المشاهدين من غير المتحدثين بالعربية على فهم المسرحيات المقدمة . وهذا تقليد كان سائداً فى لندن ، ولكنه توقف فى العقد الأخير .

فهل يمكن اعتبار مثل هذا المشروع حلماً جنونياً .. أو وهماً لا يمكن تحقيقه ؟

لا أظن ذلك .. فقد شهدت لندن ومراكز أوروبية اخرى قيام مهرجانات بها للمسرح تصاحبها مؤتمرات حول ما يجرى فى أصقاع نائية من العالم ، وكانت البداية دائماً أفكار منطلقة من شرارة حماس . وعمل متواصل ومكثف . وإن كان المرء لا يستطيع الجزم بأن هذا المؤتمر العالمى للمسرح العربى ومهرجانه سيتمان ، فان الأمر المهم هو أن يكف العالم العربى عن الشكوى من أن صورته يتم تشويهها فى الغرب ، وأن ينتهز الفرصة التى يطرحها اناس عاديون وبلا دوافع سياسية ، يبغون من منطلق طبيعتهم كبشر أن يقيموا اتصالا وروابط أوثق وافضل على المستوى العالمى .

«كين ويتنجهام»


سعد أردش


كرم مطاوع

ندوة التنمية

طريق للمشاركة في تطوير مجتمع الجزيرة العربية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل

كثر الحديث فى الفترة الاخيرة عن «ندوة التنمية» التى شارك فى اجتماعاتها عدد كبير من المفكرين والمثقفين المهتمين بالتنمية فى اقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وكان من بين المشاركين فى نشاط الندوة الدكتور على خليفة الكوارى ، وحول ندوة التنمية واهدافها وطريقة عملها جرى هذا الحوار مع الدكتور الكوارى ..

● اولا ماهى اهداف هذه الندوة ؟

ـ الندوة تجمع للمهتمين بالتنمية فى اقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط باعتبار هذه المنطقة شريحة عربية ، حيث توجد مشاكل متشابهة بين هذه الاقطار ، ولا تتكرر هذه المشاكل بالنسبة للدول الاخرى المنتجة للنفط ، ومن هنا كان التركيز الاساسى على اقطار الجزيرة العربية ومازالت هذه الندوة فى دور التكوين او ما يمكن ان نسميه بالمرحلة التحضيرية ، وهناك لجنة تعمل فى اطار هذه المرحلة التحضيرية ، وقد وضعت الندوة أمامها هدفا اساسيا هو التركيز على موضوع التنمية فى كل الوان النشاط الذى تقوم به ..

● إذن ماهى الاعمال التى يمكن ان تقوم بها هذه الندوة ؟

ـ النشاط الاساسى يتمثل فى رعاية الدراسات التى تتناول مشكلة التنمية من جوانبها المختلفة وقد لجانا منذ البداية الى طرح سؤال حول الدراسة التى يمكن ان يكون لها اهمية استراتيجية ، وقد اشترك معنا عدد من الخبراء والباحثين فى تحديد الموضوع ، واتفق على البدء بدراسة «المشروعات العامة» وهى الشركات التى انشاتها الحكومات فى دول المنطقة .. هذه المشروعات العامة لها اهمية خاصة ، فهى التى يتم الاعتماد عليها فى تنويع مصادر الدخل وبناء قاعدة انتاجية لمواجهة عصر ما بعد النفط ، حيث يقتضى التخطيط السليم ان نفترض ان هذا العصر سوف يبدأ بعد ثلاثين سنة فى المتوسط ، كذلك تهدف هذه المشروعات الى خلق عمالة منتجة واستخدام هذه المشروعات كاداة للتحول الاقتصادى السليم من عصر النفط الى عصر ما بعد النفط ، ومثل هذه المشروعات لا يكون دورها مقصورا على المرحلة الراهنة بل يتخطاه الى المستقبل البعيد او ما يمكن ان يسمى بالبعد الاستراتيجى للعمل الانتاجى ..

● معنى هذا ان الموضوع الاول الذى اتفقتم عليه هو «المشروعات العامة» وهنا نسال عن المنهج الذى اتبعتموه فى البحث . ؟

ـ لم نكن نريد لمثل هذا البحث ان يكون مجرد بحث نظرى ، بعيد عن الواقع ، أو مبنى على تصورات مجردة ثبت انها قليلة الجدوى ، ويكفى فيها ان يعكف أحد الباحثين على جمع بعض المعلومات من بعض المصادر العلمية المختلفة ، وغالبا ما تخرج هذه الدراسة عن اى مساس بواقعنا ، لان المصادر الاصلية تكون فى العادة متصلة بواقع آخر وظروف اخرى ، ومن هنا اتجهنا فى البحث الى البدء بالاتصال بثلاث فئات ، الاولى هى فئة المسئولين المباشرين عن ادارة مثل هذه المشروعات مثل ـ رئيس مجلس الادارة او العضو المنتدب أو مدير الشركة ـ اما الفئة الثانية فهى فئة الوزراء المختصين والمسئولين عن التخطيط العام ، وتأتى الفئة الثالثة لتمثل الأشخاص المهتمين بالتنمية والامور العامة فى المنطقة ..

● نحب ان نتوقف هنا لنسال عن نتيجة مثل هذه الاتصالات ، خاصة وان مثل هذا المنهج العلمى غير مالوف فى الوطن العربى ، وكثيرا ما تكون النتيجة هى مجرد رسائل رسمية متبادلة ، مليئة بالمجاملات ، بعيدة عن الاحصائيات والمعلومات الدقيقة . ؟

ـ فعلا كنا نخشى من ذلك فى البداية ، ولكن الحقيقة اننا وجدنا تجاوبا كبيرا ونتائج ذات جدوى علمية دقيقة ، وقد اجرينا مقابلات مع ستين شخصية ، وكان الهدف من هذه المقابلات فهم المشكلات والمصاعب التى تواجه المشروعات العامة فى المنطقة .. ومن ناحية اخرى تم الاتصال بمجموعة من المختصين من خارج المنطقة ، من بينهم بعض الأساتذة الاجانب المهتمون بالمشروعات العامة . وكانت كل هذه الاتصالات على مستوى علمى رفيع فى دقة المعلومات والاحصائيات والبعد عن اى عملية من عمليات المجاملة أو التمويه أو غير ذلك مما يصيب البحث العلمى بالقصور ونقص الادوات

● على ضوء ذلك .. ماذا كانت الخطوات التى اعتمدتها الدراسة فى



المراحل التالية ..

– كان من السهل بعد ذلك أن نتحرك الى الأمام اعددنا اطارا عاما للدراسة سميناه « اسئلة استهلالية للمناقشة » ودعونا لاول لقاء يحضره المشاركون فى الندوة او عدد منهم ، وقد تم ذلك بالفعل فى ابو ظبى بتاريخ ٢٦ ديسمبر ١٩٧٩ م .

● وماذا كانت نتيجة هذا الاجتماع ؟

– ركزنا فى لقاء ابو ظبى على مناقشة المدخل الى دراسة كفاءة اداء المشروع العام فى الاقطار المنتجة للنفط فى الجزيرة العربية ، وكان الرئيس العام للمؤتمر هو الأستاذ/ احمد خليفة السويدى ، وحرصنا على أن يكون اللقاء نوعيا ، بمعنى الابتعاد عن التصريحات الصحافية والدعائية بهدف إضفاء الطابع العلمى الكامل على المناقشة ، وقد اشترك فى هذا اللقاء ثلاثون شخصية ، وعقدنا خمس جلسات تناولت الموضوعات التالية :

١ – ماهى مسوغات انشاء المشروعات العامة فى بلدان الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وماهو الدور الذى يجب ان تضطلع به هذه المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية للمنطقة ؟

٢ – مدى الرقابة الخارجية على المشروع العام فى مواجهة الاستقلال الادارى ؟

٣ – اختيار وتعبئة وتطوير وحفز المدراء التنفيذيين .

٤ – العوامل الذاتية التى تؤثر على تكلفة المشروع وعوائده .

٥ – تقييم الأداء فى المشروعات العامة .

وقد راس الجلسات الخمس على التوالى الاساتذة : عبد الباقى النورى ، عبد العزيز راشد الراشد ، عبد الله النيبارى ، د. على خلف ، عبد العزيز الزامل .

● وهل كانت هناك خطوات لاحقة لهذا اللقـــاء ؟ .

– اثناء هذا اللقاء وجدنا رغبة شديدة من كافة المشاركين فى اللقاء على الا تنتهى هذه التجربة بمجرد انتهاء اللقاء ، وانبثق عن اللقاء لجنة تحضيرية اجتمعت فى الدوحة فى شهر يونيو ١٩٨٠ واتفقت على عقد اجتماع ثان فى البحرين يكون موضوعه ادارة التنمية فى اقطار الجزيرة العربية وتم تكليف الدكتور اسامة عبد الرحمن عميد كلية العلوم الادارية بجامعة الرياض بادارة لقاء البحرين والاعداد له ، كذلك ناقش اجتماع الدوحة فكرة تكوين الندوة وتم الاتفاق على اهداف عامة لها ، ورؤى عدم الاستعجال مع العمل المتريث فى سبيل النضج وبلورة الفكرة بصورة سليمة .. كما ان هناك الراشد ، عبد الله النيبارى ، د. علي الخلف ، عبد اتجاه بيروقراطى ياكل ميزانية الندوة وهى الميزانية التى تعتمد على اشتراكات الأفراد والمساعدات .. فهناك حرص على ان يتم استخدام هذه الميزانية فى اغراض علمية مثمرة

● هنا نحب ان نسال .. مادمتم اتفقتم على الاهداف .. هل يمكننا ان نتعرف عليها .؟

– حتى الآن لم تحدد اهداف الندوة بشكل نهائى ولكن الاهداف المقترحة مبدئيا تتمثل فى ايجـــاد منـــاخ علمى وفكـــرى متجـــــــدد يخلق الصلة والتفاعل بين ابناء المنطقة حول قضايا التنمية ويكرس الجهود نحو دراسة اوضاع التنمية وتحليل عقباتها واستشراف حلول لها وبلورة استراتيجيات علمية من اجل بناء هيكل اجتماعى وانتاجى اقتصادى سليم ، كما تعمل الندوة على توثيق اواصر الارتباط والاتصال مع ابناء المنطقة المعنيين بامور تنميتها ، والعمل على خلق « ذاتية التنمية » فى المنطقة بعيدا عن التجارب المنقولة ، واثارة الرغبة والحافز لدى ابناء المنطقة لتناول قضايا ومشاكل البيئة من خلال حوار جامع بناء يضم المسئولين بصفتهم غير الرسمية مع غيرهم من المهتمين بالأمور العامة ، وكذلك تهدف الندوة الى تعميق الوعي والادراك من اجل تطبيق الأساليب والنظم العلمية وتطوير ادارة التنمية بما يسمح للمنطقة بالمزيد من الاستخدام الأمثل لمواردها ، كذلك تهدف الندوة الى تبادل الخبرة والمعرفة والاستفادة من التجارب الناجحة وتلاشى الازدواجية فى الجهود والعمل على ربط هذه الجهود واستكمال الحلقات المفقودة فيها والبدء من حيث انتهى الاخرون والتوفيق بين وجهات النظر المختلفة فى الأسلوب ..

● ولكن ما هى سبل تحقيق هذه الأهداف ؟

– سبل تحقيق هذه الأهداف فى الوقت الحاضر تتم باتباع الوسائل التالية : يلتقى المشاركون فى الندوة سنويا على هيئة اجتماع عام يتناول الآراء حول موضوع رئيسى ذى اهمية استراتيجية فى عملية التنمية تعد له اوراق تحضيرية ويحدد له إطار علمى للنقاش تحت اشراف مدير الاجتماع السنوى الذى يكون مسئولا عن ادارته والتخطيط له وكتابة تقرير نهائى عنه .. ومن ناحية اخرى تتم رعاية مشروعات دراسية متخصصة تتناول موضوعات محددة ذات اهمية خاصة وذات تاثير مستقبلى على تنمية المنطقة اومحاولة ايجاد أسلوب لحل مشكلة او عقبة تواجه ادارة التنمية بالمنطقة تحددها اللجنة التحضيرية حسب البرنامج المقرر ، مع تكليف احد المختصين لقيادة جهود البحث المتعلق بها بالتعاون مع اعضاء الندوة وغيرهم من المختصين من ابناء المنطقة .. ثم عقد اجتماعات او ندوات او مؤتمرات او المشاركة فيها حسب ما تقرره اللجنة التحضيرية ..

● هذه هى اهداف الندوة كما شرحتموها .. ونود ان نتوقف عند المشروع الدراسى السنوى ، فنسال عن مشروع ١٩٨١ ؟

– موضوع عام ١٩٨١ هو الواقع الحالى للقوى العاملة المحلية واهمية الاعتماد عليها ،

ندوة التنمية طريق للمشاركة في تطوير مجتمع الجزيرة العربية ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل

وقد تم تكليف السيد سليمان عبد الرازق المطوع نائب العضو المنتدب فى شركة نفط الكويت بالتحضير للمشروع وإدارته .. وبالاضافة لذلك بدأ التحضير لمشروع دراسي اخر حول الفوائض النقدية لاقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط ، وسيقوم بادارته والتحضير له الاستاذ عبد الوهاب علي تمار رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة الكويتية للاستثمارات والمقاولات والتجارة الخارجية .

● إذن نود اخيرا ان نسأل عن اول ثمرة علمية لهذه الندوة ؟

- الثمرة العلمية الاولى هى كتاب قمت باعداده تحت عنوان «دور المشروعات العامة فى التنمية الاقتصادية - مدخل الى دراسة كفاءة اداء المشروعات العامة فى اقطار الجزيرة العربية المنتجة للنفط، وسوف يتم طبع هذا الكتاب فى الكويت ويصدر فى سلسلة عالم المعرفة فى اول يونيو القادم (١٩٨١) .

● هل يمكن ان ناخذ فكرة عما يتضمنه هذا الكتاب ؟

- يتناول الكتاب مبررات انشاء المشروعات العامة فى المنطقة ودورها فى التنمية ، والموازنة بين الرقابة على المشروع العام واستقلاله الاداري ، والعمل على ايجاد عادات ادارية جديدة ذات كفاءة ، واهمية تعبئة الكوادر المحلية واعدادها مع امكانية ترشيد سبل ايجاد القيادات الادارية .. كذلك يتناول الكتاب المشروعات العامة والعوامل الداخلية ذات التاثير المباشر على كفاءتها ، ثم تقييم اداء المشروعات العامة .. وأخيرا يتضمن الكتاب اربعة ملاحق تشمل اسماء المساهمين فى مشروع الدراسة وجدول اعمال اجتماع ابو ظبى واسئلة استهلالية للمناقشة فى الاجتماع الأول للمشاركين وبيانات احصائية من واقع المقابلات مع مسئولى ادارة المشروعات العامة .. وايضا فى الكتاب قائمة موسعة جدا بكافة المصادر والوثائق والمراجع التى تم الاستناد اليها والتى بلغت حوالى ٧٠ مرجعا ومصدرا ..

● ● ●

وعند هذا الحد من الحديث انتهى اللقاء مع الدكتور علي خليفة الكوارى حول ندوة التنمية بكل ما تمثله من آمال علمية كبيرة لدى بعض المثقفين والمفكرين من ابناء المنطقة الذين يريدون المشاركة على اوسع نطاق فى تطوير مجتمعهم والنهوض به ومواجهة كل التحديات التى يتعرض لها فى الحاضر والمستقبل .



المشاركون في ندوة أبوظبي

هذه هي اسماء المشاركين فى لقاء ابو ظبى فى الفترة من ١٢/٢٥ الى ١٩٧٩/١٢/٢٧ :

● الدكتور/ أسامة عبد الرحمن
عميد كلية العلوم الادارية - جامعة الرياض - الرياض - السعودية .

● الاستاذ/ احمد على الدعيج .
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للمجموعة الاستثمارية العقارية الكويتية - الكويت .

● الاستاذ/ احمد محمد السبيعى
مدير ومهندس ادارة الاعتدة الميكانيكية وزارة الاشغال العامة . ونائب رئيس مجلس ادارة شركة قطر للحديد والصلب - قطر .

● الاستاذ/ تركى بن خالد السديرى
رئيس الديوان العام للخدمة المدنية عضو المجلس الأعلى للجامعات - الرياض - السعودية .

● الدكتور/ جميل عبد الله الحشى .
مدير عام مشروع الجبيل الهيئة السلكية لمنطقة الجبيل الصناعية عضو مجلس ادارة الدار السعودية للخدمات الاستشارية - الجبيل - السعودية .

● الدكتور/ حسن ابراهيم
مدير جامعة الكويت - الكويت .

● الاستاذ/ حسن عبد الله فخرو
مدير عام شركة نفط البحرين الوطنية - البحرين .

● الاستاذ/ سعيد احمد غباش
وزير التخطيط - ابو ظبى - الامارات العربية المتحدة .

● الاستاذ/ سليمان عبد الرازق المطوع .
نائب العضو المنتدب (للادارة) شركة نفط الكويت نائب رئيس هيئة الجنوب والخليج العربى - الكويت

● الاستاذ/ سيف احمد الغرير .
رئيس اتحاد الغرف التجارية والصناعية والزراعية . ورئيس مجلس ادارة بنك عمان - دبى الامارات العربية المتحدة .

● الدكتور/ عبد الله جمعه الكبيسى
محاضر - جامعة قطر عضو مجلس الجامعة الاعلى - الدوحة

● الاستاذ/ عبد الله النيبارى
سكرتير الجمعية الاقتصادية الكويتية رئيس اللجنة المالية - مجلس الامة السابق - الكويت .

● الاستاذ/ عبد الباقى عبد الله النورى .
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب بشركة صناعة الكيماويات البترولية - الكويت .





● الاستاذ/ عبد الله يوسف الغانم
وزير الكهرباء السابق ــ الكويت

● الاستاذ/ عبد الرحمن بن محمد السدحان .
امين عام مجلس الخدمة المدنية ــ السعودية .

● الدكتور/ عبد الرحمن عبد الله الزامل . نائب المحافظ .
رئيس مجلس ادارة الشركة الموحدة لكهرباء المنطقة الجنوبية الغربية ــ السعودية

● الاستاذ/ عبد العزيز راشد الراشد
رئيس مكتب الراشد (محاسبون ومراجعون قانونيون) ــ الرياض
نائب رئيس مجلس الادارة ومحافظ المؤسسة العامة لتحلية المياه سابقا وكيل وزارة المالية والاقتصاد الوطنى السعودية .

● الدكتور/ عبد العزيز السلطان
نائب المدير العام للمكتب الهندسى الكويتى . رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب لشركة التعبئة والبلاستيك الصناعية ــ الكويت .

● الاستاذ/ عبد العزيز عبد الله الزامل .
نائب رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة السعودية للصناعات الاساسية . السعودية .
ئيس مجلس ادارة الشركة السعودية للحديد والصلب .

● الاستاذ/ عبد الوهاب على التمار
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة الكويتية للاستثمارات والمقاولات والتجارة الخارجية .
نائب رئيس بنك الخليج العربى ــ الكويت .

● الدكتور/ على خليفة الكوارى
مدير مشروع الدراسة ــ قطر

● الاستاذ/ على صالح الصالح
رئيس اللجنة المالية ــ المجلس الوطنى السابق ــ البحرين .

● الدكتور/ على عبد الرحمن الخلف
امين عام منظمة الخليج للاستشارات الصناعية ــ قطر .

● الاستاذ/ غانم فارس المزروعى
سكرتير عام جهاز ابو ظبى للاستثمار عضو الشركة العربية للاستثمار . الامارات العربية المتحدة

● الاستاذ/ فاروق عبد الله نعمه
مدير العلاقات وشئون الموظفين بالهيئة القطرية لانتاج البترول ــ قطر

● الاستاذ/فهد بن سعود الدغيشر
رئيس مجلس الادارة والعضو المنتدب للشركة العقارية السعودية .
عضو مجلس ادارة البنك العربى الوطنى ــ السعودية .

● الدكتور/ محمود حمزه كروها
مدير عام شركة بترول ابو ظبى الوطنية ــ الامارات العربية المتحدة

● الدكتور/ منصور الباحسين
مدير عام شركة حرض للانتاج الزراعى والحيوانى . وكيل وزارة الزراعة (سابقا) ــ السعودية .

● الاستاذ/ مؤيد عبد العزيز الرشيد
الوكيل المساعد لشئون الصناعة ــ وزارة الصناعة والتجارة ــ الكويت

● الاستاذ/ يوسف ابراهيم الغانم
رئيس شركة المعدات ومن كبار رجال الأعمال . عضو مجلس التخطيط السابق ــ الكويت .

د . عبدالسلام العجيلي

البحث عن حكم موضوعي

● البحث عن الأحكام الموضوعية فى الحياة من أصعب المستحيلات .. حتى العلوم الحديثة التى تتظاهر بالموضوعية لاترى من الحقيقة إلا الجانب الذى يلائمها .. وهذا هو السؤال .. الا يمكن للانسان أن يرى العالم بعيداً عن ذاته ..؟ ●

● كنت أحدث صاحبى فى ان الموضوعية فى الأحكام تكاد تكون مستحيلة ، حتى فى الأمور العلمية الصرف ، فسالنى قائلا :

ـ ما الذى يدعوك الى هذا الكلام ؟

قلت : انه الكتاب الذى تراه فى يدى . كتاب قرأته منذ عشرة أعوام ، ونويت فى ذلك الحين ان أعود الى قراءته ثانية . غير ان الأيام والمشاغل حالت بينى وبينه حتى عثرت عليه اليوم وانا أتفقد رفوف مكتبتى .

القى صاحبى على الكتاب نظرة سريعة وقال : انه بالفرنسية . أهو رواية ؟

قلت : بل هو دراسة علمية فلسفية صدرت فى أول السبعينات فاثارت عند صدورها ضجة فى أوساط الفكر فى كثير من بلدان العالم . عنوان الكتاب «المصادفة والضرورة» ، ومؤلفه جاك مونو ، وهو عالم فرنسى قد حاز جائزة نوبل فى عام ١٩٦٤ على أبحاثه فى الميكانيكية البيوكيميائية لانتقـــال المعلومات الوراثيـــة ودور حامض الريبونوكلونيك المنظم للمورثات فى تركيب البروتينات ...

قال صاحبى ، وهو يكاد يضحك : لا شك فى انها أبحاث معقدة . مجرد تسميتها يكفى لالقاء الرعب فى نفس انسان متواضع الثقافة مثلى .

قلت : الحق معك . انها من الدقة والتعقيد بحيث لا يستطيع ملاحقتها إلا الصفوة من ذوى الاختصاص . على أن الكتاب نفسه ليس سجلا لابحاث جاك مونو العسيرة الفهم هذه . انه يحتوى أفكاراً فلسفية مستقاة من تلك الأبحاث . وهذا لا يعنى ان قراءة الكتاب أمر سهل . لابد من زاد كاف من علوم الكيمياء والبيولوجيا ومن جلد وصبر لمن يريد فهم تلك الأفكار المستقاة من تلك الينابيع .

قال : وعلى الرغم من هذا كنت أنت تريد ان تعيد قراءة الكتاب . ألم تكفك منه قراءة واحدة ؟!

قلت : الصحيح انى كنت انوى ان أعقد مقالا على بعض الآراء الواردة فيه . افتتح جاك مونو كتبه بكلمة للفيلسوف الاغريقى ديميقريطس هذا نصها : «كل ما هو موجود فى الكون هو ثمرة المصادفة والضرورة» . ومع ذلك فقد تبين لي ان أبحاث كتاب «المصادفة والضرورة» تنتهى الى أن موجودات الكون لم توجد اعتباطا . انها ، أى تلك الأبحاث التى درس بها العلم الحديث والمتطور دقائق التكوين فى الأحياء وغير الأحياء ، تدعو الى الايمان بأن هناك قدرة عاقلة صانعة لهذا التكوين ...

قال صاحبى متسائلا : وهذا يعنى ...

قلت : يعنى ان هذا الباحث الحائز على جائزة نوبل ، الواقف على قمة العلم المادى ، يكشف لنا فى طريق دراسته للتكوين البدئى للموجودات الحية أن هناك قوة مسيطرة ، مهيمنة واعية ومنظمة ، ما أجدرها بأن تدعى الخالق الأزلى ! دراسة المادة هنا تنتهى على البرهنة على وجود ما هو أسمى من المادة ... على وجوده تبارك وتعالى . كنت أريد ان أكتب مقالى على هذا الذى بينته لي قراءتى الأولى لكتاب جاك مونو ...



يا دائم الاحسان

هل ادرك صاحبي أهمية ما حدثته به ؟ لا أدري على التحقيق . هو في الواقع اكثر انصرافا الى الأدب وتعلقا به منه الى العلم أو الفلسفة . قال يسائلني :

ــ اخبرني ماذا فعلت في النهاية .. هل كتبت المقال ؟

قلت : لا .. لم افعل . وذلك لسبب بسيط ، هو الذي دفعني الى القول بأن الموضوعية في الاحكام ، حتى في القضايا العلمية ،تكاد تكون مستحيلة . فبعد ان تهيأت لكتابة مقالي وقعت في احدى المجلات على بحث كتبه مفكر لا أشك في جديته وكفاءته عن مؤلف جاك مونوهذا ، عالج فيه النقطة التي كنت أريد أنا معالجتها بالذات . إلا ان ذلك المفكرانتهى في بحثه الى نتيجة مغايرة تمام المغايرة لما رأيته انا . لقد تبين له ان ما جاء به جاك مونو في كتابه يدعم بقوة ويؤكد اقوال الملحدين والدهريين ، ممن ينكرون وجود الخالق عز وجل ...

قال صاحبي مستغربا : هكذا بكل بساطة ؟! لعلك اخطأت في فهم كتاب عالمك الكبير . سبق وقلت لي ان مضمونه عسير الهضم .

قلت : لا .. فأنا لم أجد عسرا في ادراك ذلك المضمون . والقضية ليست قضية فهم خاطيء ، لا من جانبي ولا من جانب المفكر صاحب البحث الآخر . كل منا نحن الاثنين ، ان شئت الصحيح ، استنتج من أبحاث العصر المتطورة التي تضمنها كتاب «المصادفة والضرورة» نتيجة متأثرة بعوامل متعددة ، مشحون بها وعي واحدنا ولا وعيه . كان الحقل الذي دخلناه واحدا ، إلا ان كلامنا تزود من ذلك الحقل بالجنى الذي يحبه ويؤثره .

وهنا هز صديقي رأسه وقال : أظنني فهمت قصدك . قرأت مرة في واحد من كتب الصوفية ان جماعة مختلفي المشارب كانوا في صحن احد المنازل حين تسرب اليهم من الطريق صوت مناد يكرر جملة بعينها ، فسمع كل منهم تلك الجملة بشكل مختلف عن رفاقه . سمعها قائد القافلة : من يسري الى اسوان ؟ ... وسمعها الفارس :من يركب الحصان ؟ .. وسمعها عابد زاهد كان في الجماعة : يا دائم الاحسان ! وحين اقترب المنادي من المنزل الذي كانوا فيه ، تبين انه بائع خضار كان ينادي على بضاعته قائلا : من يشتري الباذنجان ؟! هذه ، فيما أعتقد ، شبيهة حكايتك مع الكاتب الآخر الذي فهم من كتابكما المفضل عكس ما فهمته انت ...

قلت تشبيه في محله . وأضيف أن القضية تكررت معي في ندوة عقدتها لطلاب الصفوف العليا في احدى جامعاتنا ، في مدرج كلية الآداب بتلك الجامعة ، منذ بضعة اسابيع . في تلك الندوة تسابق طلاب كانوا قد تهيأوا لها بدراسة بعض كتاباتي ، تسابقوا في إلقاء الأسئلة علي حول مضامين ما قرأوا لي من قصص وروايات . أنا ، كما تعرفني



لست كاتبا غامضا أو بعيدا عن افهام قارئي ما أريد . ومع ذلك فان بعض اولئك الشباب رأوا في ما كتبته أمورا لم أوردها واستشفوا أهدافا لم أقصدها ، فقولوني فيها ما لم أقله ..

سألني صاحبي : ماذا قولوك ؟

أجبته : اضرب لك مثالا . حاورني أحدهم في مفهوم الصراع الطبقي في آخر رواياتي ، التي عنوانها «المغمورون» . الصحيح انني لم أتعرض في تلك الرواية لقضية الصراع الطبقي . ولكن جيل اليوم من الشباب ، وليس هذا مأخذا عليهم ، يرون الصراع الطبقي في احلام نومهم لكثرة ما يتردد تعبيره في وسائل الاعلام وفي الدراسات الجادة وغير الجادة ، عدا عن تردده في بعض مناحي الحياة . حاولت تصحيح الفكرة التي كونها ذلك المحاور عن مضمون روايتي ، إلا انه اصر ، وأحسب غيره من زملائه كانوا مثله ، اصر على طريقته الخاصة في فهم ما كتبت . كان اصرارا غريبا جديرا بأن يثيرني ، إلا انني قابلته بابتسام وانهيت الحوار بقولي انه حر في ما يراه مثل حريتي في ان لا استصوب ما يراه ...

قال صاحبي : لعله مخلص في اعتقاده صواب رأيه . كان جديرا بك ان تشكره .

هذا التفاوت

ضحكت وقلت له : اذن فانت ترى ان أولئك الشباب اكتشفوا في روايتي أمورا لم أعرفها ومقاصد لم أستهدفها ..

قال : ربما كان الأمر كذلك . وربما انك في ما فهمته من فصول «المصادفة والضرورة» ، والكاتب الذي فهم منها عكس ما فهمت ، وكذلك الشباب.. ان كلا منكم يرى الامور من خلال نفسه . من خلال مكونات هذه النفس ، وراثية وبيئية ومكتسبة بالتعليم والتربية . نفوسكم أوان وآراؤكم نضح لما تحتويه تلك الأواني . لقد فطن الأولون الى هذا منذ القديم فقال قائلهم :

وحسبكم هذا التفاوت بيننا
فكل إناء بالذي فيه ينضح



عبد السلام العجيلي

● بعـد نصف قـرن من الزمـان ●



الحقيقة الضائعة
في صـراع العقـاد والزهـاوي

د. الطـاهر أحـمد مكي

عاش الشاعر العراقى الكبير صدقى الزهاوى ينشد الشهرة ويسعى وراءها ، شأن كل الفنانين ، ومن وسائلها السلبية أن تتعلق بمن هو أكبر منك ، أو يسبقك ، فتأخذ بخناقه ، تنقده وتتعقب سقطاته وكانت الصحف والمجلات فى العشرينات تفسح له من صفحاتها مكانا واسعاً ، واتسم نقد تلك السنوات بالقسوة والعنف ، لا يجامل ولا يتخفف ، ولا يقدم على نشر إبداعه إلا من وثق فى نفسه ، وتأكد من خطاه ، وأثرى ذلك الحوار العنيف الصاخب حياتنا الأدبية ، وأزاح الستر عن الملكات الكامنة وافسح الطريق أمامها لتمضى صعداً لا تبالى .



أحمد شوقى

صدقى الزهاوى



عباس العقاد

ولم يكن هجوم طه حسين العنيف على المنفلوطى إلا شيئاً من هذا القبيل ، ويمكن أن نقول الشىء مثله فى معظم النقد الذى وجهه عباس العقاد إلى شوقى ، وانضم إليهم الزهاوى فأنكر أن يكون شوقى أمير الشعراء ، وظل يلقبه بشاعر النيل ، وحين وجد نفسه وحيداً فى هذا الطريق اقترح أن يكون هناك أميران ، واحد فى مصر ، والثانى فى العراق :

قالـوا لشـاعر مصـر
دار الامـارة تبنى
فقلت يـا أهـل مصـر
منـكم أمـير ومنـا

ثم انتهز الفرصة المواتية ليهبش فى شوقى كما صنع آخرون ، وجاءته حين نشر أمير الشعراء قصيدته فى رثاء الشاعر اسماعيل صبرى ، فى صيف عام ١٩٢٣ ، ومطلعها :

أجل وإن طـال الزمـان موافى
أخلى يـديك من الخليـل الـوافى

فبادر بنقدها على صفحات جريدة العراق ، بتوقيع «شاعر عراقى كبير» ، ولم يكن بأقل من أنداده فى القاهرة تحاملا وعنفاً ، وصنع هذا فى اللحظة التى أجمع فيها أمره على مغادرة بغداد والرحيل إلى القاهرة ، ولكن مرضاً مفاجئاً ألزمه الفراش خمسة أشهر ، ثم اشتعلت الثورة فى سوريا ، فأخرت سفره حتى أوائل عام ١٩٢٤ . وقبل أن يسافر بأيام أقام له أدباء العراق حفل توديع ألقى فيه كلمة وقصيدة جاء فيها :

ليس لى من بعـد العـراق مفـر
غير مصر ، ومصر أخـت العـراق
فى رحـيلى عن العـراق إلى مصر
مصـابى معـادل لاشـتياقى

وفى أوائل شهر يونيه من عام ١٩٢٤ وصل الشاعر العراقى الكبير إلى القاهرة واستقر فى «بنسيون سافوى» فى شارع شريف ، وفيه أخذ يتردد عليه الشعراء والصحفيون ، ورجال الفكر والقلم ، وبدأ ينشر قصائده فى الصحف المصرية :

المقطم ، والأهرام ، والسياسية ، وأضفت عليه هذه الصحف لقب الشاعر الفيلسوف ، وكانت أولى قصائده بعد أن هبط القاهرة فى جريدة المقطم بعنوان : «إلى مصر» ، ومطلعها :

لقد سرت من بغداد يدفعني الوجد
إلى حيث وكر الشعر طائره سعد
ويشملني ابناؤها برعاية
أرى أنني قد لا أرى مثلها بعد
فتعلم بغداد على بعد أرضها
بان ابنها فى مصر منزله حمد

ولكن شوقى ـ وكان شديد الحساسية بكل ما يقال عنه ، ويجفل من النقد فى قوة ـ أمسك عن زيارة الزهاوى أو الترحيب به ، وكان يحتفى بكل شاعر أو اديب يهبط القاهرة ، عربيا أو غير عربى ، وجاراه فى هذا خليل مطران وحافظ إبراهيم ، مجاملة لشوقى على التأكيد ، وهو تقصير ما كان يجب أن يكون .

فى القاهرة كما فى بغداد :

كان الزهاوى متحرر الفكر جدا ، لا يأخذ فى الاعتبار مستوى التطور الفكرى الذى عليه عامة الناس حوله ، وعانى من ذلك كثيرا . ففى العراق ، وما يزل فى شرخ الشباب خاض معركة الدفاع عن المرأة ، بكل جرأة وشجاعة ، متأثرا دون شك بآراء قاسم أمين ، وخرج على المجتمع العراقى المحافظ والمتزمت فى ذلك الوقت بمقال نشره على صفحات المؤيد الأسبوعى فى القاهرة ، فى ٧ اغسطس ١٩١٠ ، بعنوان المرأة والدفاع عنها ، عرض فيه لمواهب المرأة وإمكاناتها وتحدث عن الحجاب ومضاره ، ودعا الى تحريرها منه ومن الجهل ، بحجج قوية ، ومنطق مقنع ، ولم يكد المؤيد يصل بغداد ويقرؤه الناس ، حتى ثارت ثائرة كبار رجال الدين ، وأدى الى رد فعل عنيف .

فقد كتب الشيخ محمد سعيد النقشبندى ، وهو من كبار رجال الدين ، كتيبا يرد فيه على الزهاوى ، بعنوان : «السيف البارق ، فى عنق المارق» ، واتهمه فيه بالكفر والالحاد والزندقة . وتوالت المقالات رداً عليه فى بغداد والقاهرة على السواء ، وقيل فى بعضها ، نكاية به ، انه يدعو الى تعدد الأزواج .

وهاج الرأى العام العراقى بأجمعه ، ومن أمامه ، أو من ورائه ، رجال الدين ،

> كان الزهاوي متطور الفكر لا يأخذ في الاعتبار مستوى التطور الفكري الذي عليه عامة الناس من حوله

وطلبوا من ناظم باشا والى العراق عزله من وظيفته فى مدرسة الحقوق ، وخشي الزهاوى من اعتداء العامة عليه فاختفى فى بيته اياما ، واخذ بعض الأدباء يعابثونه فكانوا يكتبون اليه رسائل التهديد غفلا بلا توقيع ، واحس الرجل انه وحده ، لا احد معه ، ولا حول ولا طول له ، فتنكر لمقاله ، ورغم انه مدسوس عليه ، فى رسالة مفتوحة نشرتها جريدة الرقيب البغدادية ، ثم تبرأ منه ثانية فى رسالة بعث بها إلى السيد هبة الدين الشهرستانى ، وكان من كبار العلماء ورجال الدين ، لينشرها فى مجلته العلم ، فنشرها له ، وعلق عليها بما يخفف من ثائرة الجماهير : «فاذا تحقق عندنا أن الفاضل الزهاوى ينكر صدور تلك المقالة من قلمه ، ويعترف بفساد ما تخيل الناس من ظاهرها ، ويظهر ان الاحكام التى سنها شرعنا الأطهر ، هو الأصلح بحال النساء ، عقلا وعرفا ، فقد بلغنا أمنيتنا ، وظفرنا بتلك النتيجة على أحسن صورة واقل مؤونة ومسعى» ، ثم دعاه فى نهاية تعليقه الى مقاضاة الجريدة التى نسبت اليه ما يهينه ، ويهين الدين ، ويفضح عدوه العراقى الذى تجاسر عليه ، وعلى شرعه المتين ، فى تزوير هذه المقالة .

وبداهة آخر ما يفكر فيه حاكم مستبد ، فى دولة متخلفة ، أن يحافظ على حرية الرأى ، أو يحمي كرامة الكاتب ، ولهذا استجاب ناظم باشا والى العراق لرغبة العامة والعلماء فورا ، وعزل الزهاوى عن وظيفته ، وعبثا حاول الشاعر الكبير أن يعود إليها رغم تنصله من المقال ، واستجارته بكبار العلماء ، ولكن أمير المؤمنين فى الآستانة عزل ناظم باشا ، بعد أن تراهق على فتاة أرمنية صغيرة ، وفقد صوابه إزاء جمالها ، ولم يتوقف عن ملاحقتها ثم اضطهادها (١) ، فضجت منه بغداد ، واتخذ خصومه من القضية سلاحا اشهروه عليه ، وعين مكانه جمال باشا ، والذى اشتهر باسم السفاح ، وقد انتقم منه الزهاوى ، ونظم فيه قصيدة طويلة ، بعنوان : «طاغية بغداد» ، هاجمه فيها بعنف ، وقسا عليه فى النقد

ثم وسط صديقه الشاعر بشارة الخورى أو الأخطل الصغير ، فى أن يتوسط له عند جمال باشا ، حين يهبط بيروت فى طريقه إلى بغداد ، وقد كان ، فقد قرب هذا الزهاوى إليه ، واعاده الى منصبه فى مدرسة الحقوق ، وفى عهده انتخب الزهاوى نائبا عن «لواء المنتفق» فى مجلس المبعوثان .

ولكن الزهاوى وجد فى القاهرة من ينصره فى دعوته ، فدافع عنه الشاعر ولى الدين يكن ، ووجه إليه قصيدة جاء فيها :

أسير بدار الظلم أعياه اسره
اما من فتى فى الناس حر يناصره
عفاء على الزوراء بعد «جميلها»
إذا ربعها المعمور أخلف دائره

ووقف إلى جانبه شبلى شميل ، وكان يمثل جانب الأفكار المتطرفة فى التحرر ، ويدفع الناس حوله دفعا إلى الشك والتمرد ، والايمان والعلم والعقل ، ولا غيرهما .

الدمع ينطق :

وفى ضوء هذا التأييد بدت القاهرة للشاعر الزهاوى أكثر تحرراً من بغداد ، وخيل إليه انه يستطيع فيها أن يقول ما يريد ، وما يؤمن به ، دون أن يثير الناس حوله ، ودون أن يقيم الدنيا أو يقعدها ، ولذا لم يكد يستقر به المقام ، ويرتاح هونا ، ويدفع عن جسده وعثاء السفر ، حتى نشر فى جريدة السياسة ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٢ ، قصيدته «الدمع ينطق» ، وجاء فيها :

وسائلة هل بعد أن يعبث البلى
بأجسادنا نحيا طويلا ونرزق ؟
فقلت مجيبا : انني لست واثقاً
بغير الذى حسي له يتحقق
وهيهات أن ترجى الحياة لميت
اليه البلى فى قبره يتطرق
تقولين : يفنى الجسم والروح خالد
فهل بخلود الروح عندك موثق ؟
ومع أن فكرة موت الروح تجد لها عند

الحقيقة الضائعة في صراع العقاد والزهاوي

بعض الفرق الاسلامية سنداً ، وبها يؤمن بعض العلماء المسلمين ، إلا أن المحافظين من علماء الأزهر فى قاهرة العشرينات ـ وألفوا الثورة على أية مغامرة فكرية تتجاوز حدود ما ألفوا ـ لم يدعوا هذه الأبيات تمر ، كان أبياتا عابرة يقولها شاعر كبير فى صحيفة سيارة ، حتى ولو افترضنا جدلا أنها تخرج على حدود الدين ، سوف تأتى على الاسلام ، ومثلها تفيض به كتب الأدب والتاريخ ، بل بما هو أكثر خروجاً وصراحة وزندقة ، وما أصاب قائليها عنت ولا ضيق .

على أى حال تصدى للقصيدة شيخ لا يذكر له التاريخ غير هذا الموقف الردىء ، ويدعى عبد الحميد قطيط ، ولو أنه تصدى للفكرة مناقشا أو مفنداً أو معترضاً ، لكان للتاريخ منه موقف آخر ، ولكنه وجه كتابا مفتوحا إلى وزير الداخلية على صفحات جريدة الأخبار ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٤ ، يستعديه على الشاعر ، لأنه أنكر البعث بعد الموت ، وجحد ما فى القبر من نعيم وعذاب ، وراه ضيفاً ثقيلا أذى المصريين على اختلاف أديانهم ، إلى آخره من كلام سخيف غير مسئول ، ورد عليه السيد محمد محمد عبد اللطيف شعراً ، بقصيدة نشرها فى جريدة السياسة نفسها ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٣٠ .

ووجه إليه العالم المفكر محمد فريد وجدى كتابا مفتوحا مهذبا ، نشرته جريدة السياسة بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٦ ، ناقش فيه آراء الزهاوى فى أدب وعلم ، وفندها فى تهذيب ولطف ، اختلف معه تماماً ، ولكنه فى الوقت نفسه قرر حقيقة هامة ، ما أحوجنا إلى أن تكرر ، وأن نعيها ، وأن نضعها محط انظارنا تماماً ، يقول : «لا أمل ، فى اعتقادى ، لنهوض أمة نهضة عقلية ما لم تصل إلى هذه الدرجة من ترك المفكرين احراراً فى بث أصولهم ، وإخلاء المجال لآرائهم تتنازع البقاء ، مطلقة من كل قيد . سبقنا الغرب إلى هذه الفضيلة فحييت العقول فيه حياتها الطيبة ، وخلصت الأفكار من أصفادها الموبقة ، وتجلت الحقيقة لطلابها من بين هذه المعامع زاهية متلألئة» .

وتناول القضية أيضا أحمد الصاوى محمد فى عموده «ما قل ودل» فى جريدة الأهرام ، بتاريخ ١٩٢٤/٩/٢٧ ، فأخذ على الشيخ الأزهرى أنه عوض أن يطلب «ضيفنا الكريم الشاعر إلى الحوار والمناظرة ، وبدل أن يدحض زعمه بالأدلة ويثبت خطأ نظريته ، ليقضى عليها ويمحوها كما تمحو آية النهار ظلمات الليل ، كما يفعل العلماء فى كل أمة ناضجة الرأى ، وهبت نعمة التفكير ، ووفرت لها حرية الفكر ، نعم بدل أن يفعل ذلك نراه يلتجىء فى كلمته إلى الحكومة» . «أكذلك يكون نصيب أستاذ مفكر ، ابن أمة شرقية كريمة صديقة .. فى ديار هى منارة الشرق ، وموطن الفكر الحر ؟» .

وقد رد الزهاوى على العلامة محمد فريد وجدى رداً جميلا ، وأهداه ديوانه ، ورسالته «المجمل» ، ولكنه لم يلقه ، ورد على الشيخ قطيط أيضا رداً موجزاً وعلمياً .

ومع أن الزهاوى سبق أن عانى فى وطنه شيئا كهذا ، لكنه فيما أتصور لم يكن يعرف أن كثيرين أيضا فى القاهرة على شاكلة الشيخ قطيط ، يحترمون الضجيج من قديم ، وقل أن يعيرهم أحد اهتماما على الصعيد العملى ، فأخذه الخوف من كل جوانبه ، ولفه رعب قاتم ، وفيما يبدو لم يجد من يقف إلى جواره شخصيا ويطمئنه ، فأسرع يحزم حقائبه وغادر القاهرة فى ظروف غير طيبة ، فى ١٩٢٤/٩/٢٨ ، قبل أن يمضى أسبوع على نشر رسالة الشيخ الأزهرى . وخسر الشاعر ، وخسرت القاهرة على التأكيد أيضا ، فلو امتدت به الحياة فى جنباتها


أحمد الصاوى محمد

فى فجر اليقظة القومية ، وامتدت الجسور بينه وبين عالم كان ثريا بالأدب والفكر ، وصافيا فى الصراع والحوار ، لأثرى تجارته ، ولأضاف إلى عالم القاهرة الأدبى جديداً مفيداً .

بين الزهاوى والعقاد

لقى الزهاوى أثناء الشهور الأربعة التى قضاها فى القاهرة العقاد مراراً ، وتزاورا ، ورغم ذلك كان القدر يحتفظ له بمعركة كبرى مع كاتب الشرق الجبار . ذلك أن العقاد تلقى رسالة من كاتب تونسى يدعى عبد القادر بن خليفة بن ميلاد ، يحب الزهاوى شاعراً ، ويعجب به فيلسوفاً ، ويسأله : هل الزهاوى شاعر أو عالم أو فيلسوف ؟ . ورد عليه العقاد بكلمة نشرها فى البلاغ الأسبوعى ، فى أكتوبر ١٩٢٧ ، وأجمل فيها رأيه فى شاعر العراق الكبير : «ان الأستاذ الزهاوى صاحب ملكة علمية من طراز رفيع ، وأنه يصيب فى تفكيره ما طرق من المسائل التى يجتزىء فيها الاستقرار والتحليل ، ولا تفتقر إلى البديهة والشعور ، فمن ينشده فلينشده عالما ينظم أو يجنح إلى الفلسفة ، فهو قمين باصغاء إليه ، واقبال عليه فى هذا المجال وإن خير مكان له هو بين رجال العلوم ، ورادة القضايا المنطقية ، فهو لا يبلغ بين الفلاسفة والشعراء مثل ذلك المكان .

وعقب الزهاوى على رأى العقاد برد طويل نشرته جريدة السياسة الاسبوعية فى ١٩٢٧/١٠/٢٢ ، وجاء فيه : «قرأت ذلك النقد على ما فيه من إجحاف شاكراً له عنايته بى ، إلى درجة أن يكلف نفسه كتابة مقالة طويلة عريضة جوابا على


اسماعيل صبرى

سؤال سائل أديب عنى . وما كنت أمل فى يوم من الأيام أن يحشرنى الأستاذ فى زمرة الفلاسفة أو الشعراء ليؤسفنى إخراجه إياى منهما ، وقد دخل فيهما كثير من الناعقين ، ذلك لمخالفة مبدئى المادى مبداه الروحى ، ولا يخفى ما بينهما من البون الشاسع» .

«ثم نفى عنى الخيال والعاطفة إلا قليلا ، والبديهة بتاتا ، أما أنا فارى أن الشاعر العصرى صاحب حقيقة وخيال وعاطفة ، ولا يبعد بها عن الواقع المحسوس ، وارى أن الفيلسوف صاحب بصيرة يتحرى بها الحقيقة وحسب ، ولا شان للبديهة فيه إلا قليلا ، ولا أخالفه فيما يراه للعالم» .

وبعد أن فند اراء العقاد فكرة فكرة ختم رده بكلمة تنبىء عن تقديره له ، وحرصه على اواصر مودته : «وعسى الا يكون ردى هــذا مغيراً قلب الأســتاذ علي ، فانى لم اقصد به إلا الدفاع عما اعتقد انه حق كنت قد جئت به ، ومكانة الأستاذ الرفيعة فى العلم والأدب محفوظة ، لا تتزعزع بمثل هذه المماحكات العلمية ، وربما كانت وسيلة لبقاء اواصر المودة ، متواشجة بيننا إلى آخر ايامى المحدودة» .

ولم يشا العقاد ان يقف بالحوار عند هذا الحد ، فعاد إلى رد الزهاوى ، وتناوله فى مقال ضاف نشره فى البلاغ الأسبوعى بتاريخ ١٩٢٧/١٠/٢٨ ، وربما كان اوضح ما فيه أن العقاد رسم لنا منهجه فى الجدل والنقاش واضحا جليا ، فهو لا يصنع ذلك حبا فيهما ، ولا جريا وراء ضجيجهما ، وإنما لاجلاء الحقيقة وبيان الرأى ، يقول : «وليس يضيرنى انا ان يزيد عدد الفلاسفة والشعراء فى الأرض واحدا أو أكثر ، فاننى لم اتكفل بهم ، ولا تحسب على أخطاؤهم ، ويختلس منى صوابهم ، ولست ممن يحبون الجدل فى غير حقيقة تجلى ، أو رأى يستوضح ، فان الجدل الذى يطول فيه الأخذ والرد لغير شىء من هذا هو لغو الكلام ، وفضول بطالة ، فاذا رجعت اليوم إلى الموضوع فليست رجعتى إليه لحرص على تقليل حظ الزهاوى من الفلسفة والشعر ، ولا المطاولة فى الجدل ، وإنما هى لاستخراج الحقيقة التى أردتها من الاستاذ نفسه ، وبيان المعنى الذى ذهبت إليه من طريقة الأستاذ فى ملاحظة الأشياء ، وفهم أعمال الناس» .

ولم يتراجع الزهاوى ، فرد على العقاد ثانية فى جريدة السياسة الأسبوعية ، بتاريخ ١٩٢٧/١٢/١٠ ، مناقشا لخصمه ، وواقفا عند رأيه ، وختم رده الثانى على نحو ما انهى رده الأول ، تقديراً للعقاد ، وتحية له على البعد : «وبعد فهل يأذن لى الأستاذ أن أمد إليه يدى النحيلة الباردة من شتاء الحياة ، إلى يده القوية الحارة ، أصافحه على البعد بها ، كما كنا نتزاور فى مصر» .

وأسرها الزهاوى فى نفسه

ومهما يكن من أمر فقد أسرها الزهاوى فى نفسه ، وواتته الفرصة حين أصدر العقاد ديوانه الرابع عام ١٩٢٦ ، وجاء بعد سنوات ست من ديوانه الثالث ، فتلقفه الزهاوى ، واعمل فيه عقله وقلمه نقداً وتمزيقا دون ان يعرف احد ذلك .

ففى شهر ابريل من عام ١٩٢٨ نشرت مجلة «لغة العرب» التى يصدرها الأب أنستاس الكرملى فى بغداد الحلقة الأولى من نقد يستهدف العقاد شاعراً تحت عنوان «ديوان العقاد» وجاء المقال بلا توقيع ، واستهله الناقد بقوله :

«الأستاذ العقاد كاتب كبير ، وكنا نعتقد كذلك انه شاعر كبير حتى جاءنا ديوانه الجديد ، حافلا بما نظمه قديماً وحديثاً ، فاذا هو دون ما أكبر تصورنا وإذا هو مشحون بالأغلاط والضرورات القبيحة ، وإذا هو قبر للمعانى الميتة ، دارس فيه كثير من العظام البالية ، وإذا هو تافه المعانى فى الأكثر ، وإذا هو فى كثير من قصيدة يخرج عن الموضوع ، فلا تبقى «الوحدة» المتوخاة منه ، وإذا هو يبالغ أو يغرق فى كثير من أبياته ، وإذا هو يقلد القدماء فليس فيه ما يمت إلى الشعور بواشجة ، إلا أبياتاً قليلة متفرقة هنا أو هناك» .

«وكنا نراه قبل نشر ديوانه يطعن فى مواهب كبار الشعراء ، بل كان ينال من كل شاعر عربى تقريباً ، مصريا كان أو شاميا أو عراقيا ، فما كنا نفهم علة ذلك بعد سكوته الطويل عن الشعر والشعراء حتى ظهر ديوانه العجيب فادركنا السر» ! .

ويمضى الكاتب فى نقد لغوى يتناول الأبيات مفردة ، والكلمات مستقلة ، وأكثره مماحكات يمسك فيها بخناق الشاعر لأنه جرى على غير نهج الكثرة من اللغويين ، أو المعتاد من قواعد النحو وغفل عن حقيقة كبرى فى النقد الحديث ، وهى أن الشاعر العظيم يشكل اللغة تشكيلا جديدا ، فيصبح عبثه بها قاعدة ، ومنحاه مذهبا ، وهو أمر لم يغفل القدماء عنه ، فكان لنا معه ما يسمى «ضرورات الشعر» ، وهى الأخطاء والهفوات التى تباح للشاعر ولا تقبل من غيره . ولناخذ لذلك مثلا :

يقول العقاد :

يشكو من الدنيا الألى لولاهم ... ما كانت الدنيــا تحب وترغب

فيعلق عليه الناقد :

« «رغب» فعل لازم ، لا يبنى منه المجهول إلا بحرف الجر ، ورغب لايحذف منه حرف الجر لأنه يتعدى بحرفين مختلفين : فيه وعنه ، ويختلف معناه بموجبهما فأى معنى يريده منهما ؟ وإذا صحت قاعدته من أن الذين تحب الدنيا بهم يشكون من الدنيا ، فماله قد تعجب فى البيت قبله من نحيب حبيبه ؟» .

ويقول العقاد :

وما عجزت عنــك الغداة وإنمــا ... لـكل شباب هيبة حين يهــرم

ويعلق الناقد : «الذى أعرفه أن الشباب لا يجتمع والهرم» .

ثم والت مجلة «لغة العرب» نقد الديوان ، فنشرت الحلقة الثانية منه فى عددها الصادر فى مارس ١٩٢٨ ، والثالثة فى شهر يونيه من العام نفسه .

بين العقاد والكرملى

ولم يكد العقاد يقرأ ما جاء فى الحلقة الأولى من هذا النقد حتى بادر بالرد عليه فى «البلاغ الأسبوعى» ، عدد ١٥ يونية ١٩٢٨ م ، بعنوان : «نقد غريب» .

يقول العقاد فى رده : إن رسالة جاءته بتوقيع أكرم أحمد ، وكان شاعراً شاباً ، وتلميذاً مقربا من الزهاوى ، وموجزها : إن أناساً فى بغداد يمشون بالدس بينه

الحقيقة الضائعة

في صراع العقاد والزهاوي

وبين الزهاوى ، لأنهم كتبوا إليه يزعمون ان ما نشرته «لغة العرب» فى نقد ديوان العقاد إنما كتبه الزهاوى انتقاما لنفسه مما كتب عنه العقاد فى البلاغ الاسبوعى من قبل ، ولكنهم كاذبون فيما زعموا ، وإن الأب الكرملى ليس بالرجل الذى يدعى لنفسه كلام الآخرين ، وان اناسا اقترحوا على الزهاوى ان ينقد ديوان العقاد فأبى مخافة ان يجيء نقده على غير ما يريد من النزاهة والانصاف ، ويعرض على العقاد أن يكتب عن «اللباب» ديوان الزهاوى الجديد ، ثم يتبعه الزهاوى فيكتب عن ديوان العقاد ، ويرى أن يبدأ العقاد الكتابة لأنه الذى بدأ التحامل على صاحب «اللباب» .

هل حقا ان العقاد لم يكن قد اطلع على مجلة «لغة العرب» ، ولم يسمع بالنقد الموجه إليه حتى جاءته هذه الرسالة ؟ اشك فى ذلك كثيرا ، ولكنها إحدى وسائل التجاهل ، والتقليل من شان النقد والناقد ، كانت تستخدم فى تلك الأيام ، وفى ايامنا هذه على السواء لكن من الواضح شبهة ان يكون الزهاوى هو الذى كتب النقد لم تتاكد عند العقاد ، وحتى لم تبلغ جانب الرجحان ، لأنه لم يعرض له من قريب ولا بعيد ، وصب جام نقده على الأب انستاس الكرملى ، لا على انه سمح بالنشر ، ومسئول عنه عند غيبة التوقيع ، وإنما بوصفه كاتبا للمقى ، وكان كفؤا لأن يواجه الاثنين ، إلا إذا ظننا بالعقاد الخبث ، وانه اراد ان يوقع بين الاثنين ، وان يحمل رجلا لا جريرة له ، نقد شاعر تخفى وراءه ، وهو شيء لا اجزم به ، ولكنى لا استبعده على اى حال .

ومهما يكن من امر ، فلم يكن بين يدى العقاد من الشواهد المادية ما يدين به الزهاوى ، ولا كذلك فيما يتصل بالأب الكرملى ، فهو صاحب مجلة «لغة العرب» ، ومحررها ، ولذلك انتهى العقاد إلى ما تقضى به تقاليد الصحافة فى مثل هذه الحال ، وهو ان يكون رئيس التحرير مسئولا : «ليس من شانى انا ان اعزو هذا الكلام إلى غير صاحب المجلة ، المكتوب اسمه على غلافها ، فان النقد هو الذى يعنينى ، وليس الكاتب ولا من اوعز إليه ، وقد صدر النقد فى مجلة لم تنسبه إلى احد ، فهو لها إذن ، وهى راضية عنه موافقة عليه» .

وقد صب العقاد جام غضبه على الأب الكرملى ، ولم يقف به ـ كعادته وأسلوب النقد على ايامه ـ عند حد معين . وإذا كان ناقد العقاد اسرف فى ماخذ لغوية ليست بذاك ، فان العقاد تجاوز التصويب والدفاع إلى التجريح الشخصى القاسى : «ولست اعرف معرفة اليقين ما الأب انستاس مارى الكرملى ، صاحب المجلة المكتوب اسمه على غلافها ولكنى كنت سمعت من صاحب لى اديب ، إنه راهب دير ادمن الاشتغال باللغة العربية ، حتى تريب رؤساؤه به لهذا ، فنفوه إلى دير ينقطع فيه عن خدمة هذه اللغة زمنا لا ادرى ما قدره ، فان صح ما رواه صاحبى الأديب ، فهم قد اطلقوه الآن لأنهم رجعوا إلى الصواب فى امره ، وعرفوا ان البلية على اللغة العربية فى اشتغاله بها لا فى انصرافه عنها ، وتركها وشانها» .

نقد الجانب اللغوى

وتناول النقد الذى وجه إليه فى جانبه اللغوى فرد عليه كله ، وكشف عن معرفة واسعة باللغة والنحو والتراث ، رغم انه كان فى ريعان الشباب . فهو يرد على النقد الذى اوردناه فيما سبق قائلا :

«لا يامولانا ، إن حرف الجر يحذف من «رغب» ومشتقاتها كما جاء فى القرآن :



عباس العقاد — صدقى الزهاوى

«وترغبون ان تنكحوهن» ، وكما جاء فى الشعر الذى استشهد به ابن هشام :

ويرغب ان يبنى المعالى خالد
ويرغب ان يرضى صنيع الالائم

وكما جافى قول يونس حين سئل عن الشعراء : «امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذ رهب ، وزهير إذا رغب ، والاعشى إذا طرب» . وكما جاء فى قول الشريف :

طواك إلى غيرى المعتفى
وجاوز ابوابك الراغب

وكما جاء فى قول البحترى :

تولته اسرار الصدور واقبلت
إليه القلوب من محب وراغب

وكما يعلم الأب ، لو انه يقرأ كتب النحو ، فضلا عن الدواوين واقوال الأدباء» .

ولكن العقاد أهمل الرد على الجانب الذى يتصل بالمعنى ، لأن وجهات النظر فيه تختلف ، وفيه بعض الحق ، ولن يكون رده حاسما قاطعا على نحو ما كان عليه فى قضايا النحو واللغة .

كان رد العقاد عنيفا ، ولا يتوقع من العقاد غيره ، فهو صادق مع نفسه دائما تلك طبعه وتلك طبيعته ، وحين قرأ الاستاذ مصطفى على هذا الرد كتب فى جريدة العراق بتاريخ ١١ تموز ١٩٢٨ كلمة بعنوان : «المؤاخذ بذنب غيره» ، المح فيها إلى ان كاتب المقال شخص آخر غير الكرملى ، ولكنه لم يبين من هو ، يقول : «ولكن كلمة الحق يصعب على ان لا اقولها ، تلك هى : إن الكرملى قد اوخذ بذنب غيره ، غيره انتقد العقاد ، وغيره أساء إلى العقاد ، وهوالذى عوقب على تلك الاساءة ، وهو الذى اوخذ بتلك الفعلة ، وبعد : فلله در انستاس ما هو اليوم من العقاد محتمل ، وساعده الله بين اشداق اى أسد وقع !» .

ولكن ناقد العقاد لم يتوقف ، فقد نشرت «لغة العرب» فى عددها الصادر فى تموز ١٩٢٨ ردا على العقاد ، بغير توقيع أيضا ، بل إن كاتب الرد فى هذه المرة اتخذ من الأسلوب ما يومىء إلى انه الأب الكرملى ، حيث قال : لا ادرى لماذا كان نقدى غريبا ألكونى تجرأت على نقد ديوان الأستاذ وهو الذى يخشى الناس معرة لسانه فيتجنبونه لئلا يصيبهم رشاش من شتائمه التى يقذفها على من يتصدى لنقده ، أم هناك

سبب آخر أجهله ؟» .

«على أن الأجدر بالأستاذ أن يثوب إلى نفسه ، ويقرع الحجة بالحجة شأن العلماء ، فلا يحنق ولا يتهور ، والذى لا يحترم الناس فالناس لا يحترمونه» .

جاء رد «لغة العرب» فى مجال اللغة قويا ، وإن لم يأت على دفاع العقاد ، وعمق الشبهة فى أن كاتبه إن لم يكن الأب الكرملى نفسه ، فقد أعان عليه ، ووجه صاحبه ، وجرى بقلمه بين أفكاره دعما وتدليلا .

ونشرت الحلقة الثانية من النقد فى العدد الخامس من مجلة «لغة العرب» ، مارس ١٩٢٨ ، وجرى فيها الناقد على نحو ما صنع فى الأولى ، يسل من القصائد أبياتا يبين ما فيها من عوج لا ترتضيه اللغة ، أو تأباه قواعد النحو أو يخاله العقل ، للوهلة الأولى ، محالا فى مجال الفكر ، وعندما يقع بيت للعقاد يستحق الثناء يذكر ذلك ، ولكنه لا يلبث أن ينقض عليه ، فيأخذ ما أعطى ، ويأتى على ما نسبه إليه من إحسان :

« ومما أجاد فيه الأستاذ :

ليس بين الجفـــون والعقـــل إلا خطوتا ســـائر فحاذر وامســـك

أول الخطوتيـــن نسيانك النـاس وأما الأخـــرى فنسيان نفســـك

وكان الأحسن ، لو ساعده الوزن ، أن يقول : أولى الخطوتين كما قال الأخرى !»

وتلت الحلقة الثانية ثالثة نشرت فى العدد السادس ، مايو ١٩٢٨ ، ورد عليها العقاد أيضا فى البلاغ الأسبوعى ، ٢٠ يوليه ١٩٢٨ ، وكانت المقدمة كما عودنا العقاد : «فى هذا الجزء مثال آخر من نقده ، يدل كما يدل سابقه على جهل مطبق بقواعد اللغة ، وفهم ضيق للأدب ومعانى الشعر ، لم أر لها مشابها بين جهلاء النقدة ، وأدعياء اللغة ، وهم غير قليلين» .

ثم يختم رده بقوله :

«لقـــد أضعنا الوقت ، وأطلنـــا مناقشة جاهل بلغ من جهله ما يراه القراء ، فلا لوم علينا ، لأننا لا نعد من ضياع الوقت أن نكشف لقراء العربية كيف يشتهر مثل أنستاس الكرملى هذه الشهرة باللغة ، وهو فى علم اللغة بهذا المكان الحقير ، فإن ذلك ـ كما قلنا ـ لعبرة ، وإن فيه تصحيحا لمقاييس الناس ، وفتحا لأعينهم على حقائق الدعاوى والاشاعات» .

ولم تسكت صحيفة «لغة العرب» عن رد العقاد ، وإنما تناولته فى عددها التاسع ، أيلول ١٩٢٨ ، واتهمته بأنه يسب عجزا ، وأن الناقد قادر على أن يجاريه فى سبه : «ما أسهل السب والشتم والثلب لو كانا يغنيان عن الحجة ، كما فعل الأستاذ العقاد ، بعد أن عجز عن قرع حججى بالحجج ، ولو أردت لأشبعته سبا كما يفعل ، ولكنى لا أجاريه فى سفهه ، بل أمر بلغوه كريما ، وأقول سلاما» .

ومع الحلقة السادسة توقفت مجلة «لغة العرب» عن نشر شىء ، وهدأت المعركة بينها وبين العقاد .

> ● التجاوب الفكري والأدبي بين أدباء الوطن العربي يدعم وحدتهم القومية ويقوي الإحساس بوحدة المصير

من هو الكاتب الحقيقى ؟

جاءت هذه المقالات دون توقيع كما قلنا ، ودون تقديم أيضا ينبىء عن كاتبها أو يلمح إليه ، ويخلى المجلة وصاحبها من المسئولية ، واتجه رد العقاد إلى الأب الكرملى مباشرة ، وهاجمه شخصيا ، ويغلب على ظنى أن العقاد تصوره كاتبها ، ففيها من اللغة علم كثير ، وبالنحو معرفة عميقة ، وعهدنا بالشعراء ألا صبر لهم على المعاجم ، ولا كتب القواعد ، وبقى الأمر على هذا النحو تلك الأعوام وماتلاها .

ولكن الباحث العراقى الأستاذ عبد الرزاق الهلالى أزاح النقاب عن هذا السر فى دراسته الرائعة القيمة عن الزهاوى ونشرتها الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٧٦ ، وجاء كشفه للأمر مدعوما بالوثائق المادية ، وليس ظناً يدفع إليه الحدس والتخمين ، ولم يكن يهدف إلى هذه القضية بدءا ، وإنما كان بصدد دراسة نقد الكرملى للعقاد ، وظن كغيره أنها من قلمه، ولكنه لم يجدهما فى ثبت مقالات الكرملى لعام ١٩٢٨ ، وتضمنها كتاب الأستاذ كوركيس عواد عنه ، فاتصل بالمؤلف يسأله عن سبب إغفالها ، فكان رده : إن هذه المقالات كانت بقلم الزهاوى ، وليست بقلم الكرملى .

ـ وكيف نثبت ذلك ومر على النقد قرابة نصف قرن ؟

ـ إن الدليل مادى ، فمسودات النقد موجودة ، وهى فى حوزة الأخ ميخائيل عواد .

واتصل الأستاذ الهلالى بالأستاذ ميخائيل عواد ، فأنبأه هذا بأنها توجد الآن فى خزانة المحفوظات فى مكتبة كلية الآداب ، فى جامعة بغداد .

المسودات بخط الزهاوى نفسه ، وتتضمن النقد كاملا ، وجاء فى ١١٠ صفحة ، لم ينشر منها غير محتوى ٥١ صفحة فقط ، ثم توقفت المجلة عن نشر البقية ، لسبب غير واضح ، ويمكن للمرء أن يتصوره فقد كان الأب الكرملى رجل دين ، وكانت الشتائم تنهال عليه ، وتنال من قدره ، بينما بقى الزهاوى بمنجى منها ، له كل إيجابياتها ، ولا يناله من شرها أى رذاذ .

وإنها لحقيقة تستحق أن تعلن وتدرس ، وأن يدور حولها نقاش طويل ، الشاعر صدقى الزهاوى ينقد ، والعقاد يرد على الأب الكرملى ويمسك بخناقه . وبين الأمرين يقف الدارس المعاصر ، والقارىء الشاب يتأمل حقائق رائعة ، تتمثل فى هذه الحيوية الدافقة فى حياتنا الثقافية منذ خمسين عاما مضت ، أو يزيد ، وهذا التجاوب الفكرى والأدبى القوى ، بين أدباء كل أقطار العروبة ، يدعم وحدتهم القومية ، ويرسخ فى نفوس الناشئة الاحساس بوحدة المستقبل والمصير ، ويجعل منا على تعدد أقطارنا أمة واحدة ، وراء السياسة وبعيدا عنها ، فى دولة حرة ، قادتها الكتاب والأدباء ، وسلاحها المجلة والكتاب .

د. الطاهر أحمد مكى

مصطفى وهبي التل

شاعر الهروب إلى عالم الصعاليك والنَّوَر

عبد الحميد محادين



لست اظن ان شاعرا عربيا فى هذا النصف الأول من القرن العشرين بسط نفسه على مساحة وطنه ، وبسط شعره على مساحة نفسه ، كما فعل مصطفى وهبى التل (١) ، الشاعر الاردنى الذى تقرؤه ، فيفجؤك بخصائص ، يكاد يتفرد بها .

هذا الشاعر يبهرك بالتزامه ، وقدرته على تمثل هموم البسطاء والفقراء والصعاليك من شعبه ، ويبلغ الذروة فى ذلك حين يجعل شعره هو حياته ، وحياته هى شعره .

ولا يستطيع احد ان يحسب عليه كلمة قالها ولا يعنيها من حيث ممارساته الفعلية .. ويصل بك الأمر الى الاعتقاد بان مصطفى التل ، هو الشاعر الذى لا تحتاج مع ديوانه الى اى مصدر اخر للتعرف على حياته وهمومه ، وتركيبه النفسى .. فشعره يجيب عن اى سؤال متعلق به .. ولعله ، نموذج او شاهد على ما كان يطلبه العقاد فى الشاعر .. وهو ان يكون هو فى شعره ..

اذا قرات «عشيات وادى اليابس» ـ وهذا رسم ديوانه ـ فلن تحتاج الى من يضيف اليك اى شىء عنه ! .

هناك فى هذا الشاعر جوانب كثيرة تستحق الدرس والتناول ، وهى متنوعة ومحورية ، تملك ابعادا تصلح مقدمات للأحكام الأدبية او النقدية ، وتصلح استدلالات فى كثير من الأحيان على ظواهر أدبية لذاتها . وساكتفى هنا بتناول جانب واحد من شعره ، يتعلق بموضوعاته أكثر من تعلقه لفنية البناء لدى الشاعر ، فلذلك مجال آخر .

يبرز فى شعره الجانب الرافض من خلال بعدين أو لنقل من خلال توجهين متكاملين ، يتعلقان بهذا النقد الاجتماعى والسياسى اللاذع الذى كان لا يتردد فى توجيهه وبكافة الاتجاهات دون خوف أو وجل .

وقد حدد فى شعره النقدى وهو معظم شعره طابعا لاذعا وساخرا ، ومباشرا حسب الأحوال ، وحسب الأهداف التى يتوجه الى النيل منها ، وقد كون له رموزا يتحرك فوق امتداداتها ، تاركا لمساته النقدية والهجومية فوقها ، ولقد تلخص هذا الموقف من خلال رفضه وهروبه ، ولقد رفض كثيرا من الظواهر الاجتماعية والسياسية ، وانتقدها ، ثم برر بها هروبه النفسى ، والذهنى ثم المكانى ، ولعل ثورته ورفضه وهروبه هى جميعها جوانب تبادلية من حيث التاثير فيه وفى شعره ، ولعل الشاعر فى نقده وفى رفضه وفى هروبه ، وهذا الشق الأول من موقفه ، وفى انتقائه لعالمه المثالى الذى عثر عليه فى واقع الحياة ، وهذا الشق الثانى ، فيمثلان البعد المحورى لشعره ..

ويتسم فى هجومه النقدى انه ينحاز الى البسطاء والمظلومين من شعبه ، والظلم وضع اجتماعى يتمثل فيه الظالم

والمظلوم متقابلين ، مع اتفاق فى العلاقة :

والشعب اضيع عندهم من سائل
قذر يمد ذراعه للئيم
والمرهفوه على حساب شقائه
بمناعة من بؤسه ونعيد (٢)

ولا يخفى الشاعر انتماءه وانحيازه ، وهجومه ، وعداءه للمتنفذين ، المتسلطين ، الذين يبنون سعادتهم على شقاء الآخرين ، كاشفا زيفهم ودعاواهم ، ويصل الى قناعات مشتقة من هذا التناقض الانسانى المخيف :

لما رايت الكذب سر تفوق الفئة السرية
ورايت كيف الصدق يذهب من يقول به ضحية
ونظرت احلاس الوظائف سادة بين البرية
ايقنت ان الالمعية فى ازدراء الالمعية

وشاعر كمصطفى التل لابد أن يختار موقعا يقف فيه ، ويحدد من هناك أهدافه الأولى ، مدركا الكثير من معطيات هذا المجتمع ومفصلا ما يراه الانسان العادى مجملا ، نافذا الى ما وراء القشرة ..

كم فارس هو فى الحقيقة عند رائبه مطية
ومدجج قاد السرية وهو قواد السرية

وكان الهجوم احد وسائله للمقاومة ، ولقد مارس شاعرنا الهروب بكافة اشكاله وهو ليس هروب الضعيف ، لكنه واحد من أساليبه فى الهجوم :

هات اسقنى ما للحياة بغير عربدة مزية
واسبا لنا ان الزقاق مباءة الأمم السبية

وقد يضطر الشاعر الى ما هو اكثر من مجرد هذا الهروب الذهنى أو النفسى ، فقد وجد احيانا انه فى مواجهة مهما بلغت صلابته فلن يستطيع الى ازاحتها سبيلا ..

وهو يشير الى الهروب حين يتعب ويرهق :

إن فى بعد الفتى عن موطن
سامه الغوغاء ارهاقا لربح
هاتها واشرب فقومى كاد من
فرط ايقاظى لهم صوتى يبح

وأمام الالحاح ، اخذ يبحث عن البدائل ، وكانه اهتدى الى الهروب المكانى فهو شكل من اشكال الرفض العنيف .. ولعله هروب رومانسى ، فالطبيعة والحياة البسيطة الرعوية هى ما يود تاركا وراء ظهره هذه الحياة الزائفة المعقدة :

ان أرى لي بيت شعر حوله
من شلايا قومك السرحان سرح
فى فلاة ليس للعلج بها
حية تسعى وثعبان يفح

ولقد شغل الشاعر وظائف كثيرة ومتعددة وكان بعضها من تلك الوظائف المتقدمة ذات النفوذ ، ولكنه مع ذلك لم ينس انحيازه المطلق الى الفقراء والصعاليك ، بل يعتبر نفسه قيما على امورهم .. وقد طالبه بعض الاغنياء مرة بتحصيل نقودهم من مديونيهم من الناس ، بحكم وظيفته ، ولكنه لم يستجب لمطالبهم ، وبخلى عن الوظيفة من اجل ذلك .. وقال يرد على هؤلاء :

هذى الوظيفة إن كانت وجانبها
وقفا عليهم ، فعنها الله يغنيني
إن الصعاليك اخوانى وإن لهم
حقا به لو شعرتم لم تلوموني
إن الصعاليك مثلى مفلسون وهم
لمثل هذا الزمان الزفت خبوني
والأمر لو كان لي لم تفرحوا ابدا
من اجل دين لكم يوما بمسجون

فبلطوا البحر غيظا من معاملتى
وبالجحيم إن استطعتم فزجوني
فما انا راجع عن كيد طغمتكم
حفظا لحق الطفارى والمساكين

وهو إذ يلمس الآلام فى قاع المجتمع وأسفله ، حيث المسحوقون ، لا يتهيب أكثر الأمور تعقدا ، بل يرتقى الى الموضوعات السياسية المعقدة ، ويلمس جوانب بالغة الحساسية ، وقد كان الشاعر محاميا ، يحمل درجة فى القانون من جامعة دمشق، وكان مثقفا ثقافة عالية تسمح له أن يخوض فى الموضوعات العامة ، بل لقد عمل فى السياسة فترة ، حيث كان عام ١٩٤١ رئيسا للتشريفات فى ديوان الأمير عبد الله ، وقد بعث به الى مصر فى مهمة لمقابلة مصطفى النحاس ، والقى فى تلك الرحلة محاضرة فى الجامعة المصرية بعنوان «وحدة الوجود» (٣) والتقى هناك بالشاعر ابراهيم ناجى ، وهذا يعكس أن الشاعر كان على علم بما يجرى فى زمانه ، وكان ملما باكثر من بيئة عربية .

وهو يجيد السخرية اللاذعة ، وتبادل العلاقات ، ويلخص حياته تلخيصا حقيقيا صادقا ..

حياتى مثلما انبوك ارهاق وتشريد
وسجن بعده منفى وتعذيب وتبعيد

وكان يعلم أين تكمن المأساة ، وهنا يتلمس الجذور الاجتماعية للفعل نفسه ، والفعل نفسه هو حصيلة التعقيدات والاحباطات والانكفاءات الانسانية :

شمس العدالة لم تشرق على نفر
مؤلف من مخاريق وخرسان
فليتق الله بى شعبى محبته
كانت وما برحت دينى وديدانى

وهنا يذكرنا بجبران خليل جبران ، الذى احب شعبه الى حد الغضب عليه حين لم يعرف كيف يستخلص حقه . ومع ذلك كان الشاعر صادق الاحساس يتلمس مكامن الفعل التاريخى فى اعماق المجتمع :

شاعر الهروب

إلى عالم الصعاليك والنَّوَر

ويح الغنى من الفقير إذا
ما جاع وانتهك الطوى ربعه

وهذا الجانب فى شاعريته رغم اثارته واهميته لا تكتمل به الصورة ولا نكون التعادل الذهنى والفنى عن شاعرنا قبل أن نلج معه عالمه الثانى ، عالم البدائل الذى اتخذه الشاعر وهو المجتمع «النورى» . ولعل الشاعر كان يدرك ان الناس يحتقرون هؤلاء النور أيما احتقار، ولكنه حين عايشهم أدرك الجوانب الطيبة فى حياتهم من جهة ، وتعاطف مع بؤسهم وانسحاقهم من جهة اخرى ، وأراد أن يشهر بالمجتمع الكاذب من خلال مدح هذا المجتمع وكشف مزاياه ، فكان يشير الى نقيض ذلك فى الحياة العامة التى كان يرفضها ، وأراد أن يعريها من خلال ابراز فضائل ذلك المجتمع المرفوض منهم ، وقد كانت هروبات الشاعر النفسية مقدمة لهذا الهروب الاجتماعى والمكانى ، فقد وجد فى عالم النور عالما مثاليا ، واتخذ منه مستقرا له ، ووجد فيه بعداً رمزياً هاجم من خلاله من أراد هجومهم ، ونكل بهم واذاهم أيما أذى ..

«والنور هؤلاء .. قوم رحل لا ينتمون الى وطن ويقال انهم جاءوا من الهند ، وانتشروا فى بقية بلدان الشرق الأوسط ، وهم قادرون على التأقلم والمحافظة فى آن واحد ، ففى الوقت الذى يستطيعون فيه اقتباس عادات سكان المحيط الذى يحلون فيه يحتفظون بمزاياهم الأصلية الخاصة ، وتنتشر زحوفهم فى جميع البلدان العربية كغيرها من البلدان ، ويطلقون عليهم أسماء شتى» (٤) وهم يمارسون فى مجتمعاتهم حرفاً شتى من النشاطات ، ومنها بعض الحرف الخفيفة ويمارسون فى مجتمعاتهم الرقص والطرب واقامة الحفلات الراقصة ، ويرتاد مضاربهم الباحثون عن الوصف والطرب واللهو ، والتهتك أحيانا .. وقد عاش معهم الشاعر اياما طويلة وتعرف فيها على خصائصهم ، وصادق زعيمهم «الهبر» والهبر لقب لهذا الزعيم الضخم الجثة . وقد كان صديقا للشاعر ، وادخله الى رحاب شعره ومنحه أبعاداً رمزية كبيرة ، فهو رمز مرة ، وحقيقة مرة اخرى ، ووظفه فى شعره وظائف مختلفة . وقد اتكأ عليه ليستن هجوماته حين لا يستطيع أن أن يشنها مباشرة .. فيتهمه بالعيوب التى يريد أن يتهم بها الذين يهاجمهم ، وقد يرمز به الى هذه الطبقة المحتقرة فى المجتمع ، وقد يرمز به لخلق التناقض بينه وبين خصومه ..

كان الشاعر ينظر الى المجتمع النورى نظرة ذات بعدين ، البعد الأول كواقع اجتماعى له معطياته الموضوعية وقيمه الخاصة المختلفة عن سواه ، وكان هذا المجتمع يقيم عادة فى خرابيش أى بيوت من الخيش والشعر ، وهى رزية ومهينة ، ولا يتمتعون باحترام الناس ..

اما البعد الثانى فهو ينظر لهم رمزاً للانسحاق الانسانى والضياع البشرى ، وقد كان الشاعر يسخر من ترفع الناس على النور ، ويهاجمهم لترفعهم الزائف ويكشف عن ظواهرهم الكاذبة ، ويذكر هؤلاء الناس ان فى المجتمع النورى قيماً علياً أنبل من تلك التى فى مجتمعاتهم ، وانهم إذ يزدرون النور انما يعبرون عن عقدهم وتشنجاتهم ...

ويؤكد الشاعر هذه النظرة التى كانت مفعمة بالاحترام للنور ، وليس احتراماً قائماً على مجرد نزوة ، وإنما لأنه وجد فى مجتمعاتهم من الخصائص والقيم والممارسات التى تحكم المجتمعات الأخرى بالوصول اليها ، فالتحق بهذا المجتمع النورى عملياً ، ومارس داخله حقوقه الانسانية من حب وكرموصبوة ، وصادق النور وزعيمهم الهبر ، وادخله الى رحاب الخلود من خلال اشعاره ، وأفرد للهبر هذا مساحة لا بأس بها فى شعره ..

ومن معسكرات النور شن هجوماً مضاداً على المجتمع وتوابعه ، ولقد حاول ادخال النور الى صلب المجتمع ، وحاول الحصول على اعتراف رسمى بهم ومن خلال الهبر كان يبدأ الهجوم ..

طلب الهبر مقابلة مدعى عام عمان ، ورفض هذا المقابلة ، مترفعا على الهبر ، ومزدريا له ، فعلم الشاعر مصطفى التل بذلك فكتب اليه ..

يا مدعى عام اللــواء وانت من فهم القضيــة
«الهبر» جاءك للسلام فكيف تمنعــه التحيــة
الآن كســوته ممزقــة وهيئتــه زريــه ؟!!
قــد صــده جنديك الفظ الغليــظ بــلا رويــه
وأبى عليه أن يــراك فجاء ممتعضـــا اليـــه
فاسرع وكفـر يا هداك اللـــه عن تلك الخطيــه
وادخله حالا للمقـــام وفز بطلعتــه البهيـــه

ولا تخفى المضامين الاجتماعية التى عكسها فى هذا الهجوم والسخرية اللاذعة ، فالناس حسب هيئاتهم لا حسب حقائقهم ، والمجتمع لا ينال الاحترام فيه سوى سراة القــوم وأغنياؤه .

جعل من الهبر رمزاً ، يلقت اليه الخطاب اذا خاف أو تحرج ، دون أن تكون للهبر علاقة بهذا الأمر ، وكان الناس يدركون أن الهبر ليس المقصود بذلك ، فهو يوري به ، ويمدحه احياناً ليذم سواه ، أو يذمه ليذم غيره فيه .

وفى الأبيات التالية يوجه الى المجتمع ، بل الى المترفين على حساب الشعب نقده من خلال التوجه الى الهبر:

يا هبــر بى فقر كفقــرك للابـــاء وللحميــه
أو ما ترانى قد شـبعت على حساب الأكثريــة
وأكلـت بسكوتا وهذا الشعب لا يجد القليه (٥)
ولبست إذ قومى عراة غير ما نســجت يديــه

لكن لماذا نطيل الحديث عن الهبر ، فلننتقل الى قوم الهبر ، الى النور ، الذين فى حياتهم وجد الشاعر الحياة البديلة التى تستحق أن تعاش ، ويهرب اليها من

● شعره وثيقة اجتماعية يصور المجتمع بكل نقاط ضعفه وقوته

هذا المجتمع الكاذب الزائف ، وقد ادرك أن المجتمع النورى على هوانه افضل منه ، وكان يذم الآخرين من خلال ذلك ، ويعبر عن احلامه التى كان يتمناها لشعبه ، ويعنى القيم ، لا الحياة نفسها ، فوجدها قيما تحققت للنور ..

يا هبر شعبك بالحياة من امتى
أضحى الأحق وبالكرامة اجدر
يا هبر هات لي الربابة وانطلق
بى حيث قومك أسهلوا أم أصحروا
أنا مثلكم أصبحت لا أرض ولا
أهل ولا دار ولا لي معشر

هنا مفتاح الموقف كله فى علاقته بالنور فهم تعساء ، والمجتمع يحتقرهم وهم أحق بالحياة من هذا المجتمع .. وصار الشاعر واحدا منهم .. وكانت فى نظر المجتمع كلمة «نور» سبة ، ولكنه يؤكد ان الامر غير ذلك وهو يفاخر بهم ، لينال من محتقريهم ومهاجميهم .

ولعل الشعر كوثيقة اجتماعية تصور هذا المجتمع بكل نقاط ضعفه وقوته كان الوسيلة من خلال بحثه على النقيض وعثوره عليه ، حيث وجد ذلك فى مجتمع النور ..

بين الخرابيش لا عمرى يضيع سدى
ولا يضيق الهدى ذرعا باطوار
بين الخرابيش لا عبد ولا أمة
ولا أرقاء فى أزياء أحرار
ولا نضار ولا دخل ضريبته
تمنى ولا بيدر يعنى بمعشار
بين الخرابيش لا حرص ولا طمع
ولا احتراب على فلس ودينار
الكل زط مساواة محققة
تنفى الفوارق بين الجار والجار

هذا هو المجتمع الحلم ، هذه اليوتوبيا ، التى بحث عنها الفلاسفة ، وجدها الشاعر على الأرض ، حقيقة واقعة .. انهم النور .. الكل عند المجتمع النورى احرار ، لا احد يسفك دم احد ، ولا يوجد طمع ولا حرص ولا حرب على فلس ودينار ، مساواة مطلقة .. فى الخرابيش مجتمع النور النموذجى ..

يعدد الشاعر الصفات التى هم براء منها ، والاهتمامات التى لم تصلهم ، فهم بخير لانهم لم يتسموا بسمات المجتمع الآخر :

وتعال عند المنتشين بطبعهم
من حان الحان الربابة نسمر
الطامعين وليس من أمل لهم
والقانطين وكلهم مستبشر
الآخذين من الحياة بصفوها
والتاركين لغيرهم ما يكدر
نور نسميهم ونحن بعرفهم
منهم وفى عين الحقيقة أنور

ومن المعسكر النورى يتلمس ناقدا ومنددا وغامزا ولامزا ..

اخوان سلمى خربشوا
فالاحتفاء بهم لزام
والهبر قد زار الربوع
فيا هلا عم السلام
ودع السياسة للألى
قد أتقنوا صف الكلام
لبسوا الحرير وشعبنا
يا هبر لا يجد المضام
نقضوا العهود فلا عهود
ولا وفاء ولا ذمام
قد أمرضتهم تخمة
وحدتك سارية العظام
فقضوا عليك بما قضوا
وأنوف قومك فى الرغام

هكذا .. شعب لا تاريخ له ولا ذكريات .. انه واقعهم ، ومع ذلك فقد وجد فيهم من الفضائل ما لم يجد فى قطاعات كبيرة من شعبه .. ولقد كان يتعرض هو نفسه الى نقد الناس لانه يعايش النور .. لكنه لا يحفل بهم ..

وقد حرؤت ولم أحفل بلومهم
بين الخرابيش عند الزط أردانى

أين تقع الحقيقة .. من هو الفاضل . ومن هو الذى استطاع ان يحيط بحقائق المجتمع ، اى شاعر كمصطفى التل استطاع أن يكون صادقا مع نفسه ومع شعره ومع فنه ، وهذا حسبه .. انه «عرار» شاعر الأردن ..

عبد الحميد محادين ـ البحرين

اشارات :

(١) مصطفى وهبى التل .. ولد سنة ١٨٩٩ فى اربد ، شمال الأردن ، وتوفى سنة ١٩٤٩ . وقد عاش حياة قلقة مضطربة ، شغل خلالها عشرات الوظائف ، وسجن عشرات المرات ، ونفى الى اكثر من جهة . كان يلقب بـ«عرار» .. وقد اخذ هذا اللقب من قول الشاعر عمرو بن شاس الاسدى فى ابنه عرار :

أرادت عرارا بالهوان ، ومن يرد عرارا ، لعمرى ، بالهوان فقد ظلم

له ديوان شعر اسمه «عشيات وادى اليابس» .

(٢) كل الشعر فى المقال من ديوانه عشيات وادى اليابس ، المطبوع سنة ١٩٧٣ .

(٣) الحركة الشعرية فى بلاط الملك عبد الله بن الحسين ، تاليف : تركى احمد الرجا المغيض .

(٤) نفس المصدر السابق .

(٥) القلية : هى القمح بعد ان يتم تحميصه على النار .. وهو اكل الفقراء .

مجيد طوبيا



●● فى صدر شبابه عمل يحيى حقى معاونا للادارة فى مركز «منفلوط» بصعيد مصر ، وذلك فى عامى ١٩٢٧ ـ ١٩٢٨ .. وكانت مرحلة من أغنى مراحل حياته استيعاباً وتفتحا ، سجلها فيما بعد على مستويين : المستوى الوصفى فى كتابه الشيق «خليها على الله» .. والمستوى القصصى فى مجموعته البديعة «دماء وطين» ..

وفى العام الماضى ١٩٨٠ ـ أى بعد اكثر من نصف قرن (٥٢ عاما) ـ جاءت الى مصر مستشرقة انجليزية شابة اسمها «ميريام كوك» .. جاءت بهدف أساسى هو مقابلة يحيى حقى والتعرف عليه عن قرب ، بعد أن عرفته وأغرمت به عن طريق كتاباته .. وبعد أن التقت به وتحاورت معه مرارا ، شدت رحالها فجأة إلى منفلوط تبحث فيها عن جزء هام من عالمه ، ما انقرض منه وما تغير أو بقى حتى الآن .. فكانت نتيجة رحلتها مقالا نشرته بالانجليزية تحت عنوان «البحث عن حلم» .. سردت فيه تجربتها الطريفة ..

غير ان جموح خيالها أدى إلى اختلاط بعض الأمور عليها وتناقض بعض تفاصيلها .. كما أدت محاولتها لتفخيم جهدها وتضخيم ما انجزته الى تقديم رحلتها لمركز منفلوط الشهير بصعيد مصر وكأنها مغامرة استكشافيه الى بقعة مجهولة على سطح الكرة الأرضية ، وكأنها قد قامت بالرحلة الثامنة للسندباد ، أو السندبادة إن جاز التأنيث !!

وإرجاع تأثير حكايات السندباد على خيالها يرجع الفضل فيه الى استاذنا يحيى حقى نفسه ، وقد وافقته على هــــذا ..

ولنقرأ معا ترجمة النص الكامل لمقالها «البحث عن حلم» ●●

البحث عن حلم

منذ عامين قرأت اسم يحيى حقى لأول مرة ، منذ عامين بذلت محاولاتى الأولى لفهم قصصه الأسرة ، منذ عامين قررت ان أكرس كل جهدى لدراسة أعمال هذا المصرى .. ومع تلمس طريقى عبر حبكاته الروائية وجدت نفسى اتعاطف مع هذا العجوز الطيب ، ومع هذا التعاطف جاءت الرغبة ، الشغف الى مقابلته .. أخيرا حققت طموحى الذى طال انتظاره ، وطرت الى القاهرة ..

بعد المشاق المألوفة مع التاكسيات والفنادق ، انتهت بى الاقامة لدى أسرة مصرية فى «مصر الجديدة» ، على بعد مرمى حجر من بيت حقى .. مع سنوح أول فرصة توجهت الى طابقه ، وكم كانت غبطتى عندما وجدته يقيم هناك فعلا .. رحب بى بحرارة ، ثم سارع الى دعوتى للمشاركة وزوجته وابنته فى تناول العشاء لدى «أندريه» فى اليوم التالى ، ولم تكن هذه إلا بداية لثلاثة اسابيع من الكرم والضيافة .. ومن خلال مناقشاتنا العديدة ، كان أمر ما يزداد وضوحا ـ وهذا هو اللغز ـ ذلك التوقير البالغ الذى يكنه لمنفلوط ، تلك المدينة الكائنة بصعيد مصر ، حيث أمضى عامين من شبابه ، تركت فيه انطباعا عميقا ، انطباعا يحرص عليه فى حماس !.. انه لم يعد اليها ثانية !!

شغلنى الأمر ، فصممت على أن أقوم أنا بالرحلة .. وبالفعل ، وبعد اسبوع فى اسوان ، ركبت قطار الليل المتجه الى أسيوط ، ولم يكن لدى معظم من سألتهم اية فكرة عن موقع منفلوط ، وذهلوا من تصميمى على الذهاب اليها !! .. وفى الثالثة صباحا وقف القطار فى محطة أسيوط الصغيرة ، وكان علي أن انتظر قطار منفلوط فى الخامسة والنصف .. جرجرت خطاى الى بوفيه المحطة نصف واعية من التعب ، ثم جلست التمس اقصى راحة ممكنة فوق مقعد من الحديد يواجه منضدة حديدية ، وطلبت كوبا من الشاى الساخن المحلى ، تبعته بثلاثة اخرى ، بينما كان بعض الصبية مستمرين فى نقل زجاجات الكولا الفارغة الى صناديقها ، يندفعون فى وحشية نحو بعض الكلاب الضالة ، ثم يعودون لاعادة ترتيب صناديقهم المبعثرة ..

اخيرا ، حدثت حركة وبعض الاثارة ، مع زحف قطار قديم قذر ، تثاقل صوب المحطة ، قطار منفلوط .. وركبته فى رعاية شيخ وقور قيل لي انه من أهالى منفلوط ، ورغم شدة فضول المسافرين ، إلا أن أحداً منهم لم يحادثنى .. وتقدم القطار متباطئا عبر وادى النيل ، متلكئا عند كل وقفة فى الطريق ، وأخيرا وصلنا .. وسألنى الشيخ الذى وضعت فى رعايته عمن أقصد ، وعندما أجبته أومأ ثم مضى بحزم صوب منزل المحامى «مكسيموس» ..

المنزل عبارة عن ثلاثة طوابق من الحجارة ، بمحاذاة شريط السكة الحديد له شرفة فسيحة فى طابقه الأرضى .. الآن عرفت المنزل ، لكن الساعة مازالت السادسة صباحا ، ولم أكن أريد إزعاج



● البحث عن جذور العمل الأدبى لا يتوقف عند حدود .. وهذه التجربة التى تقدمها مستشرقة انجليزية فى صعيد مصر جديرة بالتأمل .. ولكنها تقدم صوراً مليئة بالقسوة ولا تخلو من نبرة عنصرية .. فى هذا المقال نقدم هذا النموذج عن هذه النظرة الغربية للعالم العربى وسوف نخصص مقال العدد القادم للرد على مثل هذه الكلمات المتجنية ●

سكانه فى مثل هذا الوقت المبكر ، لهذا شكرت دليلى وسألته إن كان يعرف مقهى قريباً ، غير أنه لم يجبنى ولم يعرنى انتباهاً ، بل راح يطرق الباب فى إلحاح ، متجاهلاً توسلاتى :

– كل انسان يستيقظ مبكراً فى منفلوط هكذا أكد لى :

– انهم فقط لم يسمعوا الطرقات .

ثم راح يشن هجوماً مجدداً من الطرقات على الباب ..

أخيراً أطلت امرأة عجوز صغيرة الحجم فى ملابس سوداء ، أطلت من باب جانبى متسائلة : من هذه ؟؟ .. من تريدين ؟؟ من أرسلك ؟؟ .. لم أسمع عنه أبداً (طبقاً لما أجابتنى به) .. وبينما أنا واقفة فى احباطى ، فتح الباب الأمامى وخرجت منه الى الشرفة امرأة فى روب أخضر ، جذبتها الضجة المبكرة .. وشعرت بالراحة ،لقد عرفت الاسم الذى ذكرته ، وحثتنى على الدخول .. واتجهنا الى الصالون المواجه ، حيث جلسنا الى مقاعد البلاستيك المرصوصة الى الحائط والسيدتان ترمقانى بعيون نعسانة ، تتفوهان من حين لآخر بكلمة أو بعبارة ترحيب ، من غير أن تسألنى احداهما أى سؤال ، أوتبدى أقل اهتمام بمحاولاتى المتلهفة الى تقديم نفسى وشرح سبب زيارتى .. بعد فترة ، اقترحت صغراهما تناول الفطار ، وخرجت ومعها السيدة العجوز الضئيلة ، لأبقى متروكةوحيدة فى الصالون ، أتأمل الزهور الصناعية الكالحة فى زهريتها وسط المنضدة ، ونقوش المقاعد الزاهية التى تشف من تحت أغطية النايلون ، ثم شعاع الضوء الخابى الذى بدأ يتسلل عبر شيش النافذة ، وكأنه لا يعرف أين يجب عليه أن يستقر .. وكانت الساعة الكبيرة فوق النضد المواجه تدق الدقائق فى عزم ماض ، عندما بدأت أتوجس خيفة أن تكون مضيفتى قد نسيتنى فى الصالون المعتم عديم التهوية .. أخيراً حدثت أصوات وحفيف أثواب وطرقعة شباشب ثم ظهرت سيدة الدار تحمل صينية ، سحبت ترابيزة صغيرة من بين المقاعد ، وضعت عليها الصينية ، ثم دفعتها الى مقربة منى ، لأجد بها طبقاً من البيض المقلى ورغيفاً من العيش «الفينو» وصحن مربى وكوب شاى .. عندما تيقنت أن كل هذا لى لوحدى شعرت بالغضب واعترضت ، فأكدت لى بأنهم لا يتناولون الافطار أبداً ، وكان عزاء صغيراً لحرجى !.. فى تلك اللحظة رجعت السيدة العجوز ، ومرة أخرى عادت الاثنتان تجلسان فى مواجهتى ، تنظران نحوى ، تطمئنان أحياناً على راحتى .. ثم سرعان ما عدت وحيدة من جديد وحتى قرب انتهائى من الطعام ، فبدأت أقلق من اختفائها ، هذه المرة بسبب انضمام عدد من الذباب الذى أخذ يطن طائراً من مفرش بلاستيك الى آخر ، فى محاولة يائسة للافلات من هذا الخير ..

أخيراً ظهرت السيدة الصغيرة ، ترتدى ثوباً أوربياً حسن المظهر ، وفى هذه المرة رحبت بى بحرارة وكأنها تستعيد صديقاً قديماً ، وهذه المرة أيضاً كانت شغوفة لمعرفة كل شىء عن يحيى حقى ، طبعاً هى تعرف عنه الكثير ، لقد كان صديق والدها ، وفى مكان ما بمكتبة أبيها توجد بعض كتاباته ، هل أحب أن أراها ؟؟ .. حسناً ، بالتأكيد أريد لكن على أن ألحق بالقطار التالى المتوجه الى القاهرة ، الوقت ضيق وهناك الكثير الذى أود مشاهدته ، من الضرورى رؤية المدينة كلها ، وزيارة القرى المحيطة ، والذهاب الى دير الراهبات على بعد ساعتين من منفلوط ، كل هذا والقطار التالى الى القاهرة موعده فى الثانية عشرة والنصف !

– دعينا نذهب الى المحكمة ، لابد أن هناك من يعرف يحيى حقى .

كان حماسها غير المتوقع مغرياً ،

عالم يحيى حقي



وجلسنا فى عربة حنطور يجرها حصان – والحنطور والحمار هما وسيلتا المواصلات الوحيدة فى المدينة – ويفرض أن احداً لم يعد باقياً ممن عاشوا بمنفلوط عندما كان حقى معاون ادارة بها فان هذا الحصان الذى اكل منه الزمن وشرب لابد وأن يكون قد عاصره .. ولقد مضى بطيئاً وبشكل مؤلم فى محاذاة شريط السكة الحديد حتى وصلنا الى بناية خرسانية ، أشارت اليها السيدة فى اعتزاز معلنة أنها المحكمة .. مجرد ان تقدمنا اليها التفت من حولنا مجموعة من الموظفات ، واخبرتهم السيدة بقصتى ، ثم سرنا جميعا الى داخل المبنى ، وصرت منقادة من غرفة لأخرى للتحدث مع كل موظف فى المكان .. لا احد منهم يعرف أى شىء عن يحيى حقى ، وإن كانت الجرائم المحلية التى تحدثوا عنها تقترب كثيراً مما رواه فى منكراته ، الى حد انه – وبعد خمسين عاماً – مازالت قرية «بنى رازق» تسجل اكبر نسبة من جرائم القتل ..

بعد زيارة كل زاوية وركن فى المحكمة، خرجنا الى حيث الحرارة تتزايد باطراد ، نبحث فى شارع البستان عن البيت القديم الذى سكنه حقى ، وفشلت فى اكتشافه من بين باقى البيوت ، رغم أن الشارع كله بدا وكأن لمسة تغيير واحدة لم تمسه طوال مائة عام ..

الآن ، وبعد انجاز مهماتى الأساسية ، اقترحت مضيفتى زيارة «افخم محل بالمدينة» .. كان وقع العبارة على مثيراً ، وعلى هذا اخذ السائق تعليمات جديدة ، وارتكنت تحت مظلة الحنطور ، فى ترف نادر ، ارى ولا يرانى احد .. ولم يكن «افخم محل بالمدينة» سوى دكان لبعض الأقمشة ، صفوف فوق صفوف من الأقمشة القطنية ، من الرمادى والبنى والأسود ، وكل شىء يعلوه التراب .. بعد تفحص الأرفف قادتنى مضيفتى الى الطابق الثانى ، ثم اخذتنى بشىء من الاثارة الى الركن حيث طلبت من البائع أن يرينا بعض القمصان ، أشار الى عدد من الألوان متسائلا ، أومأت مضيفتى بحماس الى إحداها .. جذبها البائع من مكانها ، وبعد ان نفض عنها كمية مرعبة من التراب وضعها فوق الترابيزة وفردها .. وطلبت منى الراى ، وكانت المشكلة انى لم أفلح فى معرفة كنه ما أراه .. اهو ثوب أم قميص أم «اوفرول» .. لكنى لمحت أنها جميعا تبدو لطيفة ، فأشارت الى ما اتضح انه قميص حريمى :

– ما رأيك فى هذا الذى به عصافير زرقاء ؟

– جميل جدا .. ولكن البس واسعا عليك بعض الشىء ؟!

– اه .. انه ليس لى ، انه لك .

– لا لا لا ، مستحيل ان اقبل . انت لطيفة جدا ، لكن عليك الا تعطينى اى شىء .

كان رفضى صارماً لا يسمح بأى لبس .. فتاكدت السيدة المسكينة اننى فعلا لا اريد هذا الرداء ، بدت مصعوقة ، وكذلك كنت أنا .

فى الطابق الأرضى كانت تنتظرنى لوحة حية من عالم يحيى حقـــــى : أوكازيون (من كتاب دمعة فابتسامة) .. مجموعة من الفلاحات يجادلن البائع على عينة من القماش الرمادى ، مع تزايد الجدال كان مزيد من النسوة ينضم من الطريق ، بحيث أصبح المكان صاخباً .. وبينما كانت مضيفتى تشترى لنفسها بعض الثياب ، سألت بائعاً أين يمكننى أن أشترى رداء مثل ما ترتديه أولئك النسوة ؟ .. على الفور طوف سؤالى العجيب بأرجاء المكان ، فتوقفت المجادلات ، وتوجه اهتمام النسوة نحوى : أى نوع من الثياب تريدين ؟؟ .. مثل هذا ؟؟ – أزاحت امرأة حجاب وجهها جانباً لتظهر فتحة صدر جريئة .. مثل هذا ؟؟ – قلبت أخرى طرف ثوبها لترينى بطانته القطيفة .. وثوب ثالث بتطريز مزركش ، آخر مذيل بالدانتيل والكرانيش .. واكتشفت – لدهشتى البالغة – أن كل امرأة لها ثوب مختلف ، رغم التشابه الخارجى فى المظهر وسواد اللون .. وفى النهاية عندما اخترت الزى الذى راقنى أكثر ، اشتريت اربعة ياردات من القماش الأسود – وقد أبدت النسوة اعتراضاً بأن على أن اختار لونا فاتحا ، غير مدركات اننى ربما أجد الأسود أكثر جاذبية – ثم ركبنا الحنطور متوجهات الى الخياطة ، وفى صحبتنا مجموعة صغيرة منهن أكدن لى أن الثوب سوف يكون جاهزا فى ساعات معدودة ..

بعد قليل وصلنا الى نهاية حارة ، حيث توجب علينا أن نترجل ، وسرعان ما عرجنا الى زقاق ضيق ، متلمسين الطريق فى حذر عبر الزبالة والفئران ، لنصل فى النهاية الى ساحة مفتوحة تفوح برائحة الزبالة ، تجلس فى ركنها فتاة الى ماكينة خياطة تدار بالقدم ، عن يسارها كومة من الأقمشة ، وعن يمينها طفل فى حوالى الثامنة يغطى الذباب جميع وجهه .. بعد التحية تم ابلاغ الخياطة بما أريد ، أومأت ثم أعلنت فى اقتضاب أن الثوب سيكون جاهزا بعد ساعتين ، لم تاخذ مقاساتى أو ترسم أى رسومات ، مجرد نظرة عابرة منها ، وبعد ساعتين كنت ارفل الى البيت مع مضيفتى فى ثوبى الجديد الفلاحى الأسود ، مفصلا تماما على مقاسى ، لاتذكر فى البيت حكايات حقى عن زيارات الأجانب لمصر (فى فكـــرة فابتسامة) ..

لزم إعداد الغداء مزيد من الربكة ، إذ كانت الأسرة المضيفة من الأقباط ، وكان الوقت صياما ولا يأكلون طوال اليوم سوى وجبتين ، بعض المسلوق وشىء من البسكويت المجفف .. أما بالنسبة لى ، فقد أعدوا دجاجة وأرزا وبعض الخضار ودعوة ملحة للأكل .

بعد الظهر انسحبت أنا والسيدات الى طابق السيدة العجوز للنوم ، وعلى الرغم من أن بالطابق ثلاث غرف للنوم إلا أن ثلاثتنا نمنا فى غرفة واحدة صغيرة .. حاولت أنا النوم جاهدة ، بينما ظلت السيدتان تنظران لى ..

بعد القيلولة تجهزنا ثلاثتنا لصلاة القداس التى تستمر حوالى الساعتين ، فهما تذهبان بعد الظهر دائما وطوال أيام الصيام الى الكنيسة .. وجلسنا فى الصفوف الخلفية ، وكان منتظرا منى أن أرتل بصفة مستمرة ، عندما توقفت

لالتقاط الأنفاس ، أشارت مضيفتى فى قلق الى صفحة فى كتاب الترانيم ، وكان علي أن أواصل بكل قوتى .. ثم استغرقت الوعظة ساعة أخرى عن النار والجحيم ، خرجنا بعدها وقد زادتنا الخبرة جلداً .. ومع حلول الظلام بدت محلات الحرفيين اكثر وضوحاً بفضل مصابيح الغاز المتوهجة فى أركانها من فوق بعض الأشياء الصدئة ، وكانت المقاهى ممتلئة عن آخرها ، والجرسونات يهرولون من ترابيزة لأخرى ، والمتسولون يحومون من محسن مرتقب الى آخر ، بينما طرقعات قواشيط الطاولة فى كل مكان ..

مع عودتنا الى البيت أصرت مضيفتى على الذهاب الى «مكتبة» أبيها لتفحص خطابات أو قصصاً من المؤكد أن والدها قد تلقاها من حقى .. ووجدنا «الكاتب» يجلس فى «المكتبة» ببعض الوثائق المتربة ، ورغم حرارة الجو فقد كان يرتدى معطفاً طويلاً من وبر الجمل فوق جلابية بيضاء قذرة ، وطاقية صوفية راح يضبط وضعها فوق رأسه وهو يجيب على أسئلة السيدة .. بدا واضحاً انه ليست لديه اية فكرة عن مكان هذه الأوراق ، وفى الحقيقة عن مكان اية اوراق أخرى فى هذه المتاهة .. وعلى هذا اخذنا ـ أنا وهى ـ نبحث بين الكتب العتيقة جداً والمتربة ، وانهمكت مضيفتى تفتح كل مجلد وكأنها تأمل فى العثور على كنز ما .. فلما ثبت عقم المحاولة فى هذه الغرفة جذبتنى ـ على غير رغبة منى ـ نحو أخرى صغيرة ، وهذه المـــرة استعنا بلمبتى جاز ، واستدعى الأمر بعض الوقت كى أميز المحتويات ، عن يسار الباب مجموعة من الزكائب المغطاة بمسحوق أبيض ، وعن اليمين ارتكزت الى الحائط مكتبة كبيرة ، اتضح لي بعد التمعن عن قرب أن مئات الكتب إنما وضعت فوق أرففها جزافاً ودون تبويب .. لكن مضيفتى أخذت تسحب كومة من بعد كومة وتضعها على الأرض طالبة منى فى شغف شديد فحصها :

ـ لم يلمس أحد هذه الكتب منذ سنين بالتحديد منذ مات «بابا» من أربع سنوات أخشى أن تكون متربة بعض الشىء ، فكما ترين لقد اضطررنا منذ عامين الى تخزين الدقيق فى هذه الغرفة .

لإثبات قولها هذا مسحت مجلداً ضخماً كانت قد ألقت به الى الأرض تواً .. وكلما أوغلت فى البحث كلما كانت الكتب أكثر تمزقاً وتهرءاً .. وللحال أدركت أننا لن نعثر فى كومة الأوراق هذه المغطاة بالدقيق على أية كلمة لها علاقة بحقى .. لكن عملية البحث كانت قد استحوذت تماماً على مضيفتى ، وفشلت جميع همهماتى المتبطلة لاثنائها عن حماسها ، ولم ينقذنى أخيراً سوى لفظ احدى اللمبتين لأنفاسها وانطفائها ، مما خفض الاضاءة بشكل كبير ، ودفع بالسيدة الطيبة الى هجر عملية البحث .

تحسسنا طريقنا الى الجزء الرئيسى من البيت ، حيث كان «الكاتب» يسير هنا وهناك غير سعيد ، يتعجل رحيلنا كى يغلق «المكتبة» .. عدل من طاقيته مؤكداً انه سوف يكمل عملنا الصالح فى اليوم التالى ..

مع عودتنا الى الدار كان العشاء فى انتظارنا ، مسلوق وبسكويت للأسرة ، دجاج وأرز وخضار لي .. ومع خروجنا من غرفة الطعام لاحظت أن السيدة العجوز تستعجل شخصاً ما لمغادرة غرفة المعيشة : أحدب متدثر فى سروال ، يتدحرج فى شكل غريب ، ما أن أوشك أن يختفى حتى التفت لوهلة ، مظهراً تقطيبة مرعبة من وجه شاحب محاط بخصلات رمادية ، وكان هذا كل ما رأيته «منها» ، ولم أسمع كلمة إيضاح واحدة أكثر من أن السيدة العجوز قد أخذتها الى أعلى .. ومن ثم وقبل أن أتهيأ . كان وقت النوم قد حان ، وذهبــت أنا والسيدتان الأخريان الى أعلى للنوم ..

ـ لرعبى وجدت السرير الذى نمت عليه وقت القيلولة وقد تغطى بالحشرات .. وكان علي أن أدخل تحت الناموسية كى لا يلتهمنى الناموس القادم من الترعة أسفل الشرفة .. وأمضيت الليل تتبادلنى أرضية البق وحصار من الناموس المتحفز لاعداد وليمة منى ، وفوق كل هذا زوجان من العيون عند طرف الغرفة ترقبان كل حركة لى خلال العتمة الخفيفة ، وزوجان متخيلان من العيون المفتوحة ترقبانى من الغرفة المجاورة عبر ظلام هذه الليلة الليلاء ..

ومع الشعاع الأول للفجر نبضنا جميعاً ، وجسدى كتلة من اللدغات والقرص أخذت أهرشها دون رحمة ، والساعة مازالت الخامسة صباحاً .. وكانت السيدة الصغيرة قد اختفت لإعداد وجبة أخرى غير مرغوب فيها للفطار ، ولم يكن هناك من شىء ليثنيها عن عزمها ، لهذا وطنت نفسى على الانتظار ، مواصلة الهرش من حين لآخر .. وعندما تحققت مضيفتى من عزمى على اللحاق بقطار الثامنة صباحاً حاولت إغرائى على البقاء مقترحة زيارة بعض الأماكن المجاورة وتفصيل بعض الثياب الجديدة .. لكنى لم أجد راحتى إلا عندما أفلت من هذه الرتابة المميتة ..

فى الخارج كانت منفلوط قد عادت الى الحياة ، وقد رفعت المزاليج الحديدية ، وبدأ الفلاحون فى التوجه الى الحقول ، وأشعة الشمس الذهبية تغطى بحمرتها طين البيوت .. لقد طلع النهار .

● لابد من تعليق

ذلك هو ما كتبته الانجليزية ميريام كوك ، فى ترجمة كاملة حرفية إلا بما يقتضيه سياق اللغة العربية .. ولنا عليه تعليق ، بالاعجاب أحياناً ، وبالتفنيد واللوم أحياناً أخرى .. ولهذا مقال قادم .

مجيد طوبيا

IN SEARCH OF A DREAM

by Miriam Cooke

TWO YEARS HAD PASSED since I had first read Yahya Haqqi's name, two years since I had first tried to understand his haunting stories, two years since I had first decided that I should concentrate all my efforts on the works of this Egyptian. Weaving my way through the intricacies of the tales I had come to empathise with this kindly old man — and with this empathy had come a desire, a curiosity to meet him. In March I finally realised my long-standing ambition and I flew to Cairo.

صورة من المقال الذى نشرته المستشرقة الانجليزية

أحمد العناني

■ من جنات أشبيلية إلى جحيم أغمات ■

المعتمد بن عباد
شاعر المأساة العربية في الأندلس

فى عام اثنين وثلاثين واربعمائة للهجرة ، وفى حصن من تلك الحصون التى لا يكاد يخلو من واحد منها موقع استراتيجى فى شبه جزيرة إيبيريا التى تشمل اسبانيا والبرتغال ، ويشكل الأندلس أخصب بقاعها فى الجنوب ولد المعتمد بن عباد ، وكان ذلك الحصن فى باجه غربى الأندلس .

وكان مولد المعتمد قبل وفاة جده القاضى أبى القاسم بن عباد مؤسس الدولة العبادية فى اشبيليه ، وتولى والده عباد المعروف بالمعتضد بسنة واحدة .

والعباديون أسرة ثابت انتسابها إلى قبيلة لخم اليمانية ، وكان جدهم الاول بين جنود الفتح في الأندلس ، وقد استقر ككثير من اليمانيين في الجزء الجنوبي الغربي من الأندلس ، ولم يعرف للعبادين هؤلاء دور يبرزهم على مسرح الأحداث خلال القرون الثلاثة التي مرت على الفتح الاسلامي قبل ظهور القاضي ابي القاسم ، لكنه بدا من حالـهم لاحقا انهم اسرة عربية تقليدية ، حريصة على مزايا الشرف العربي المعروفة ، من نخوة وكرم وفروسية ، كما اشتغل غير واحد منهم بالقضاء ، وكانوا جديرين أن تستمر الحياة بهم مطمئنة كما عودتهم لولا الظروف المهتزة التى نشأت عن انهيار دولة الأمويين بالأندلس واضطراب الأمور فى قرطبه اضطرابا هائلا في الربع الأول من القرن الخامس الهجرى انتهى آخر الأمر عام (٤٢٢) للهجرة بطرد آخر مستخلف من بنى أمية من عاصمة جدهم العظيم عبد الرحمن الناصر .

وعلى الأثر نشا فى كل من قرطبة واشبيليه ، ولأول مرة فى التاريخ الاسلامى نوع من الحكم تتولاه لجنة شعبية .. كان من ابرز رجالاتها في اشبيليه القاضي ابو القاسم محمد بن اسماعيل ، وكان والده يعد مثلا فى العلم والاستقامة ونقاوة الضمير فى عصر عم فيه الفساد ، لكن هذا القاضي لم يكن على غرار ابيه من حيث طموحه للرياسة فقد تخلص من اعضاء اللجنة الشعبية واحدا بعد واحد ، حتى اصبحت الكلمة له وحده في اشبيليه ، وكان رجلا داهية حديدى الارادة ادرك انه لن يكون قادرا على تثبيت ملكه او توسيعه كما كان يطمح بسبب قوة التحالف البربرى الذى كان يحيط به من ناحية قرطبه ، فضلا عن غرناطه وقرمونه وباجه وغيرها فلجا إلى حيلة تكاد تخالط الأساطير ، فقد كان معروفا أن آخر خلفاء بنى أمية الشرعيين فى قرطبه هو هشام الثانى المعروف بالمؤيد بالله قد طرد من قرطبه من قبل ابناء عمومته عام ٤٠٣ هـ واختفى عن الناس متنكرا فكثرت الأقاويل عنه ، ولا سيما من الذين أسفهم كثيرا انهيار دولة الامويين .. ولجا القاضي الاشبيلى إلى رجل من العامة يشتغل بصناعة الحصر ويسمى خلفا فى وجهه شبه غريب بوجه المؤيد بالله المختفى ، فوضع القاضي يده عليه ، ورتب كل ما يلزم للادعاء بان الرجل هو الخليفة الأموى المتنكر السابق ، واستخدم مواهبه وماله ودعاته فى تعميم القصة ، والزم كل لائذ به من صغار الأمراء بالتسليم على الخليفة الأموى المدعى ، وبذلك امسك بزمام الشرعية ، وسمى نفسه مجرد حاجب لذلك الداعى .. وكانت قصة طويلة ممتعة أفاد القاضى منها تثبيت مركزه وتوسيعه قبل ان يتوفى عام ٤٣٣ هـ .

متناقضات في شخصية

وبعده جاء لحكم اشبيليه ابنه عباد فى السنة التالية لمولد ابنه المعتمد فى حصن باجه كما ذكرت ، وكان يلقب أولا بفخر الدولة حاجب الخليفة هشام المؤيد استمرارا فى القصة إياها .. ثم تلقب بعد انتهاء تلك الاسطورة السياسية باسم المعتضد .. ولقد كان لهذا الرجل تاثير كبير فى حياة المعتمد يقتضينا أن نلقى بعض الأضواء على حياته .. لقد كان هذا الرجل فى غاية الوسامة ، يجمع المتناقضات فى شخصيته العجيبة ، فهو شاعر فى مناسبات نادرة ، ويتذوق الشعر الجيد وينقده كخير ناقد لكنه لا يدع الشعر ولا النفسية التى يمثلها الشعر تستولى عليه ، فلقد كان

اشد دهاء من والده ، واقسى قلبا من أى حاكم عرفته الاندلس ، ويزين مدخل قصره بنصب تشير إلى رؤوس اكابر خصومه الذين قتلهم ، يخلص لمن يثبت عنده إخلاصهم إلى نهاية العمر والى ابعد ما يقتضيه الاخلاص من تضحية ، ولا يرتد عن قمة الانتقام من أعدائه لا يقبل فى ذلك وساطة ولا شفاعة ، وكانت نظراته ثاقبة وتدبيره محكما لا يصل نديم ولا صديق إلى سره ، وكان على أعين الناس الحاكم الحازم العادل ، فاذا جن عليه الليل فهو المسرف فى شرابه ومجونه وقد صور ذلك هو نفسه بابيات ورد فيها هذا القول المعبر ..

وأمسى على اللذات واللهو عاكفا
واضحى بساحات الرياسة اختال

وكان مسرفا فى الانفاق على قصوره وبذخه ، لا يتردد فى القتل حين يرتاب ، وقد بدأ بقتل حبيب وزير والده ، وكان يضع رؤوس القتلى كما ذكرت فى هياكل خشبية ينصبها على عمد كانها الشجر فى حديقته وكان يقول «فى مثل هذا البستان فليتنزه» وكان عباد هذا او المعتضد يحمل لواء العداوة للبربر فى الأندلس ، ومما قيل فى اصراره على تلك العداوة إن قارىء طوالع قرا فى كفته نبوءة بان البربر هم الذين يزيلون ملكه ، وذلك ما حصل ولكن فى عصر ولده المعتمد ..

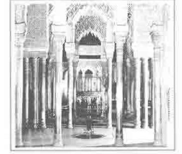
تربية المعتمد

كان المعتضد يكرر لولده محمد الذى عرف لاحقا بالمعتمد قوله «لقد ولدت فى حصن وان قدرك القتال ، ولا يكن لك صديق تلهو معه لهوا يفضى به الى سرك فينال منك ، واستيقظ ولا تتردد عند وجوب القتل والا كان القتيل أنت وعندما بلغ المعتمد الثالثة عشرة من العمر ، وبعد أن رأى ابوه انه استكمل ما يلزم الرجل المسئول من دراسات تقليدية فى اللغة والتفسير والحديث وشىء من الفقه ، اقامه قائدا على حامية مدينة شلب ، ثم ضم إليها المعتمد منطقة شنتمريه (سينت مارى) على ساحل المحيط الأطلسى ، واقام المعتمد هناك واليا .. وهناك فى منطقة من أروع مناطق الدنيا حسنا ، واكثرها مرائى جمال وبدائع نشأ المعتمد شابا صغيرا مراهقا ومسئولا .. وهناك تعرف عليه وخلب لبه إعجابا الشاعر الانتهازى الأفاق ابن عمار .. ومع ان المعتضد سمع من ابن عمار هذا شعر مديح أعجبه لكنه زجر ولده محمدا عن صحبته ، وحذره من مكامن الشر فى نفس ذلك القرين السيىء . ولكن المعتمد لم يدرك الأمر إلا باخرة منه ، وبعد أن تسبب ابن عمار فى سقوط حصن المسلمين الأعظم فى الأندلس ، طليطلة ..

وخلال ولاية المعتمد على مدينة شلب وما جاورها وقع خلاف خطير بين والده المعتضد وأخيه اسماعيل بن المعتضد ولى عهد اشبيليه ، الذى اراده ابوه اقتحام الزهراء والاستيلاءعلى قرطبه فرفض اسماعيل الخطة لأنها تضعه بين نارين .. الناس المعارضين فى العاصمة القديمة والبربر المعادين من خلفه فغضب عليه ابوه غضبه الذى لا يرتد عن نهايته .. وامتد العداء فى مراحل طويله ، وانتهى بان قتل المعتضد ولده ، واصبحت ولاية العهد للمعتمد . وبعد ذلك بقليل قرر المعتضد ايضا ان الوقت حان لانهاء اسطورة الخلافة الأموية فعمد إلى قتل خلف الحصرى الذى كان يسميه أمير المؤمنين هشاما المؤيد ، واحتفل بدفنه زاعما أن المتوفى قد أوصى له بالحجابة الدائمة وميراث الحكم على الأندلس كلها ..

أول خطأ كبير

كان طبيعيا على ضوء سائر الظروف التى أشرنا لها فى مقالنا السابق وفى هذا المقال أن يجد محمد المعتمد بن عباد فى صميم نفسه آثرا قاسيا للضغوط التى توقعها على وجدانه الغض ، وحسه المرهف ، شخصية والده الطاغية ، وان يتجاوب مع خطط الماكرين وعلى راسهم ابن عمار فيغرق نفسه فى ليالى اللهو ، وقد حصد اول ثمرة لذلك الاغراق فى حادثة مالقه . كان يحكم مالقه ـ وسكانها خليط من العرب والبربر ـ طاغية من البربر مسرف فى البذخ والقسوة يدعى باديس ، وكان يتبع عاصمته فى مالقه خمس وعشرون ناحية فيها من الحصون بعددها تماما ، وضاق الناس به عربهم وبربرهم على حد سواء فاتصلوا بحاكم اشبيليه ، ورتبوا معه الأمور على أساس قيامهم بالثورة فاذا ما اشتد أوراها يتقدم الجيش الاشبيلى بقيادة محمد المعتمد ويمسى الناس ويصبحون دولة واحدة .. ومضت الخطة إلى تمامها ، وسقط سائر الحصون فيما عدا حصن مالقه .. وكان المفروض الا يلقى المعتمد سلاحه إلا بعد انتهاء الأمر بسقوط حصن العاصمة .. ولكنه كان شابا غرا أصغى إلى نصائح بعض لداته من أمراء البربر فضلا عن ابن عمار صديقه ، وترك الحبل على الغارب ، وما علم ان البربر توصلوا خلال لهوه إلى اتفاق مع باديس فرضوا عليه به ما كانوا يريدون منه قبل ثورتهم عليه .. فلما اتموا اتفاقهم انطلقوا من خارج الحصن ومن داخله يطاردون جيش المعتمد الذى كان قد انساح فى تلك البلاد الجميلة ينشد اللهو والكسب ، وكانت هزيمة منكرة لاشبيليه لم ينج منها المعتمد إلا بفراره إلى رنده وهناك ادرك خطاه الكبير ، وعلمته الحياة أول درس حقيقى شديد المرارة ومع انه كان ينظم الابيات القليلة أحيانا ، لكنه فى أولى ماسى حياته عرف أن به شاعرا مجيدا .. لقد هزته التجربة الشاقة من الأعماق .. وكان يواجه ابا لا كسائر الآباء ، ومأساة اخيه اسماعيل ما تزال حية فى الوجدان وذكراها ماثلة عالقة ... فما الذى يستطيعه سوى الشعر يحمله اعتذاره واسفه ، ويترجم به عن آلامه ، ويسترضى به ابا خاب فيه أمله عند اول تجربة عنيفة .. فما أروع الحظ فى فهم أبيه الشعر وتذوقه الجيد منه .. ومن هنا انطلقت رائية الاعتذار أولى القصائد الباقية من شعر المعتمد الخالد .. وها هو



يرسل لأبيه بعد وقوع القدر وعمى البصر .. وفائت لا يرده الحذر :

سكن فؤادك ، لا تذهب بك الفكر
ماذا يعيد عليك البث والحذر
وازجر جفونك لا ترض البكاء لها
واصبر فقد كنت عند الخطب تصطبر
وإن يكن قدر قد عاق عن وطر
فلا مرد لما ياتى به القدر
وان تكن خيبة فى الدهر واحدة
فكم غزوت ، ومن اشياعك الظفر
إن كنت فى حيرة من جرم مجترم
فان عذرك فى ظلمائها قمر

والقصيدة اطول مما اوردناه ، واختصرنا منها لنفسح المجال لسواها .

الى جحيم اغمات

وبعد ست سنوات من اغتفار المعتضد خطأ ابنه محمد (المعتمد) حين اضاع باهماله موقع مالقة الهام استدعاه ابوه وهو فى وضع نفسى بالغ السوء ليتولى ولاية عهد اشبيلية . وكان لقب المعتمد عندئذ هو «المؤيد» وهو لقب لازمه وظهر فى القصائد التى نظمت فى مدحه ولاسيما من صديقه ابن عمار . ولم يستبدله بلقب «المعتمد» إلا بعد وفاة ابيه عام اربعمئة واحدى وستين للهجرة وذلك زيادة فى تكريم حبيبته الرميكية «اعتماد» .

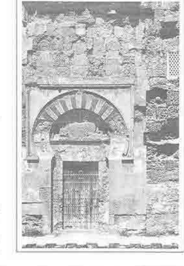
وتعتبر اعتماد جارية ابن رميك من اشهر الشخصيات النسوية فى التاريخ العربى ، وهى من ناحية الجدل الذى اثارته فى الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية وبخاصة فى المغرب والاندلس تنيف اهمية على شجرة الدر وكليوباترا فى التاريخ المصرى – الرومانى .

مجرد صدفة

وتجرى قصة زواج المعتمد من اعتماد هذه كما يرويها صاحب الذخيرة ولسان الدين بن الخطيب وغيرهم فى إطار رومانسى ، وهى حقيقة باروع صور الرومانسية إذا رفض التصور الذى اقدمه الان بان حكاية زواجها ربما كانت تدبير من قرين السوء الانتهازى محمد ابن عمار ذلك العبقرى الافاق الذى تقلبت به الحياة بين فقر جعله يعتبر ملء مخلاة شعير جائزة يفرح لها وغنى جعله لا يرضى ان تكون هديته لبعض اصدقائه فى مرسية اقل من حمل عشرين بغلا متينا باغلى واحلى انواع المطرزات والديباج وثياب المخمل المقصبة والطيب والحلى وبعض الادوات الفنية الصغيرة الثمينة .. وسواء اكان زواج المعتمد من الرميكية نتيجة الحب الذى جاءت به رياح الصدفة العابرة اذ كان تدبيرا من ابن عمار كما اعتقد الان ، واحسب انى اول من يقدم هذه النظرية . فان ذلك الزواج لم يؤثر فى حياة المعتمد وحده وإنما اثر فى سير الاحداث السياسية فى الاندلس وكان واحدا من اهم اسلحة الدعاية التى استخدمها الفقهاء وانصار الحزب المرابطى المغربى لثل عرش المعتمد وسائر ملوك الطوائف الاقل منه اهمية وبالتالى توحيد الاندلس والمغرب .. وساعرض لذلك فى حينه . اما الآن فدعنى اسرد قصة ذلك الزواج ووجهة نظرى المتواضعة بشانه ..

لقاء الرميكية

وللمرء ولكل قارىء غير متخصص فى اى عصر تاريخى او ثقافى وخاصة ما يرويه المؤرخون والكتاب عن تلك المرأة الجارية وكيف امكن ان تكون بذلك الموضع من الاهمية والتاثير .. ولكن عجب هؤلاء يزول حين يعلمون ان ثمن



الجارية من نوع اعتماد الرميكية قد كان يقارب احيانا نصف مليون دينار ...

ولقد كان هناك اناس يجازفون بحياتهم كلها من اجل انتاج جارية واحدة من طراز اعتماد هذه ولكن اية جارية ؟ فالى جانب جمال التكوين الخلقى كانت تلك الجارية تتلقى تثقيفا متكاملا فى سائر المناشط الثقافية والفنية التى تجعل منها مناط حب الخلفاء والملوك وسلوة قلوبهم ، وتتراوح تلك المناشط او المساقات الدراسية وفق روح العصر ، واحتمالات السوق .. ولكن الشعر وفهمه ونقده وغناءه والموسيقى والاتها وعلمها والبصر بالحانها وإيقاعاتها ، والقصص التاريخى وبعض علوم القرآن والسنة كانت جميعا تدخل فى تلك المساقات ..

ولقد اعتاد الأمير محمد (المؤيد حينذاك) ان يخرج مع صديقه وصفيه محمد بن عمار الى موقع ساحر قريب من شاطىء الوادى الكبير حيث الزروع الرائعة والبساتين العامرة ، ومناظر جبال الشرف الشجراء الساحرة – قريبا من حدود البرتغال اليوم – بعيدا عن اعين الرقباء للتنزه بما فيه الخمر الشائعة فى اشبيلية والتندر بالشعر والقصص . وقيل إنهما فى مثل تلك النزهة ذات يوم حين هبت ريح ضعيفة الحركة فغضنت وجه نهير هناك متفرع من نهر الوادى الكبير .. فبدا للمعتمد فى منافساته الشعرية لصاحبه وهو ايضا شاعر متمكن ان يطلب اليه تشطيرا لصدر بيت استوحاه المعتمد من منظر سطح النهير تحت وطاة الريح المعتدلة .

قال المعتمد .. شطر يا ابا بكر – وتلك كانت كنية ابن عمار :

«نسج الريح على الماء زرد»

وما كاد ابن عمار يبدا مجرد الاهتمام بايجاد عجز لصدر بيت متكامل حتى ارتفع صوت نسوى رائع ساحر يقول :

«اى درع لقتال لو جمد»

وهناك فغر الرجلان فاهيهما دهشة .. اية جنية تلك التى صدرت عن ذلك الجواب المحكم الذكى ؟ وينهض المعتمد باحثا عن مصدر الصوت خلال الغيضة الملتفة على شاطىء النهر فاذا وجه رائع وقوام ممشوق وابتسامة ساحرة تواجهه من فتاة كانها جنية الماء الموحية فى

اساطير الاغريق ..وتلاقت الاعين الاربع فانسجمت المشاعر واختلج القلبان وكان حب مهلك مقعد .. ولم يبرح «المؤيد» محمد بن المعتضد مكانه إلا حين دل على أهل الفتاة . . فاذا هى جارية لابن رميك وقدم المعتمد (المؤيد) للرجل ما طلب . وبنى بها من ليلته وتزوج .. فما مر يوم إلا وحبها يغلغل فى قلبه ويزيد من فرط ما يتفتق عن ذهنها وحركاتها من جمال وذكاء وعلم وفن وحسن حيلة وتصرف حتى ملكت عليه لبه . وصارت محور تحركه وعلة سروره أو غضبه .. وحيث هى ملات بيته بالأبناء والبنات من غير ان يضار جمالها وظرفها وحيويتها فقد استحكم امرها فى قلب الرجل وحياته ... كان ينظم لها القصيدة المطولة اذا باعدت الظروف بينها وبينه اياما معدودات ، وكان ينظم المقطوعة مبتدئة ابياتها بحروف اسم اعتماد ، وكان ينظم فى مدحها ويغالى بها كاثمـــن ما فى حياته ...

وما كان احد ينافسها على قلب محمد زوجها إلا صديقه ابن عمار الذى اوغر قلوبا كثيرة عليه فى اشبيلية وخارجها فسعى به الى المعتضد فنفاه الى سرقسطة باقصى الشمال الاندلسى قريبا من حدود فرنسا لكنه لم يمكث هناك سوى بضع سنوات عاد بعدها بدعوة من صديقه المعتمد (المؤيد) بمجرد موت ابيه المعتضد وتوليه الامارة فى مكانه .

وجميلة رائعة هذه الأسطورة الرومانسية عن زواج المعتمد بن عباد من الرميكية .. ولكن لما كان بعض رواة التاريخ ينسبون الى ابن عمار انه هو الذى طرح فكرة التشطير على المعتمد وليس العكس .. ولما كان الذى نهض يركض باحثا عن الصوت النسوى وصاحبته هو المعتمد وليس الرجل الذى يفترض ان ينهض لخدمته كابن عمار .. ولما كانت مثل هذه التصرفات قد صدرت عن ابن عمار ـ الذى لو شهد عصرنا وعمل فيه مخرجا لازرى بسيسيل دى ميل وارسون ويلز ـ من فرط عبقريته فى طبخ المؤامرات من كل الانواع والمستويات . فانني لا استبعد ان يكون ابن عمار على صلة بابن رميك ومعرفة بالرجل وجاريته وانه رتب المكان والزمان والكيفية لتمرير ذلك الحب على المعتمد ... ولكن الحقيقة التى ينهض عليها التاريخ علما لا تنهض بمثل هذه الادلة الظرفية التى لا يبنى عليها حكم لذلك يظل الامر محتاجا فى هذه الفرضية الى براهين عملية لتجعل منها نظرية مقبولة .. وهذا يتطلب دراسة واسعة وعميقة جدا فى سائر النصف الثانى من القرن الخامس من تاريخ اشبيلية الادبى والاجتماعى وحيث ان معظم تاريخنا هو تاريخ ملوك وحكام فان الامر يكاد يبلغ حد الاستحالة .. خصوصا وان كتاب الذخيرة لابن بسام وموسوعة نفح الطيب لابن الخطيب يكادان يكونان هما المصدرين الوحيدين للقصة ..

المسرح السياسى

كانت الحركة التى عرفت تاريخيا بحركة الاسترداد الاسبانية قد بلغت بداية ذروتها فى شخص فيرديناند المسمى بالعظيم فى تاريخ قشتالة وهو والد لثلاثة اولاد لعب احدهم وهو الفونسو دورا هاما فى توحيد ممالك الاسبان الصغرى فى مناطق الشمال والغرب الجبلية ، وذلك بقتله اخيه سانكو والاستيلاء على حصته من مملكة ابيهما ثم سجنه آخاه الآخر جرسيا سجنا استغرق حياة الضحية مدى ثمانى عشرة سنة حتى مات فى السجن .. وبعد ذلك توجه الرجل القاتل الذى عرفه المسلمون الاندلسيون باسم الطاغية الاذفنش ، وعرفه قومه باسم الفونسو السادس صوب دويلات الطوائف الاسلامية معلنا تصميمه على ضم سائر املاكهم لدولته ، وفارضا عليهم جميعا الجزية ، وملقبا نفسه باسم ملك الملتين (يعنى الاسلام والنصرانية) .وهو يجيء بعد ابن عمار والرميكية ، من حيث صلته بالمعتمد وتاثيره فى حياته .

احمد العنانى

كلمات

انا الجاد الوحيد والآخرون يهزلون .

كولوش
الممثل الفرنسى الهزلى
الذى رشح نفسه لرئاسة
الجمهورية الفرنسية

انا مقاتلة شرسة .

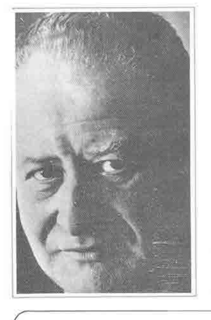
غادة السمان

شعبنا مصمم على ان يكون الكونغو اسمه الكونغو وليس زائير .

فرانسوا لومومبا
ابن الزعيم الراحل
باتريس لومومبا

الأفلام التاريخية مخدرات والعودة الى التاريخ واقعية .

المخرج السينمائى
صلاح أبو سيف







الذي يطالب بدولة فلسطينية

عصام شريح

في أعقاب الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة ـ حرب عام ١٩٦٧ ـ وبالتحديد في العام التالي ـ ١٩٦٨ ـ برز اسم مستشار النمسا الحالي برونو كرايسكي ، كباحث عن السلام في منطقة الشرق الأوسط .

ولأن الأفكار لا تولد عادة في صحراء ، بل هي نتيجة لأسباب موضوعية ، ومخاضات عملية ، فان كرايسكي لم يتحرك للتنديد بالصهاينة غداة عدوانهم الأول على الشعب العربي الفلسطيني في عام ١٩٤٨ ، واغتصابهم ذلك الجزء الغالي والمهم من الوطن العربي ، وقد تأخر المستشار النمساوي عشرين سنة بين ١٩٤٨ و ١٩٦٨ ، ليبدأ في التحرك والاهتمام بالصراع العربي ـ الصهيوني ، والعمل من اجل حل سياسي لهذا الصراع يفي «ببعض» الحقوق العربية ، ولا يؤذي الكيان الصهيوني في واقعه الذي كان عليه قبيل عام ١٩٦٧ .

لقد حدثت متغيرات كثيرة خلال العشرين سنة تلك (١٩٤٨ ـ ١٩٦٨) ، وطرأت معطيات جديدة في المنطقة على الاصعدة الايديولوجية والسياسية والعسكرية والاقتصادية ، وبصورة خاصة في اعقاب الحرب الثالثة ، هي في الواقع العوامل التي دفعت بالمستشار كرايسكي الى الأهتمام والتحرك الذي نرى ونحس به ●

وقبل ان نحدد هذه العوامل وندخل في مناقشتها ، سنلجأ الى وضع افكار كرايسكي أمام القارىء ، لكي نسهل عملية العوامل الدافعة لذلك الاهتمام والتحرك أولا ومحاكمتها او تقييمها ثانيا لكن ما يجب التنويه إليه قبل كل ذلك ، ان كرايسكي كان في طليعة الشخصيات المسئولة في الغرب ، التي استشعرت خطورة المأزق الذي أدخلت اسرائيل نفسها فيه بعد حرب عام ١٩٦٧ ، برغم انتصارها المذهل عسكريا في تلك الحرب بالاضافة الى الاخطار الشديدة التي اصبح الصراع العربي ـ الاسرائيلي يعكسها على العالم اجمع ، وبصورة خاصة على اوروبا الغربية .

الخطوة الأولى :

باديء ذي بدء ، لابد من ملاحظة ان برونو كرايسكي مستشار النمسا ـ ذلك البلد الأوروبي الصغير الذي لا يتجاوز عدد سكانه اثني عشر مليون نسمة ،

يلعب دورا دوليا كبيرا لا يتناسب ابدا مع حجم دولته وامكاناتها ، وقد يبدو امرا مدهشا بالفعل ، ان يتنطح كرايسكي (اليهودي اصلا) لهذا الدور في وقت يفقد فيه العالم الغربي ضميره واخلاقه اكثر فاكثر ، وفي أيام تحول فيها العقل الاوروبي الى مجرد حاسبة الكترونية ، لا هم له سوى عد براميل البترول التي يتلقفهابتهم ظاهر من المنطقة العربية .

على اية حال ، يتحدث كرايسكي عن نفسه فيقول انه اشتراكي يؤمن بالعالمية ولا يحمل اية افكار مسبقة بالنسبة لأي شعب ، ومن هذا المنطلق ، وبهذه الروح يمارس عمله السياسي والأمل يحدوه بان يتمكن من الاسهام في ايجاد حل سياسي للصراع العربي ــ الصهيوني ، عن طريق مد الجسور بين الطرفين .

ويتحدث كرايسكي عن أول اهتمام له بالعالم العربي في عام ١٩٦٨ ، فيقول في كتاب بعنوان «النمسا بين الشرق والغرب» ، ان اسرائيل احتكرت الاحزاب الاشتراكية في الغرب (احزاب الاشتراكية الدولية) وسواهم من الاحزاب والمنظمات السياسية وغير السياسية ، وكان حزب العمل الاسرائيلي «الاشتراكي» يضع العراقيل دائما في طريق اقامة اتصالات مع العرب .

لكن بعد حرب عام ١٩٦٧ انتهى التفكير بكرايسكي الى ضرورة الخروج من عقدة الذنب التي شعر بها الديمقراطيون الاشتراكيون في الغرب نحو اليهود الذين لقوا مجازر جماعية على يد النازية الهتلرية ، خاصة وان كرايسكي يعتقد ان ملاحقة هتلر لليهود لم تكن بسبب معتقدهم الديني أو اصلهم العرقي ، حيث هناك عدد كبير من الاشتراكيين أبادهم هتلر في المانيا دون ان تكون لهم ادنى علاقة باليهودية .

ومن هذا المنطلق بدأ كرايسكي يدعو الى القيام باتصالات مع العالم العربي اذا شاءت أوروبا الغربية تحقيق حل سلمي لصراع الشرق الأوسط .

ويقول كرايسكي في هذا الصدد ، انه في عام ١٩٦٨ ــ في فيينا ــ وخلال انعقاد مؤتمر الاشتراكية الدولية ، دعا المؤتمر الى فتح صفحة جديدة بين الأوروبيين الغربيين والعرب ، وقال ان في العالم العربي تيارات اشتراكية عربية ، يمكن تشجيعها وافهام قادتها ان

كرايسكي يختلف مع جميع القيادات الصهيونية



بامكانهم الاعتماد على دعم اوروبا الغربية . لكن كرايسكي يضيف هنا ، انه لم يهمل بالطبع لفت نظر زملائه في الاشتراكية الدولية الى الثروة النفطية التي تختزنها الأرض العربية .

وبالطبع فان تلك الاشارة إلى العالم العربي من قبل كرايسكي اثارت السخرية والاستخفاف نحو المستشار النمساوي الذي نظر اليه زملاؤه «الاشتراكيون» ، وبينهم يغئال الون ، نظرة من يشفق على زميل مصاب «بعاهة» الطوباوية الاشتراكية .

لكن الأمر بدل تماما بعد اسابيع قليلة على انتهاء الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة في تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ . فبعد خمس سنوات من تلك المحاولة الأولى لقيام اتصال بين الأوروبيين الغربيين والعرب كرر كرايسكي المحاولة ، واطلق دعوته من جديد لفتح حوار مع العالم العربي ، وخلال مؤتمر الاشتراكية الدولية الذي عقد في لندن في عام ١٩٧٣ ، فوجيء المستشار النمساوي بقبول المؤتمرين ، بمن فيهم رئيسة حكومة العدو السابقة غولدا مئير ، ارسال «بعثة لتقصي الحقائق» ، هدفها استبدال صفحة العداء بين الأوروبين الغربيين والعرب بصفحة جديدة عنوانها الصداقة والبحث في شروط حل سلمي للصراع العربي ــ الصهيوني .

موقف من الصهيونية

نتيجة لنشاطه الداعي الى حل سياسي لصراع الشرق الأوسط ، روجت اسرائيل والصهيونية العالمية شائعة عن كرايسكي مؤداها ان المستشار النمساوي معاد للصهيونية ولاسرائيل معا ، وفي الواقع فان هناك مغالاة بعيدة في هذا الوصف لكرايسكي ، لانه لم ينادِ ولا مرة واحدة بالغاء اسرائيل «كدولة يهودية» بل ان جل ما يطالب به هو كبح جماح التوسع لدى الصهاينة على حساب الأرض العربية ، ودعوتهم الى الانسحاب من الضفة الغربية وقطاع غزة وبقية الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، مقابل سلام دائم في المنطقة واعتراف العرب باسرائيل بعد تعديل الخطوط الفاصلة تعديلا طفيفا في الضفة الغربية لصالح اسرائيل بالطبع .

لكن ماذا يقول كرايسكي عن الصهيونية ؟

يقول : ان فلسفة الصهيونية تستند الى نظريات سياسية وهمية ، فافتراضها بان جميع يهود العالم منحدرون من اصل واحد ، كان مقره فلسطين في الماضي ، خطأ من الوجهة التاريخية . ويضيف : انه كما هناك خطأ في القول بامة آرية على اساس عرقي كما نادت بذلك النازية ، فان هناك خطأ في القول ان هناك امة يهودية بالمعنى العنصري .

ويستشهد كرايسكي على فساد العنصرية او العرقية اليهودية بيهود اسرائيل الذين ينتسبون الى اشكال (انتروبولوجية) بشرية متباينة ، حيث كل يهودي اسرائيلي يحمل الصفات الجسمية للبلاد التي وفد منها . ومن هنا فان كرايسكي يقول ان الظاهرة اليهودية دينية وليست عنصرية ، وحتى داخل اليهودية نفسها ، توجد تيارات دينية مختلفة مما ينفي عن اليهودية وحدتها الصارمة التي يريد الصهاينة العنصريون اظهارها بها ، لكن المستشار النمساوي يشير الى ما يسميه بشعور اليهود بوحدة جامعة فيما بينهم ، وهو يعزوها الى «اسطورة» الاضطهاد الذي عانوا منه عبر حقب تاريخية مختلفة ، وفي اشارة مهمة للمسالة يقول إن قادة الصهيونية يرون ان من مصلحة حركتهم



كرايسكي
اليهودي
الذي يطالب بدولة فلسطينية

ان يبقى اليهود «الدياسبورا» واقعين تحت وطأة الاضطهاد المستمر ، لان فى ذلك الضمانة الأهم لتطلعهم الى «اسرائيل» على انها «أرض الخلاص والأمن لكل يهودى فى العالم» .

ويعود كرايسكى الى التأكيد على نظريته الاساسية ، بأن الانتماء المشترك الى اليهودية غير موجود ، كما ان ادعاء الصهاينة بأن فلسطين هى ارض اليهود ادعاء خاطىء ، فاليهودية لم تكن مستقرة فى الأصل فى منطقة الشرق الأوسط ، بل فى بلاد شمال شرقى اوروبا ، وفى بولونيا والاتحاد السوفيتي .

القضية الفلسطينية

والآن : كيف ينظر كرايسكى الى الفلسطينيين ؟ وكيف يتصور الحل للقضية الفلسطينية ؟

يقول : «ان كل حل «للمشكلة» الفلسطينية يجب ان يأخذ بعين الاعتبار عنصرين هما : الاعتراف باسرائيل «كدولة» مستقلة والاعتراف بحق الفلسطينيين بانشاء دولة فلسطينية لهم .

أما بالنسبة لشكل الدولة الفلسطينية ومساحة الأرض التى ستقوم عليها وعدد سكانها ، فان كرايسكى يعترف بان ذلك يشكل مشكلة بالفعل ، مما يستحيل معه التحديد ، لكنه على اية حال لا يرى سوى جوابا واحدا ، وهو ان الدولة الفلسطينية «المطلوبة» ، يجب ان تقوم فى الضفة الغربية وفى الأردن ، ويمكن تصور نوع من الكونفدرالية فى المستقبل بين الأردن والدولة الفلسطينية الصغيرة فى الضفة الغربية .

لكن هناك سؤال : هل سيكون لهذه الدولة الفلسطينية الصغيرة ، فى حال نشوئها ، مقومات الحياة ؟

يجيب كرايسكى برد نتحفظ عليه ، وهو باختصار ، ان اسرائيل عند قيامها لم يكن لها مقومات حياة ، وان الأردن اشد فقرا من الضفة الغربية ، ومنذ اكثر من ستين عاما ، ارتفعت اصوات تقول ان النمسا ـ تلك الدولة الصغيرة ـ غير قابلة للحياة طويلا ، وان حظها فى البقاء ضئيل جدا . ويضيف : ان دولة فلسطينية ولو صغيرة ، يمكنها ان تعيش اذا كان مواطنوها مصممون او راغبون فى استمرارها وبقائها ، فالارادة السياسية عنده تشكل عنصرا حاسما فى مصير الدول (؟؟) ، ثم ان الدول العربية الغنية ستكون ملزمة بدعم هذه الدولة الفلسطينية إذ انها ساهمت وستسهم فى اقامتها ، فلابد لها ان تتحمل مسئولية استمرارها وبقائها ، وهذا ما حدث تماما لاسرائيل ، وبالاضافة الى ما تقدم فسيكون بين اسرائيل والأردن والدولة الفلسطينية (كما يدعى كرايسكى) علاقات مصالح مشتركة تساعد الدولة الفلسطينية على البقاء ، ومهما يكن من امر فانه اذا اراد الفلسطينيون دولة ، فيجب ان ينالوها ، إذ يجب ان لا ينسى احد ان عدد الفلسطينيين يناهز الثلاثة ملايين (والصحيح أربعة ملايين) .

ويدعو كرايسكى الاسرائيليين الى اغتنام «الفرصة الوحيدة القائمة اليوم» وان يتصالحوا مع الفلسطينيين باتخاذهم «موقفا معتدلا ومعقولا» ، وستكون الحدود مفتوحة بعد تحقيق الصلح ، بين «اسرائيل» والدولة الفلسطينية ، لتسهيل التنقل والتعاون بين «الشعبين» .

ويستدرك كرايسكى ليقول ان هذه ليست افكارا خيالية ، كما قد يتبادر الى ذهن البعض ، إلا ان تحقيقها يقتضي «منح» أرض للفلسطينيين يقيمون عليها وهذه الأرض لا تتوفر الا اذا انسحبت اسرائيل من الأرض العربية المحتلة .

ويضيف انه سيكون للصلح بين اسرائيل والعرب اصداء قوية ، وان على الاسرائيليين ان يفهموا ان الشعب الفلسطيني هو الأرقى من ناحية المستوى الثقافى بين الشعوب العربية ، وان بين الفلسطينيين اكبر عدد بين هذه الشعوب من حملة الشهادات الجامعية ، وهم يشغلون مراكز هامة فى العالم العربى ، كما يتوجب على الاسرائيليين ان يتخلوا عن غطرستهم وتعاليهم على العرب ، وان يدركوا ان العالم العربى يشهد اليوم حقبة انبعاث فكرى .

وينصح كرايسكى الاسرائيليين بان لا يغتبطوا كثيرا بالمعارك التى يخوضونها مع الفلسطينيين فى جنوب لبنان ، ويقول ان الفلسطينيين قد يصابون بانكسارات عسكرية كما حدث فى لبنان .. الا انه يستحيل إسكاتهم او اخضاعهم للوصاية .

ثم يدعو اسرائيل الى ادراك حقيقة اساسية اخرى وهى ان منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الوحيد والناطق باسم الشعب الفلسطينى ، وبرغم ان هناك فئات تنكر على المنظمة حقها بالتحدث باسم الفلسطينيين ، الا ان منظمة التحرير نالت اعتراف هيئة الأمم

المتحده بها مما اتاح لرئيسها ان يخاطب العالم من على منبرها وان يكون لها ممثل دائم فى المنظمة الدولية ولو بصفة مراقب ، ويحذر كرايسكى ايضا من ان زعماء المنظمة قد يتغيرون ، لكن المنظمة باقية .

الاعتراف المتبادل

يطرح كرايسكى بعد ذلك ، مسالة الاعتراف المتبادل بين «الدولة الاسرائيلية» والدولة الفلسطينية ، وهو يرى ان القاعدة والاساس للاعتراف المتبادل هو قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ ، على ان يجرى «إكمال وتعديل» هذا القرار (القرار يصف الشعب الفلسطيني فى صيغته الأصلية بانه جماعات من اللاجئين وليس كشعب له قضية وطنية وحقوق سياسية) .

والتعديل الذى يطلبه كرايسكى يتوجب ان يتضمن النص على حق تقرير المصير بالنسبة للشعب الفلسطيني وقيام دولة مستقلة . لكن المستشار النمساوى يعقد كل أماله فى امكان تحقيق هذا الحل ، على نجاح حزب العمل الاسرائيلى بزعامة شمعون بيريس فى الانتخابات الاسرائيلية القادمة ، فهو ينسب الى «زميله» فى «الاشتراكية الدولية» قوله انه يريد اعادة الضفة الغربية وقطاع غزه الى الأردن ، كما ينسب كرايسكى الى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية السيد ياسر عرفات قوله «اريد اولا الضفة والقطاع وبعد ذلك افكر ما ساعمل فيهما ، فقد ارتب اوضاعى مع الأردن» (صحيفة السفير اللبنانية ١٦/٦/١٩٨٠) .

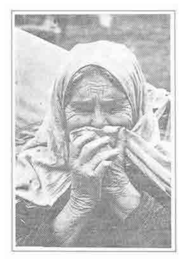
ويضيف كرايسكى انه اذا كان الطرفان يقولان الصدق ، فهناك امكانية لاقامة جسر يربط بين الطرفين والوصول الى حل ، لكن ماذا اذا غير بيريس رايه بعد نجاح حزبه فى الانتخابات القادمة ؟

يقول كرايسكى : فى هذه الحالة لابد من الحصول على شكل من المفاوضات بحيث يجرى التعرف على مطالب كل فريق بالتحديد ، وهناك المئات من الأسئلة التى ستطرح «وعندما نجد لها الاجوبة نجد الحلول» — اما الحل فسيكون فى نقطة ما فى الوسط ، ومؤتمر جنيف الشرق اوسطى هو المكان الصالح لهذا الحوار المنشود على ان يضم ممثلين عن الشعب الفلسطيني ، اما اعتراف الفلسطينيين باسرائيل فهو الورقة الأخيرة التى سيلعبونها ، لأنها الورقة الوحيدة الرابحة فى ايديهم !

تبقى قضية القدس ، التى يقدم لها كرايسكى حلا غامضا بعض الشيء ، فهو يشبهها بروما التى تعنى بالنسبة لأى كاثوليكى فى العالم مركز اقامة للبابا ، لكنها تعنى للآخرين عاصمة لايطاليا !! فبالامكان فى نظر كرايسكى رفع العلم العربى فوق المقدسات الإسلامية والمسيحية ضمن وضع خاص ، لكن على ان تبقى القدس عاصمة لاسرائيل !!

ماذا يقول الاسرائيليون عن كرايسكى

لقد اختلف برونو كرايسكى مع جميع القيادات التى مرت فى اسرائيل منذ عام ١٩٧٣ ، وفى تلك السنة كان بينه وبين غولدا مئير حوار ساخن حول مسالة المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتى حيث اغلق المعسكر الذى كان يستقبل المهاجرين اليهود قبل توجيههم الى اسرائيل ، وذلك بعد عملية فدائية تم خلالها احتجاز رهائن . وبعد مقابلة بينها وبين كرايسكى فى اعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبر) عادت غولدا مئير الى تل ابيب لتعلن انها «خجلة من هذا اليهودى الذى يلبس كوفية مرقطة» ومناحيم بيغن الذى وصفه كرايسكى بانه «يعمل فى السياسة كما يعمل البقال الصغير» ، لم يوفره من ابشع النعوت ومنها اتهامه باللاسامية ، كما ان يوسف بورغ اتهمه باستخدام لغة تذكر بلغة النازيين .



عود على بدء

قلنا فى مطلع هذه المقالة ، ان الأفكار لاتنبت فى صحراء بل هى نتيجة منطقية لحدوث متغيرات وتشكل معطيات جديدة سياسية واقتصادية وعسكرية .

لهذا رأينا كرايسكى يربط طروحاته للاتصال بالعرب امام الاشتراكية الدولية وتحقيق سلام فى الشرق الأوسط ، بقضية امدادات النفط العربى ، والخطر الذى يمكن ان يواجه اوروبا فى حال اندلاع حرب خامسة فى الشرق الأوسط ، ولجوء العرب الى فرض حظر نفطى جديد ثم ما تشكله عائدات النفط من خطر على ميزان التسلح بين العرب والكيان الصهيونى ، وكرايسكى نفسه لا يخفى فزعه من استخدام العرب لعوائد النفط من اجل شراء الأسلحة ، فهو يقول فى وثيقة اعدها وقدمها لمؤتمر الاشتراكية الدولية الذى عقد فى فيينا فى ٨-٧-١٩٧٨ ما يلى : «... واذا لم تجد ازمة الشرق الأوسط حلا ، فاننا سنجد عائدات البترول فى العالم العربى تتجه الى اهداف التسلح ، وتتوصل فى السنوات العشر القادمة الى تدعيم نوعية وقدرات الجيوش العربية ، مما سيهدد وجود اسرائيل .. وذلك ان اية قوة عسكرية اسرائيلية للهجوم المضاد ، مهما كانت ناجحة وقادرة على الضرب ، فلن تتمكن من تغيير الميزان بالكامل لصالح اسرائيل ، ولكنها ستزيد من احتمالات الخطر العام بالحرب ، وان الثمن الذى ستدفعه اسرائيل من دم ابنائها سيكون فى ازدياد مستمر» .

ان هذه الفقرة من الوثيقة التى اعدها كرايسكى تكشف عن «اليهودى الصغير المتخفى» فى اعماق كرايسكى ، ذلك اليهودى الخائف على اسرائيل والضنين بهدر دماء ابنائها .

عصـــام شريح

سرّ مشير
من أسرار الحرب العالمية الثانية



مجدي نصيف

لين دييتون مؤرخ وكاتب قصة بريطانى . أصدر هذا الشهر رواية جديدة اسمها «إكس . بى . دى» ، انفجرت مثل قنبلة فى بريطانيا . الرواية هاجمها معظم النقاد والمؤرخون وانزعج منها الزعماء السياسيون . السبب أنها تمس شخصية بريطانية هى ونستون تشرشل، وتدعى أنه «كان يستعد للاستسلام لهتلر .. لولا ! ..»

الرواية الجديدة تقول ان «تشرشل بطل ولكن .. بقدمين من طين» ، ذلك انها تدعي انه قد قابل هتلر سراً فى ١١ يونيه عام ١٩٤٠ قبيل استسلام فرنسا بثلاثة أيام ، وعندما كانت بريطانيا تترنح انذاك بعد هزيمة دنكرك القاسية وغزو فرنسا السريع ، المرير ، وكانت المقابلة .. هكذا تدعى الرواية ، لمناقشة هتلر فى شروط استسلام ذليل .

الأكثر من ذلك أن الرواية تدعى معرفتها بشروط الاستسلام الذليل . تقول الرواية ان تشرشل كانت معنوياته منخفضة للغاية فعرض استسلاما مقابل تسليم هتلر المستعمرات البريطانية فى افريقيا والتى استولت عليها بريطانيا من المانيا بعد الحرب العالمية الأولى ، وكذلك اشراف المانيا الجزئى على ايرلندا ، وعلى البحرية البريطانية الملكية ، وكذلك يتم السماح لقوات العاصفة الألمانية (الـ إس إس) والجستابو ، بالاشراف على البوليس البريطانى .

وتدعي الرواية ان هذا الاتفاق التمهيدى لم يتم تنفيذه لسبب بسيط لأن ونستون تشرشل تلقى وعداً من الرئيس الأمريكى روزفلت بانقاذ بريطانيا ، وذلك بان تدخل امريكا الحرب الى جانب الحلفاء .

ماذا حدث فى ليلة ١١ يونيو ؟

ولم يكتف الناشر بما جاء فى الرواية ، بل اضاف اليها من عنده بعض المشهيات: صورة لونستون تشرشل يصافح أدولف هتلر الزعيم النازى وكان المقابلة قد تمت بالفعل ، والصورة لم تنشر من قبل بطبيعة الحال لأنها .. مزيفة ، وإن رفض الناشر أن يقول هذه الحقيقة .

ما هى الواقعة المختلف عليها ؟

فى صباح الحادى عشر من يونيه عام ١٩٤٠ ، اقلع ونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا العظمى ، على متن طائرة صغيرة خاصة الى وسط فرنسا ، الى مدينة بريير الفرنسية خلف الخطوط الألمانية ، هناك ترك ونستون تشرشل جنرالاته الذين طاروا معه ـ بما فى ذلك حرسه الخاص ـ وطار الى قرية صغيرة على الحدود البلجيكية ، عند قرية برولى دى بيش .

«الرواية تدعى أن هذا اللقاء السرى كان مع أدولف هتلر الزعيم النازى ، لتسليم بريطانيا لألمانيا» .

ودخل الدكتور مارتن جيلبيرت المعركة . وهو المؤرخ البريطانى الذى كتب حياة ونستون يوما بيوم ، وهو يعمل بالصدفة الآن فى الجزء السادس من كتابه الكبير عن حياة تشرشل ، ويتحدث فيه عن عام ١٩٤٠ ، حيث لابد وانه سيتناول بالكتابة اليومين اللذين


تشرشل

هتلر

تناولهما لين دييتون بالحديث .

يقول الدكتور جيلبيرت :

تشرشل لم يقابل هتلر ابداً ، لا فى عام ١٩٤٠ ولا فى أى عام آخر . إن الرجل الذى أصر على أن تستمر بريطانيا فى حربها ضد المانيا النازية قد اشتهر بعلامة «النصر» ، وهى رفع الأصبعين دلالة على جملته الشهيرة أيضاً والتى تتكون من كلمة واحدة : «سننتصر» .

ويصف الدكتور جيلبيرت تفاصيل يومى ١١ و ١٢ يونيو عام ١٩٤٠ فى حياة تشرشل من خلال الوثائق الموجودة فيقول :

كان هذان اليومان أكثر الأيام درامية فى حياة تشرشل ، والصورة مثيرة — من الناحية التاريخية والواقعية — أكثر مما رسمها خيال الكاتب لين دييتون . كانت فرنسا على وشك الاستسلام ، وكانت «قوة استكشاف بريطانية» هناك مهددة بالفناء على أيدى الجيش الألمانى النازى .

هنا طار ونستون تشرشل مع فريق سياسى — عسكرى على مستوى عال ، الى فرنسا ، لحث الفرنسيين على الاستمرار فى المعركة والصمود وعدم الاستسلام .

وكان هذا الفريق يتكون من : انطونى ايدن وزير الخارجية ، والفيلد ماريشال سير جون ديل قائد الأركان العامة ، والجنرال توج اسماى رئيس أركان «مجلس الحرب» ، والبريجادير أوتو لوند نائب مدير العمليات الحربية بمجلس الحرب ، والبريجادير جنرال سير ادوارد سبيرز ضابط الاتصال بين ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطانى ومسيو ريموند رئيس وزراء فرنسا .

وهذه الفترة مليئة بالوثائق والمذكرات .

فمن بين من اشترك فى هذه الرحلة السرية ، هناك من نشر مذكراته مثل أنطونى ايدن وزير الخارجية ، والفيلد ماريشال سير جون ديل . هناك أيضاً تقارير «مجلس الحرب» ، ذلك أن كل مهمات تشرشل وما قام به ، مسجل فى سجلات المجلس ، هذا الى جانب تقرير تشرشل نفسه عن تلك الرحلة «الغامضة» ، فهو لا يمكن أن يكون قد ذهب بدافع شخصى بعد أن أصابه اليأس ، ولابد أن تكون هذه الرحلة بتكليف . ثم هناك أيضاً أوراق تشرشل بأجمعها التى يحتفظ بها «مكتب السجلات العامة» .

الرحلة السرية

ما هى حقيقة الرحلة «الغامضة» «السرية» إذن ؟

لقد ثبت بالفعل أن تشرشل قد ذهب الى قرية اسمها بريير على الحدود الفرنسية — البلجيكية فى ١١ يونيه ١٩٤٠ ، لاجتماع فورى مع ريموند رئيس وزراء فرنسا ، والجنرال ويبجاند قائد الجيش الفرنسى (المندحر) والماريشال بيتان (الذى سلم فرنسا للألمان) والجنرال جورج ، ثم جنرال صغير السن لم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت اسمه شارل ديجول .

استمر الاجتماع حتى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى : ١٢ يونيه عام ١٩٤٠ . وتقول التقارير التاريخية التى أذيعت ونشرت عن هذا الاجتماع ، انه كان اجتماعاً مأساوياً ، فقد قدم الجنرال ويبجاند قائد الجيش الفرنسى تقريراً على الحالة اليائسة للقوات الفرنسية . نصح الوفد البريطانى الجانب الفرنسى بطلب «هدنة» .

باختصار ، كانت فرنسا تتحلل ، وكان تشرشل يحاول ايجاد أفضل الأشكال الممكنة للصمود ، حتى لا يتدهور موقف الحلفاء . فى هذا الاجتماع التاريخى قال رئيس الوزراء الفرنسى لونستون تشرشل :

— «لا يبدو أن هناك ضوءاً ما فى نهاية النفق المظلم الطويل» .

وتذكر التقارير — التاريخية — أن تشرشل قال له :

— ومع ذلك فان بريطانيا مصممة على أن تخوض المعركة . وأرجو أن تقوم فرنسا بنفس الشيء .

لكن البعثة البريطانية السياسية — العسكرية فشلت فى اقناع الفرنسيين بالصمود ، وطار تشرشل عائداً الى هيندون فى ليلة الثانى عشر من يونيه عام ١٩٤٠ ، وعبر الشاطيء الفرنسى ، ومن نافذة طائرته ، شاهد الهافر وقد تصاعدت منها السنة النيران . وكان

هل كان تشرشل يستعد للاستسلام لهتلر سنة ١٩٤٠؟!



يمسك بيده مسودة تلغراف ، ارسله فيما بعد للرئيس الأمريكى روزفلت ، يطلب فيه مساعدة الولايات المتحدة الامريكية «لانقاذ الديمقراطية من الدمار» .

كتب ونستون تشرشل بعد ذلك يتحدث عن اجتماعه بالجانب الفرنسى :

ـ إن الماريشال العجوز بيتان مستعد ان يمد يده ويستسلم بتوقيع معاهدة مع الألمان . لكن هناك جنرال صغير اسمه تشارل ديغول ، اعتقد انه سيفعل الكثير.

وهذا ما حدث بالفعل بعد ذلك : سلم بيتان فرنسا لهتلر ، واستمر الجنرال ديجول يناضل ضد النازية ، وقد ساعده تشرشل على وجه الخصوص .

تقول الوثائق ان تشرشل ذهب بعد ذلك مباشرة من هيندون الى اجتماع طارىء «لمجلس الحرب» البريطانى . وكان هذا الاجتماع تاريخيا ، إذ كانت «معركة بريطانيا» على وشك ان تبدا .

فكيف يمكن ان يكون تشرشل قد قابل هتلر ؟

والأحياء ... ايضا

ولم يكتف لين دييتون بالكتابة عن الأموات ، لكنه تناول فى روايته تحركات وافكار بعض المعاصرين ومنهم السيدة مرجريت تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا والمدير العام للمخابرات البريطانية . فالرواية تتضمن عدة اجتماعات تمت بين رئيسة الوزراء ومدير الـ إم ١٦ ، وقد اسماه المؤلف دييتون سير سيدنى ريدن . وقال فى روايته ان السيدة تاتشر وجدت مدير جهاز مخابراتها صعب المراس ، والتفاهم معه مستحيل . وعلق مدير المخابرات ـ فى الرواية ـ على شخصية رئيسة الوزراء بقوله : «إنها شخصية شريرة للغاية» .

وما اغضب الشخصيات الرسمية البريطانية اكثر ان المؤلف ذكر فى روايته ان السير ونستون تشرشل قد اصطحب معه مدير المخابرات فى الاجتماع السرى بهتلر عام ١٩٤٠ ، ثم قتل بعد ذلك فى حادث سيارة غامض عام ١٩٥٩ .

الذى يقلق اكثر ان المؤلف مؤرخ ايضا ، وهو يخلط وقائع عديدة صحيحة مع وقائع غير صحيحة على الاطلاق . ويخلط شخصيات حقيقية بعدد من الشخصيات الخيالية . إذ يتضمن قلب الرواية قصة حقيقية . فقبل نهاية الحرب العالمية الثانية بعدة اسابيع ، قام النازى بدفق حمولة قطار كاملة . من الكنوز الفنية والارشيفات والذهب . فى منجم كايسيرودا بميركوس بغرب تورنيجيا . واكتشف الامريكيون المسالة . فاستولوا على الحمولة وقاموا بشحنها فى سفينة الى فرانكفورت . لكن خلال نقل شحنة السفينة باللوريات الى فرانكفورت تختفى ثلاثة لوريات بحمولتها ولا تصل . وهذه القصة الحقيقية موجودة وثائقها فى واشنطن ، ولكن لم يكشف القناع عنها بعد . وقد حصل دييتون على مادة ارشيفية لهذه الواقعة ووصفها باشخاصها ووقائعها ثم خلط جزءا منها بخيال المؤلف مما يعقد المسالة . انه يبنى روايته على مؤامرات متشابكة ووقائع وشخصيات حقيقية ، ثم يذكر بعض الاحداث الملفقة .

يقول دييتون عن روايته : «انني كتبتها كمحطة استراحة بعد عدة كتب تاريخية . انني اكتب فى هذه الرواية ما اريده وما اتصوره ، ولا التزم ولا احاسب بالتالى على الوقائع التاريخية والوثائق والخط الحيادى العلمى الذى يجب ان اسير عليه فى كتبى التاريخية» .

والسؤال المطروح الآن :

هل يحق للمؤرخ ان يقوم بهذا ؟

هل من حقه ان يشوه شخصيات تاريخية ؟

واذا كان من حق الكاتب ان يتناول الأحداث كما يريد ... فالى اى مدى ؟ .

مجدى نصيف
لندن

كلمات

من طارد ارنبين فى وقت واحد لم يدرك ايا منهما .

مثل اوروبى

لقد حدث لي الف مرة ان بصقت على الناس ثم هرولت اسعى وراءهم «طالبا رضاهم» !

احدى شخصيات الجريمة والعقاب
لد ستويفسكى

إن الخطا هو الميزة الوحيدة التى يمتاز بها الكائن الانسانى على سائر الكائنات الحية . من يخطىء يصل الى الحقيقة . انا انسان لأننى اخطىء . ما وصل انسان الى حقيقة واحدة إلا بعد ان اخطا اربع عشرة مرة .

دستوفسكى

إبراهيم السمان
الاردن



الانتماء



الكلمة عملة صعبة غطاؤها الصدق . وهى أول ورقة نقد شفوية تعامل بها الانسان . ولكن التيارات الفكرية المختلفة التى عج بها الأثير العربى فى ربع القرن الماضى عومت كثيرا من الكلمات والعبارات فى بنوك الفكر السياسى التجارى بعد أن كانت قطعا نادرة راسخة الغطاء .

و (الانتماء) من الكلمات التى اصابها التعويم ففقدت فى عقول الأجيال الصاعدة هويتها واضطرب مفهومها ومدلولها وغدت فى نظرها معادلة غير متوازنة الأطراف .

أصبح الانتماء أمرا يتلقاه المواطن ولا يتعلمه ودرس استظهار يحفظ كلماته دون أن يعيش واقعه . وعبارات تساق اليه فى حديث أو خطبة أو صحيفة . وليس فى ممارسة أو تجربة . صرنا نطلب اليه الانتماء لوطنه بالرادار دون أن نعطيه أسبابه ووسائله .. ولقد نسينا أو تناسينا ابسط قواعده . فأول جذور الانتماء هو قراءة التاريخ .. وإذا ما انتقلنا من الماضى الى الحاضر كان الوطن والأرض .. والبيت .. والعمل .. والحرية .. والعدالة الاجتماعية .. وكرامة الفرد .. واحترام الفكر .. هى المثيرات التى تسكن عقل الانسان ووجدانه .

يقول علماء النفس : إن أسباب الحنين الى الوطن هى فقدان المثيرات التى تشده الى البيئة والجو اللذين عاش فيهما .. ويشبهون تلك المثيرات باوتاد الخيمة . فاذا ما غاب انسان عن وطنه اصبح خيمة بدون أوتاد تربطها بارضها .. فالأرض وهى أم الانتماء لم تكن فى هذا الجيل هى الهدف . ولعلنا حاربنا الانتماء بغير وعى عن طريق الهجرة من القرية .. وموطن الانتماء والانتقال الى المدينة واجهة الخدمات والاستهلاك . كأننا نعد المواطن لمجتمع خدمات لا مجتمع انتاج وخلق وابداع !!

والتربية الوطنية بمختلف معاهدها لم تقم بدورها العلمى فى اعداد المواطن المنتمى . فالمعلم كان يتحدث الى الطالب عن الانتماء حديثا نظريا حماسيا مخدرا يبدأ بابيات من شعر الفخر الشخصى وينتهى بنشيد عن الوطن الحبيب السليب !

والانسان كائن اجتماعى منتم بفطرته وحب الوطن انتماء وبقدر عطاء الوطن لأبنائه يكون الانتماء الذى يخلق المعجزات . قال لى صديق عندما كنا فى زيارة لاحدى مدن أوروبا : من أجل هذا الوطن الجنة كانت تضحيات أبنائه فى الحرب العالمية الثانية ..

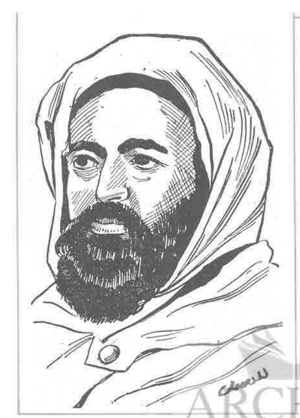
وعندما نسمع أو نقرأ فى كتب التاريخ عن ملايين المواطنين الذين ماتوا دفاعا عن مدنهم وصمدوا لنيران مئات القنابل التى تسقطها الطائرات على بيوتهم فان سر معجزتهم هو الانتماء . إنه لون من ألوان الحب والتضحية الصامتة فى سبيل مجتمع أبرز سماته العطاء .

والانتماء لا يفرض على انسان جائع ، لأن انتماءه يتحرك كابرة المغنطيس نحو الرغيف . والانتماء لا يطلب الى مشرد لا أرض ولا بيت ، ولا عمل ، ولا كرامة له . وقبل ذلك كله يستحيل الانتماء الى تربة مجدبة من الفكر أو مجتمع يتعامل مثقفوه ومترفوه مع الفكر فى المناسبات والصالونات خارج أوقات العمل !

الانتماء طفولة مضيئة وصبا دافق بالحياة وشباب حالم بالغد ورجولة مشدودة بعاطر الذكريات الى أرض خضراء . فضوء الطفولة لا ينطفىء فى النفس وسعادة الصبا تبقى شعلة فى العقل . وحلم الشباب يغدو حياة متجددة الأمل .. وهى كلها من روافد نهر الانتماء العظيم .

وضريبة الانتماء لا تفرض على انسان بلا طفولة ، ولا صبا ، ولا شباب . إنه ينتمى الى اللحظة التى يعيش فيها ، والأرض التى يقف عليها أينما كانت ، والفكر المشع الذى يهديه سواء السبيل . وهنا تكمن مشكلة من أخطر مشاكل العصر التى تواجه المجتمعات النامية غير المنتمية وهى : الهجرة .. هجرة العقول .. والكفاءات ؟؟

الكلام عن الانتماء يبقى نفخا فى (قربة مثقوبة) بالتعبير الفولكلورى ؟؟ ما لم نترجم لأجيالنا الصاعدة معانيه واقعيا على صعيد مؤسساتنا الرسمية والأهلية وهى أول خطوة حقيقية على طريق الحياة المتحضرة .. ولا سبيل الى ذلك بغير الفكر والمال يوضعان فى المسار الصحيح على الأرض العربية .



عبد القادر الجزائري و الوحدة الوطنية

يشعر كثير من العرب هذه الأيام بأن آمالهم فى تحقيق الوحدة العربية المنشودة ، تتبخر شيئاً فشيئاً مع ازدياد التمزق فى العالم العربى ، وتوالى الانقسامات ، وتصاعد الخلافات . ويخيل الى الكثيرين أن أوضاع الوطن العربى لا تتغير الى الأحسن ، بل الى الأسوأ ! .. وفى الحقيقة أن أوضاع العالم العربى قد تحسنت كثيراً عما كانت عليه فى القرن الماضى ، منذ تحرر من الاستعمار ، كما تحقق له قدر من الوحدة السياسية والاقتصادية ، وتحققت على مستوى كل بلد وحدته الوطنية ــ وهذه كلها إنجازات كبيرة لم يكن يعرفها العالم العربى فى القرن الماضى . فكثير من البلاد العربية حتى عن قريب لم تكن قد حققت بعد وحدتها الوطنية ، التى هى الخطوة الأولى نحو الوحدة القومية ، وقد خاضت غمار معارك أهلية طاحنة حتى تمكنت من تحقيق هذه الوحدة ، وانتقلت بذلك الى مرحلة الدولة القومية الحديثة . ويرجع الفضل فى ذلك الى زعماء أوتوا البصيرة لاستشراق مستقبل بلادهم وأوتوا مواهب الزعامة لتحقيق هذه الوحدة فى مرحلة من المراحل ، ومن هؤلاء الزعماء : الأمير عبد القادر الجزائرى . الذى شغلته كثيراً قضية الوحدة الوطنية ، واستنفدت كثيراً من طاقاته النضالية ضد الاستعمار .

وعندما ولد عبد القادر الجزائرى فى شهر مايو ١٨٠٧ فى قرية صغيرة تسمى القيطنة أو «الجيطنة» فى إقليم وهران ، كابن رابع للشريف محيى الدين ، شيخ الطريقة القادرية ــ كانت الجزائر ولاية من ولايات الدولة العثمانية ، مثلها فى ذلك مثل غيرها من البلاد العربية الأخرى ، وكان المجتمع الجزائرى ، ككل المجتمعات العربية أيضاً ، مجتمعاً إسلامياً بالدرجة الأولى ، أى مجتمعاً يربط بين أفراده الشعور بالانتماء للدين الاسلامى والعالم الاسلامى ، بأكثر مما يربط بينهم الشعور بالانتماء لوطن محدود هو الوطن الجزائرى ، أو قومية محدودة هى القومية الجزائرية ! .

مجتمع مفتت :

ولكن هذا المجتمع ، نظراً لطبيعة الجزائر الجبلية ، كان منقسماً على نفسه فى شكل قبائل وعشائر ، تدين بالولاء لرؤسائها وزعمائها بأكثر مما تدين للسلطة المركزية التركية التى تعينها الدولة العثمانية فى المدن القليلة وكان جزء من هذه القبائل يعيش مستقلا لحد كبير عن هذه السلطة المركزية فى المناطق الجبلية الحصينة ، تحت نفوذ عائلات كبيرة تستمد قوتها وهيمنتها من الدين أو الكفاءة الحربية . بينما كان جزء من هذه القبائل يخضع مباشرة للسلطة التركية ، ويعرف باسم : «قبائل الرعية» ، والجزء الآخر متحالف مع هذه السلطة يعمل فى خدمتها ، ويعرف باسم «قبائل المخزن» ، مثل قبائل الدوائر ،

والزمالة ، أو الكراغلة ..

وكان عبد القادر الجزائرى ينتمى لاحدى العائلات العربية النبيلة ذات الطابع الدينى التى كانت تتركز فى غرب الجزائر ، وهى قبيلة بنى هاشم العربية التى كان موطنها قرب مدينة «معسكر» عاصمة وهران . وكانت العائلات النبيلة فى الجزائر تنقسم الى قسمين ، قسم يستمد مكانته من السيف ، ويطلق عليه اسم «الأجواد» ، وتتركز فى شرقى الجزائر ، وقسم يستمد مكانته من الدين ويطلق عليهم اسم «المرابطين» . وكانت اسرة عبد القادر اسرة مرابطية ، أى اسرة دينية ، ومع ذلك فقد قدر لعبد القادر الجزائرى أن يقود حركة التحرير الجزائرية ضد الفرنسيين ، لأن تعلمه الدين لم يمنعه من تعلم فنون الفروسية بل وعلى نحو أعده للقيام فيما بعد بادواره المدهشة التى حيرت اعداءه ، مثل عدم النوم خلال أسابيع ، والتعرض للصدام ، وندرة إغماد سيفه ، حتى استحق ما قيل عنه من أن «سرجه كان عرشة» !

ففى عام ١٨٣٠ احتلت فرنسا مدينة «الجزائر» منتهزة حادث ضربة المروحة المشهورة التى زعم فيها قنصل فرنسا ، بيير ديفال ، انه تلقى لطمة من مروحة الداى حسين باشا حاكم الجزائر التركى أثناء احتدام نقاش بينهما . وقد فرضت فرنسا الحصار البحرى على ميناء الجزائر فى يونيو ١٨٢٧ ، وفى يوم ٢٥ مايو ١٨٣٠ ، أى بعد ثلاث سنوات ، وجهت حملة بحرية كبيرة من قاعدة طولون البحرية ، تمكنت بعد قتال عنيف من احتلال مدينة الجزائر .

وفى بداية الأمر ، لم يثر احتلال الفرنسيين لمدينة الجزائر أى خوف أو قلق فى نفوس الجزائريين فى انحاء البلاد ، لأن ظروف الصراع بين الجزائريين والأوروبيين فى ذلك الوقت كانت تؤدى أحيانا الى احتلال الأوروبين لبعض المدن الساحلية ، ثم لا يلبث هذا الاحتلال أن يزول ، ولا يمتد الى الداخل . ولكن سلوك الفرنسيين فى هذه المرة اقنع الجزائريين بأن حضورهم لم يكن حضورا عاديا ، اذ اخذوا فى الاستيلاء على كل المدن الساحلية ، وبدأوا فى مد سيطرتهم العسكرية نحو جبال أطلس ! .

وسرعان ما اخذ عنصر المواجهة الرئيسى فى الجزائر ، وهو القبائل ، فى الاستعداد للمقاومة . فحين قاد الجنرال دى بورمون حملة عسكرية الى مدينة «البليدة» الواقعة فى سفح جبال أطلس يوم ٢٤ يوليو ١٨٣٠ ، انقضت عليه وعلى قواته كتائب العرب والقبائل من الجبال المحيطة ، وهى تصيح صيحة الحرب ، وأنزلت به الهزيمة واضطرته إلى الانسحاب الى مدينة الجزائر .

ولم يلبث «المرابطون» ، وهم الذين يقودون ويوجهون الفكر الدينى القومى ، أن أعلنوا عزمهم على شن الحرب المقدسة ضد الفرنسيين . واستقر رأيهم على دعوة محيى الدين ، والد عبد القادر لقيادتهم فى هذه الحرب ، ولكنه عندما اتصلوا به لهذا الغرض اقترح العمل تحت قيادة سلطان المغرب ، على أساس أن القبائل منقسمة على بعضها ، وزعماء البلاد يتامرون ضد بعضهم البعض ، «وسلطان المغرب» قوة يمكن أن تدين لها القبائل بالخضوع ، «فاذا حاربنا تحت لوائه فسننتصر انتصارا مؤكدا» .

وبالفعل توجهت بعثة جزائرية من كبار المرابطين إلى فاس ، وعرضت على السلطان عبد الرحمن أن يكون سلطانا عليهم . فقبل بعد تردد ، وارسل ابنه الأمير على نائبا عنه إلى تلمسان ، حيث سارعت القبائل إلى اعلان ولائها له ، ولكن فرنسا وجهت انذارا الى سلطان المغرب بالانسحاب العاجل من الجزائر أو اعلان الحرب ضده ، فامر إبنه بالعودة ، وسحب جنوده . وبذلك القيت مسئولية الدفاع عن البلاد الى بنيها .

وقد أعاد انسحاب جيوش المغرب من الجزائر الوضع الى ما كان عليه ، فعرض المرابطون مرة أخرى على الشريف محيى الدين منصب سلطان الجزائر ، فرشح لهم هذه المرة ابنه عبد القادر ، فأرسلوا فى استدعائه ، وكان عمره وقتذاك خمسا وعشرين سنة ، ونصبوه عليهم سلطانا فى يوم ٢٠ نوفمبر ١٨٣٢ .

وحدة الجزائر !

ومنذ اللحظة الأولى لتسلم عبد القادر السلطنة ، شعر بانه لن يستطيع اداء مهمته الا اذا توحدت البلاد تحت سلطته ودانت بالولاء له فارسل فى اليوم التالى خطابات الى القبائل التى لم تشارك فى بيعته ، يدعوها الى الدخول فى طاعته قائلا :

«تولينا هذه المسئولية الهامة على مضض شديد ، آملين أن يكون ذلك وسيلة لتوحيد المسلمين ، وتوفير الأمن لكل الأهالى ، وصد وطرد العدو الغاصب لذلك ندعوكم الى أن تشاركوا فى هذا العهد أو العقد بيننا وبينكم . سارعوا اذن لاعلان ولائكم وطاعتكم ، والله يجازيكم فى الدنيا والآخرة . إن ثقتى فى الله كبيرة ، ومنه وحده أرجو الجزاء والنجاح» .

على أن هذا النداء من جانب عبد القادر لم يلق من القبائل استجابة واحدة فقد كانت هذه القبائل ــ كما ذكرنا ــ تعيش متباعدة ، وفى حالة استقلال نسبى عن السلطة المركزية التركية التى كان يمثلها حاكم الجزائر التركى ، ولم تكن تدين بالولاء ــ من ثم ــ الا لشيوخها ولم تكن تطيق الخضوع لسلطة واحدة ولذلك شعر كثير منها بنفور من الخضوع لحكم فرد واحد ، بل شعر زعماؤها بانهم لا يقلون فى صفات الزعامة واحقيتهم لها عن الأمير عبد القادر . فلماذا يدينون له وحدة بالطاعة ؟ .

بل إنه فى اقليم وهران نفسه ، الذى ينتمى اليه عبد القادر ، أعلن بعض رؤساء القبائل رفضهم لزعامته، مثل : سيدى العريبى ، رئيس قبيلة فليته ، والعمارى ، رئيس قبيلة بنى انجاد ، ومحمد بن نونه فى تلمسان ، ومصطفى ابن اسماعيل زعيم قبائل المخزن .

وعندئذ شعر عبد القادر الجزائرى بانه ربما كان عليه فى البداية أن يثبت جدارته بحكم البلاد عن طريق تحقيق انتصارات على الفرنسيين ، فجمع القبائل الموالية له ، وزحف بهم من مدينة معسكر فى ربيع عام ١٨٣٣ قاصدا وهران . واشتبك مع القوات الفرنسية بقيادة الجنرال دى ميشيل حول حصن فرنسى فى مكان يدعى «الكرمة» . فسحق صفوف الفرنسيين فى السهل ، واجبرها على الانسحاب ، وأسر منهم ثلاثين أسيرا .

وقد أفلح هذا الانتصار بالفعل فى جلب ولاء كثير من القبائل التى رفضت من قبل مبايعة عبد القادر ، وعلى رأسها الحاج بن عيسى . ولكن بعض القبائل الأخرى ظلت على موقفها . ولما كان تحقيق الاستقلال والتحرر من الفرنسيين لا يتاتى والبلاد منقسمة

مفتتة ، فقد شعر عبد القادر ان عليه اولا تحقيق الوحدة القومية ولو بالقوة . وقرر لذلك مهاجمة القبائل التى لم تعترف بسلطته ،واخضاعها بالسيف ، وحملها على الولاء له وللنظام الذى اقامه .

وعلى ذلك فقد باغت عبد القادر سيدى العريبى على راس خمسة الاف مقاتل ، والحق به هزيمة بالغة ، واضطر سيدى العريبى الى تقديم تعهد مكتوب بالطاعة له ، وتقديم ابنه رهينة لديه لتحقيق تعهده .

ثم واصل عبد القادر زحفه وسط سهل نهر الشلف الواسع والمناطق المجاورة له حيث سارعت كثير من القبائل الى الانضمام اليه ، وتقدم حتى وصل الى سلسلة جبال العرنشريش المنيعة ، التى كانت تقطنها قبائل قوية لم تتعود الخضوع من قبل لاية سلطة مركزية . فلم يتعرض لها ، وتحاشى التوغل فيها ، حتى يشتد عود قواته ، ثم هاجم مدينة «ارزيو» الواقعة على بعد فرسخين من ميناء «ارزيو» ، واحتلها ، وبسط نفوذه على الميناء . وبذلك اصبح فى وسعه الاتصال بالخارج .

ولم يلبث عبد القادر أن زحف على تلمسان .. التى كانت بها بقايا القوات التركية ، ويسكنها «الكراغلة» ، الذين ينحدرون من ابناء اتراك وجزائريين . وكان العرب فيها تحت قيادة محمد بن نونة . فالحق به الهزيمة ، ولكنه لم يستطع اخضاع الكراغلة لاحتلالهم القلعة ، ولعدم وجود مدفعية لديه ، فتفاوض معهم ، واقام احد مساعديه حاكما على المدينة . ثم عاد الى معسكر .

وقد كان على عبد القادر بعد ذلك حمل القبائل الأخرى غير المتعاونة معه ، على عدم التعاون مع الفرنسيين وعدم التعامل التجارى معهم ، فاذاع فتوى اسلامية بان كل من يساعد الفرنسيين يعتبر مرتدا عن دينه . واطلق على القبائل المتعاونة مع الفرنسيين اسم : «المتنصرة» . كما كان يشكل قوة ضغط وطنية واسلامية على هذه القبائل ، منعتها من التعامل مع الأعداء ، والحقت بالفرنسيين متاعب تموينية كبيرة ، اجبرتهم على ابرام «معاهدة دى ميشيل» مع عبد القادر فى فبراير ١٨٣٤ ، اعترفوا فيها به . كرئيس لدولة مستقلة ، وسيادته على غرب ووسط الجزائر ،



عبد القادر الجزائري والوحدة الوطنية

وانحصرت مواقع الفرنسيين فى الحصون .

على أن عبد القادر عندما شرع فى بناء دولته ، مستفيدا من فرصة السلام المؤقت بينه وبين الفرنسيين ، واراد الحصول على موارد للدولة عن طريق فرض الضرائب ، اعترضت كثير من القبائل على ذلك . وعبثا حاول عبد القادر إفهام القبائل انه لا يجمع الضرائب لاستخدامها فى مصاريف عائلته ، وانما فى تاسيس حكومة منظمة توفر الأمن للمواطنين ، وتعمل على انتصار الاسلام . فقد اصرت بعض القبائل على موقفها من الرفض ، والتفت حول مصطفى بن اسماعيل على راس قبائل الدوائر والزمالة ، واعلن سيدى العريبى الثورة على عبد القادر . كما انضمت بعض القبائل الى سيدى حمادى ، حاكم تلمسان ، الذى كان على صلة بمصطفى ابن اسماعيل .

عبد القادر فى الميدان

وقرر عبد القادر القضاء على الانقسام بالقوة ، فنزل بكل قواته على سيدى العريبى وهزمه مرة اخرى ، واسره . وعاقب القبائل المتمردة عقابا شديدا ، وجمع منها الضرائب . ثم تقابل مع مصطفى بن اسماعيل فى سهل محرز يوم ١٣ يوليو ١٨٣٤ ، حيث دارت معركة كبيرة انهكت الطرفين ، وانتهت بقيام مفاوضات بينهما للصلح ، ثم توجه عبد القادر إلى تلمسان ، فاعتقل مساعده الخائن سيدى حمادى ، ووضعه فى السجن .

وبعد ان حقق عبد القادر الوحدة الوطنية على هذا النحو ، اخذ فى تنظيم دولته وتكوين جيشه النظامى ، متأسيا بمحمد على باشا فى مصر ، حتى اخذت انظار المصلحين فى مناطق الجزائر الأخرى التى لم تدخل ضمن اطار دولته ، تتطلع الى الدخول فى طاعته ، حتى يطبق فى اقاليمهم ما يطبق فى اقليم وهران من إصلاح ، وارسل سكان المدية ومليانة ، وهما من اهم مدن اقليم التيطرى ، وفودا الى عبد القادر يطلبون اليه السير الى اقليمه ، وضمه الى دولته على ان محاولات عبد القادر ضم اقليم التيطرى لم تلبث ان قادته الى حربين : الحرب الأولى مع أمير اقليم التيطرى ، وهو أحد رجال الطريقة الشاذلية من اشراف الصحراء ، الذى ادعى لنفسه القداسة ، واستولى على مدينة المدية ، واستقبله الناس استقبالا كبيرا ، ويدعى الحاج موسى — والحرب الثانية مع الفرنسيين .

وبالنسبة للحرب مع الحاج موسى ، فقد هزمه عبد القادر هزيمة ساحقة فى ابريل ١٨٣٥ ، رغم ما اذاعه الاول من ان مدافع عبد القادر لن تنطلق ! ، فقد رد عبد القادر بانه اذا كانت مدافعه لن تنطلق ، فسيعترف بالتدخل الالهى فى هذا الموضوع وينسحب ! . ولكن مدافع عبد القادر انطلقت ، وكذبت نبوءة المتنبى ، واستولى عبد القادر على اقليم التيطرى وسط الترحيب العام .

أما بالنسبة للحرب مع الفرنسيين ، فان استيلاء عبد القادر على التيطرى على هذا النحو جعل الفرنسيين يخشون على انفسهم من امتداد نفوذه حتى يشمل الجزائر كلها ، فأخذوا يتحرشون به عن طريق استغلال الروح القبلية الانقسامية فى الجزائر ، فشجعوا قبائل الدوائر والزمالة على طلب الحماية الفرنسية ، ووقعوا معها على معاهدة تضعها تحت الحماية الفرنسية ، وتصبح بمقتضاها رعية فرنسية ! .

وبذلك اصبحت الحرب بين عبد القادر والفرنسيين امرا مقضيا ، لأن عبد القادر كتب الى الحاكم الفرنسى تريزيلى «لن ارفع يدى عن قبائل الدوائر والزمالة حتى ولو دخلوا وراء حصون وهران ، إلا بعد أن يتوبوا ويندموا . فان دينى يمنعنى من السماح لمسلم بان يكون تحت سلطة اجنبى» . ثم نشبت الحرب

فى يونية لتستمر عامين .

على أنه فى خلال هذه الحرب تعرض عبد القادر لبعض الهزائم ، التى كانت تحدث آثارها فى القبائل سلبا ، فتنشق بعضها ، وتنقلب على عبد القادر . وعند ذلك كان عبد القادر يسارع الى معاقبة المنشقين خوفا على الوحدة الوطنية من أن يسرى فيها سرطان التفتت والانقسام واستخدم فى ذلك سلاح القسوة فى بعض الأحيان .

فعندما أعلن احد الثائرين ، ويدعى سيدى ابراهيم انشقاقه على عبد القادر ، وانتحل لنفسه لقب سلطان ، جرد عبد القادر سيفه ، وعلقه فى سرجه ، وأقسم الا يغمده ولا ينزل عن فرسه ، حتى يقطع رأس الخائن ! . وبالفعل تمكن عبد القادر من القبض على سيدى ابراهيم وقطع رأسه جزاء خيانته ! .

وعندما رفضت بعض القبائل فى جنوب اقليم التيطرى ، بعد إبرام معاهدة التافنة ، دفع الضرائب لعبد القادر ، وكونت ضده اتحادا كبيرا — دعاها عبد القادر «باسم النبى محمد» إلى طاعة القانون والاقتداء بقبائل الشمال والغرب الجزائرى فى الطاعة .

فلما لم تحدث دعوته الأثر المطلوب ، زحف عبد القادر عليها ، ومزقها شر ممزق وسلم «ابن المختار» نفسه طالبا العفو .

ولما كان غرض عبد القادر من الحرب توحيد القبائل وليس الانتقام ، فلم يكتف بالعفو عن ابن المختار ، بل عينه خليفة عنه على القبائل المنهزمة . مما جعل ابن المختار منذ ذلك الحين من أكثر أنصار عبد القادر ولاء له . وقد أدى هذا


الأمير عبد القادر الجزائرى

الانتصار إلى اعلان كثير من القبائل الأخرى على الحدود الجنوبية لاقليم قسنطينة ولاءها لعبد القادر .

وفى ذلك الحين تمثلت العقبة فى سبيل الدولة الموحدة فى منطقة الأغواط على بعد مائتى ميل من وهران ، حيث كان يعيش بنو عراش ، الذين كانوا يتكونون من عشر قبائل قوية وكثيرة العدد تحت رئاسة مرابطهم الحاج محمد ابن سالم التجينى ، الذى كان يعيش كحاكم مستقل فى معقله الحصين «عين ماضى» ، التى كانت عبارة عن مدينة محصنة على الطريقة العربية ، تحتوى على ثلثمائة منزل فقط . وكانت لها عاصمة تحوطها ابراج كثيرة سميكة ، تنتشر حولها البساتين التى كانت قادرة على الدفاع عن نفسها ، وبها العين التى اعطت للمدينة اسمها ، وهى «عين ماضى» . وكان التجينى يرفض تماما فكرة توحيد الجزائر تحت سلطان عربى.

اصرار على النصر

وقد قرر عبد القادر اخضاع التجينى ، وزحف بجيشه يوم ١٢ يونية ١٨٣٨ ، وفاجأ التجينى قبل أن تتاح له الفرصة لغلق أبواب المدينة ، وأحكم الحصار حول الأسوار بقواته ، وأمر بقطع جميع الأشجار ، ونصب المدافع فى الأماكن التى خلت بقطعها .

على أنه قدر لعبد القادر أن يواجه مقاومة فريدة من نوعها ، اذ كان كلما فتح بمدافعه بعض الثغرات فى الأسوار ، تمكن المدافعون البواسل من سدها . واستمر الحصار شهورا ، كاد كل من المدافعين والمهاجمين يموتون جوعا ! ، فالمدافعون كانوا يقترون على أنفسهم فى الأقوات الى درجة تحفظهم بالكاد من الموت جوعا ، والمحاصرون كانوا يعتمدون فى تموينهم على القوافل التى تصلهم من الشمال ، ولكن هذه القوافل كانت تتعرض لهجمات المغيرين من بنى عراش أثناء مرورها بالصحراء ! .

وقد كان هذا الموقف من اشد ما تعرض له عبد القادر . فلم يسبق له أن دخل فى صراع له مثل تلك العواقب البعيدة المدى على وحدة الأمة الجزائرية . فاذا اعترف بفشله ، وانسحب دون فتح «عين ماضى» ، فان جميع الصحراء الجزائرية وقبائل بنى عراش ، التى يرأسها التجينى ، سوف تبقى منشقة عليه . ولذلك أعلن انه يفضل الموت حيث هو على اعلان هذا الفشل .

وفى هذه اللحظات الحرجة ، تمكنت بعض الامدادات من الوصول الى عبد القادر سالمة ، فنجح بها فى الحاق الهزيمة بالتجينى ، وتعهد التجينى بالجلاء عن «عين ماضى» والذهاب باتباعه الى الأغواط ، وأن يكون ابنه رهينة لدى عبد القادر . وعندما تم الجلاء دمر عبد القادر المدينة وسواها بالأرض وكتب الى خليفته فى وهران يشرح أسباب محاربته للتجينى قائلا :

«ان الله تعالى قد حملنا مسئولية توحيد جميع أهل هذه البلاد الى شريعة سيدنا محمد . وعندما توجهنا الى الصحراء ، لم نتوجه للاضرار بالمسلمين الحقيقيين أو اخضاعهم وتخريبهم ، وانما لايقاظ ايمانهم ، وجمع شملهم ، وارساء النظام فيما بينهم . وعندما استجاب الجميع لدعوتنا فيما عدا التجينى ، وجدنا أنفسنا وجها لوجه أمام الذين غرر بهم الشيطان وزين لهم العصيان ، فاستعملنا حق سيادتنا ، وأمرنا جيشنا المنتصر بمحاربتهم ، وكان الدين يفرض علينا ذلك» .

وكان على عبد القادر بعد ذلك معاقبة بنى عراش ، الذين كانت البراهين تقطع بصلتهم بالفرنسيين . وقد اتبع فى هذه المرة السرية المطلقة ، فلم يطلع أحدا من فرسانه على اتجاه الحملة ، حتى ظهر أمام خيام بنى عراش عند الفجر ، وكانت هناك أكثر من عشرة آلاف خيمة تغطى السهول ، فانقض بجيشه عليها كالاعصار ، وكان يحذر فرسانه من التعرض للنساء ، وكان فى وسعه القضاء عليهم وافناؤهم جميعاً ، ولكنه عفا عنهم بعد أن وعده شيوخهم بالولاء فى المستقبل . وظل بنو عراش منذ ذلك الحين أكثر أتباع عبد القادر اخلاصا وولاء ، حتى آخر لحظة ! .

ولم يكن عبد القادر يستخدم القوة فى التوحيد الا عند عجز الوسائل السلمية ، وكانت هذه الوسائل الأخيرة كثيرا ما تنجح وتعفى عبد القادر من استخدام السلاح . ومن ذلك أنه استطاع أن يضم منطقة القبائل الكبرى ، وهى تلك المنطقة

عبد القادر الجزائري والوحدة الوطنية



الساحرة من جبال جرجرة ، التى كانت تمتد من مدينة الجزائر شرقا الى بجاية ، باللين والاقناع . فقد توجه الى هذه المنطقة التى لم تخضع لسلطة مركزية من قبل ، فى سبتمبر ١٨٣٩ فى حملة سلام على راس خمسين فارسا فقط ، ووقف فى جموعهم خطيبا قائلا :

«لقد هزمت الفرنسيين الذين جاءوا لاحتلال أرض الجزائر . وقد أطاع الغرب الجزائرى كله أوامرى ، واتحد تحت لوائى . وقد بقى أن ينضم الشرق الجزائرى . فتأكدوا أننى لو لم أقف بصلابة فى وجه الفرنسيين المعتدين ، لانقضوا عليكم انقضاض البحر الهائج ، فاذا ساعدتمونى فسارميهم فى البحر ، واذا أبيتم مساعدتى فسياتى اليوم الذى يسترقونكم فيه ويدوسون حرماتكم . فاستيقظوا يا أهل جرجره ، فان ما أطلبه منكم هو الطاعة والاتحاد ، والمحافظة على قوانين ديننا المقدس ، لكى ننتصر على المستعمرين» .

وهكذا كان عبد القادر يربط على الدوام قضية الوحدة الوطنية بقضية التحرر الوطنى والاستقلال ، ولكن الاستعمار الفرنسى كان بدوره يعرف خطورة الوحدة الوطنية على وجوده فى الجزائر ، ولذلك حين امتد سلطان عبد القادر على مساحة شاسعة من أرض الجزائر ، وأصبح صاحب سيادة مطلقة على المناطق التى تقع بين قسنطينة واقليم الجزائر ، والتى كان الفرنسيون يعتمدون عليها فى تموينهم بالمواد الغذائية ـ تجددت الحرب بين الطرفين فى ١٨ نوفمبر ١٨٣٩ .

ولكن فى هذه المرة كان الفرنسيون قد استفادوا من حروبهم الطويلة مع عبد القادر ، فتخلوا عن أسلوبهم العسكرى السابق ، وانتهجوا أسلوبه هو الذى يعتمد على مرونة الهجوم والانسحاب عند اللزوم ، واتبعوا خطة الطوابير المتحركة التى تهاجم فى جميع الجبهات وفى الوقت نفسه أخذوا يضغطون على القبائل للانفضاض من حول عبد القادر بالوعد والوعيد . مما سبب متاعب شديدة لعبد القادر .

استبسال واستسلام !

ولكن عبد القادر الجزائرى لم يكف عن محاربة التفتت والانقسام بنفس القوة التى كان يحارب بها المستعمرين ، وكان يوجه الحملات للضرب على أيدى القبائل المنشقة حتى لا تتشجع القبائل الأخرى على التمرد ، فتنهار الدولة على أيدى بنيها قبل أن تتهاوى على أيدى الأعداء !

لذلك بينما كان الجنرال لامورسيير يطارده ، كان يقوم بغزوة سريعة ضد قبائل البرجية ، ويحاول استرداد سلطته بين القبائل الواقعة بين سهل وادى الشلف والبحر ، ثم يقوم بغزوة فى جنوب مليانة ، ويتوجه الى جبال ترارة على حدود المغرب الأقصى ، حيث استطاع الجنرال بيدو اخضاع كثير من القبائل هناك ، فينزل على قبائل ندرومة التى عرفت بولائها التام لعبد القادر ، يستثير حماسها القديم ، حتى طلبت منه العفو ، وتعهدت بغسل عارها فى ميدان الشرف . كما نزل بقبائل بنى سناسن وغيرها من قبائل الحدود مع المغرب - حيث حذت حذو قبائل ندرومه فى الاعتذار والتعهد بالقتال . وكان يميز بين القبائل التى تخلت عنه مرغمة بسبب تنكيل الفرنسيين ، وبين القبائل التى تخلت عنه من باب التخاذل والخيانة . فعفا عن الأولى ، وأنزل العقاب الصارم بالثانية تنفيذا لأحكام القرآن فى معاملة الخائنين .

●●●

ولكن نضال عبد القادر فى جبهتين : جبهة الوحدة الوطنية ، وجبهة التحرير الوطنى ، كان لابد أن يؤثر على جهوده سلبا لصالح الفرنسيين . وزادت متاعبه حين اضطر الى مقاتلة السلطان عبد الرحمن ، سلطان المغرب بعد أن طلب منه بضغط الفرنسيين وتهديدهم ، الانسحاب بقواته من الحدود المغربية ، وحقق الانتصار عليه . وكان الفرنسيون فى ذلك الحين قد شددوا هجومهم فى كل الانحاء ، حتى وجدت القبائل نفسها بين الفناء التام والاستسلام ، ولم تغن محاولات عبد القادر لشدها الى النضال الوطنى بالاقناع أو بالقوة ، فحيثما حل وجد الفتور والقنوط والياس ، بل ان نزوله ببعض القبائل أصبح يعد فى ذلك الحين علامة من علامات سوء الطالع ومقدمة للخراب ! .

●●●

وبذلك نضبت موارد عبد القادر الجزائرى المادية والبشرية ، التى كانت تمكنه من الصمود فى وجه الفرنسيين ، واضطر الى تسليم نفسه يوم ٢٣ ديسمبر ١٨٤٧ ، ولكن بعد مائة عام تقريبا من هذا التاريخ ، كانت الجزائر قد حققت وحدتها الوطنية فى جبهة التحرير الوطنى الجزائرية ، واستطاعت بذلك تحرير نفسها من قبضة الفرنسيين واقامة دولة الجزائر المستقلة .

ع . ر

أزياء عربية من وحي التراث وعصور الإسلام الأولى

نادية محمد رزق

مر التاريخ امام المشاهدين من خلال العرض الذى قدمته دار الأزياء العراقية فى زيارتها الاولى لدولة قطر .

وكان العرض يضم الى جوار التاريخ عناصر أخرى متعددة كالفن التشكيلى ، والمسرح ، والموسيقى ، والتراث ، والحضارات القيمة التى يلتقى عبر رحلتها طوال الاف السنين الحاضر بالمستقبل ، من خلال عرض جذاب يعتمد على الابتكار والابداع وثراء الالوان وإتقان تنفيذها ..

ولكى نقترب أكثر من المفاهيم والأسس لعروض الأزياء التى رأيناها امامنا لابد من إعطاء لمحة عن تاريخ الأزياء العراقية وتطورها على مر العصور .



زى الأميرة الحضرية دوشفرى

زى منقوش بخطوط عربية

أزياء عربية

أهمية الأزياء

عبر الحضارة العراقية كان الزى متصلا بكل ما يحيط به من ظروف ، وكان متأثرا تأثرا كبيراً بالرخاء والفن اللذين شملا الحياة وقتئذ .. وقد أدى ذلك الى الاهتمام بالزى اهتماما كبيرا حتى وصل أحيانا الى درجة اعتباره جزءاً من وجود الانسان الثقافى والروحى !

وإذا كان الزى فى بداياته الأولى لم يزد عن كونه واسطة لحماية جسم الانسان ووقايته من العوارض المؤذية فى الطبيعة كما ظهر فى العرض ، فانه بلغ على مر التاريخ والعصور مرحلة رائعة من التطور ! .

وفى الاكتشافات الأثرية ما يعطينا الدليل على التقدم العظيم الذى بلغته فنون النسيج وصناعة الملابس وأدوات الزينة فى ربوع العراق ... فقد كان المعبد منذ ذلك الحين مركزاً هاماً لصناعة النسيج ،وكانت المعابد تحتوى ما يشبه المعامل الصغيرة التى يتحقق فيها كل شىء بداية من عملية جز الصوف الى غزله وحياكته .. وكان النساجون يتمتعون بمراكز مرموقة داخل مجتمعاتهم فى ذلك الوقت ، حتى بلغت صناعة الأزياء درجة كبيرة من التقدم والتطور فى الفترة السومرية الحديثة ، كما ظهر ذلك من خلال عرض الأزياء ، حيث انتشر الزى المعروف باسم «كوناكيس» ، وهو رداء يلتف حول الجسم ويغطى الكتف والذراع الأيسر ، وقد تدلت فوقه شراشيب !



فكرة هذا الزى مستوحاه من السجاد الشعبى من مدينة السماوه بجنوب العراق



فستان من قطعتين مطبوع برسوم تاريخيه

الزخارف الحضارية

واستمر هذا الأسلوب «الكوناكيس» طيلة الاف السنين الى أن ظهر العصر «الاكادى» الذى تميزت أزياؤه بارتباطها الوثيق بالدين والطقوس والسحرة !

وظل الاهتمام بالزى العراقى عبر كل الحضارات العراقية واستمد علاقته الوطيدة من المعتقدات الدينية ، ومن وحى الطبيعة التى أمدت الانسان بكل ما يحتاجه من غذاء روحى ! .

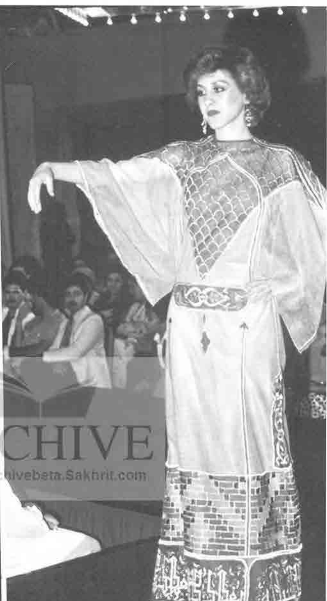
ثم تطور الزى فى العهد البابلى تطوراً جعله يصبح نموذجا رائعا للذوق العالمى فاصبح الزى فى هذا العهد يتألف فى الغالب من ثوب داخلى قصير من القطن يغطيه «الكوناكيس» ، وبعدها ظهر الزى الآشورى بما فيه من زخارف ونقوش مطرزة رأينا مدى روعتها من خلال العرض ..

ثم تدور عجلة الزمن ، وتطوى أمامنا قرون الماضى لتظهر العارضات العراقيات فى ثياب حضرية غنية بالنقوش والزخارف والمجوهـــرات .. ووقتها شعرنا بمدى روعة الزمن وأهميته فى حياتنا اليومية ، وبقيمة ما قدمته دار الأزياء العراقية حين قدمت أمامنا رداء الأميرة الحضرية «دو شغرى» فى اخراج جديد يملأ العين والنفس بالمتعة والاحساس بالجمال والأناقة ! .

أزياء بالخط الكوفى

وتبرز على المسرح من جديد أزياء أغنى العهود وأعظمها جمالا واتقانا وهو العصر الاسلامى .. عندما اتاحت الحياة للناس امكانية الاهتمام بملابسهم ومظاهرهم !

كانت تلك الأزياء تستوحى الى جانب الزخارف الجميلة أساليب الخط





كتابة بالخط الكوفى وزخرفة عربية لابيات من رباعيات الخيام على ثوب عربى .

زى منقوش بزخارف للفنان العراقى الواسطى من القرن الثالث عشر

أزياء عربية

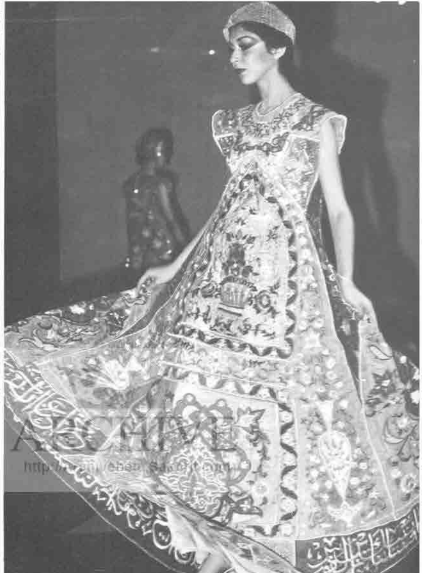
والكتابة المختلفة فتنقش عليها أبيات الشعر والأقوال الحكيمة والآيات القرآنية الكريمة والعبارات الجميلة الأخرى !

وقد برز الخط الكوفى فى تكوين نقوش بعض الثياب الحريرية ذات الطيات الناعمة الكثيرة ، وعلى زخارف الأكمام وجوانب الصدر والعمائم !

استخدام المواد المحلية

وقد استوحت دار الأزياء العراقية الكثير من فنون الحضارة الاسلامية الغنية بالزخارف والخطوط والألوان الجذابة المتناسقة فى ابراز العناصر الزخرفية التى تميزت بها تشكيلة الأزياء التى رآها الجمهور القطرى ..

ولم يقف الأمر عند اقتباس العناصر الفنية من الحضارات العراقية القديمة ، بل عمدت هذه المؤسسة الى التقاط كل ما هو جميل ونفيس فى الفلكلور العراقى والخامة الشعبية العراقية ، وأدى ذلك الى ظهور بعض الأزياء التى استعملت فيها المواد المحلية مثل اليشماغ والعباءة والشف المطرز ! .



فستان طويل منقوش بزخارف وخطوط إسلامية

فستان منقوش بزخارف ورسوم شعبية

عروض من التراث

وإذا القينا نظرة على دار الأزياء العراقية لعرفنا انها انشئت منذ عشر سنوات كما تقول «فريال الكليدار» مديرة الدار ومصممة الأزياء الأولى بها ، وهى مؤسسة تتبع وزارة الثقافة والاعلام فى بغداد .. وهذه الدار تنتهج أسلوباً خاصاً يعتمد على الاقتباس من التراث الحضارى لوادى الرافدين وتقديم عروض مستوحاة من الآثار والمخطوطات والمعلومات العامة عن هذه الحضارة !

وكل ذلك يقدم بتسلسل تاريخى للتعريف بحضارة العراق ، ومن هذا المنطلق الحضارى الثقافى تقدم العروض التى رأيها اثناءها ١٢٠ ثوباً من مختلف العصور ! .

وعندما سالت عن مدى مساهمة دار الأزياء العراقية فى تطوير الزى ، قالوا إن الدار لا تقوم بتقليد الزى القديم تقليداً أعمى ، ولا تنقله بترجمة حرفية ، ولكنها تستخدم القيمة الجمالية فى الشكل ، وتاخذ من الأصل أهم ما فيه من ملامح لتعيد صياغتها من جديد بالأسلوب الحديث الذى تتحقق فيه الأصالة والمعاصرة فى وقت واحد ! .

وقد قدمت دار الأزياء العراقية عروضها فى ٣٢ دولة منها أمريكا ، ودول أوروبا ، واليابان ومعظم الدول العربية . وكانت زيارتها لدولة قطر فى هذا الشهر مقدمة لزياراتها العديدة لدول الخليج خلال عام ١٩٨١ .

نادية رزق

قصة قصيرة

د. يوسف إدريس

ربما للمرة النادرة الثالثة او الرابعة فى حياتى ، حدث ذلك الشيء الذى كثيرا ما يحلم به اى راكب اعتاد ركوب الطائرة وحيدا ، حتى اصبحت مسالة من يكون جاره وكيف يكون اهم ما يخطر بباله قبل واثناء وربما بعد الركوب . بضربة حظ مفاجئة . والمقاعد حولى وعبر الطائرة كثيرة وفارغة ، وجاءت الحلوة الطويلة . ذلك الطول السامق الذى نفتقده فى شرقياتنا العظيمات القصيرات ، مبتسمة ابتسامة المرحب بك ، وبكل ما يمكن ان يدور بخلدك ، حمراء الشعر . حمراء النمش . حمراء البياض . والحمرة درجات ودرجات ، وبالدقة مرسومة وموزعة ، حمراء لحمرتها هالة وكان الهة الجمال تسلط عليها من يوم ولادتها كشافا مسرحيا متلون الحمرة يتبعها انى تتوجه . ولها يصبح الظل والواجهة . والمسقط والبروفيل . جاءت وتلفتت واختارت ، دون المقاعد جميعها ، ذلك المجاور لي واعتلته . فعلى الفور اصبح الكرسى عرشا ، وردا على ابتسامتها المرحبة اطلقت تحية لها الف ابتسامة ترحيب . ملكة من بافاريا بكل ارادتها اختارتنى لأكون شعبها الوحيد المحظوظ . بل الظاهر ان صمام الحظ كان قد افلت من قبضة النحس تماما وقبل ان تقلع الطائرة كانت قد طلبت منى مطلبا صعبا جدا ، ومن فرط جسامته يكاد يكون



ستحيلا . ان اتفضل واتنازل واسمح اكون دليلها حين تصل القاهرة . دليلها ى اوتيل لائق . فهذه اول مرة لها فى ىرق . تحلم به منذ عاشت . والقاهرة لذات كانت دائما مركز الحلم . ولهذا م تمض فى بيروت إلا يوما . ومن فرط فتها ذهبت الى المطار دون حجز . ومن ظها الحسن انهم ارتضوا الوضع . ما هى الآن فى الطائرة . وبعد اقل من اعتين ستكون فى قلب المدينة الحلم .

صدقوتى او احسدونى او تزمتوا تظاهروا بالنفاق والورع . ولكنها راحت ة اخرى ترجونى ان ترافقنى . وليس ارافقها انا . الى حيث (اضيع وقتى !) بض الوقت كى اساعدها فى ايجاد كان المناسب فى الفندق المناسب . بالسعر المناسب فهى تمقت الهيلتون لشيراتون . والاماكن الخاصة لاغنياء لانهم عواجيز او العواجيز نهم اغنياء . تعبد الفنادق ذات طابع . حبذا لو كان لدينا فنادق فى هواء الطلق . او فيلات غرفها خيام بناؤها الصحراء وطعامها يشوى فى عراء على النار . والنار يقلبها بدوى حيته السوداء وشنبابه الاسمر وعقاله دلى . اهملا او اناقة . الى جانب ذا لو يشوى لها اللحـــم ومعها تهمه . فى ليلة تحت خيمة . ليلة لا شهدها سوى القمر .

حين رايتها قادمة فى الممر ودون ان ادرى كنت من فرط طولها وهيبة الانوثة المكتملة فى القوام الكامل قد اعطيتها خمسة وثلاثين عاما او شيئا من هذا القبيل . حين اقتربت بدا لى عمرها الحقيقى الثلاثين . حين ابتسمت وجلست وتحادثنا . بالذات حين بدات تغمغم حلمها اليقظ وكشافات حمرتها تزداد توهجا وكل نمشة فى وجهها تكتظ انفعالا وتحتنع من مكانها وبسمتها الى جارتها وعلاقتها بالجارة الأخرى كلمة سر جمالى خاص تبوح عن نفسها وتتكشف . وعمرها يتناقص . بحيث قرب النهاية ولولا انها لا تصح إلا لمن جاوزت الطفولة . إلا لصبية تدرك وعن يقين تلمس لماذا المرأة مطلوبة ؟ لماذا يتقاتل عليها الرجال ؟ لماذا تضن بالحب لانها هى الحب . كل الحب . حين تحب . لولا هذا لارتدت الى العاشرة وكلماتها تتحشرج بالحلم وبالنهاية حلما . ما اجملكن ايتها الغربيات فى شىء واحد حين لا تجعلن السنتكن تنفرد وحدها بكل الحديث . حين نالت اجيادكن معكن الحرية . واصبح لها . ومع العقل والقلب . حق التعبير . تحلمن او حتى تتكلمن احلاما فتستحلن جميعا حلما . بالصدق وليس بالتمثيل .

وما ابشعك ايتها البافارية الالمانية كانك من قبيلة جن احمر انحدرت . كنت



تحلمين وتقتربين منى تريدينى مشاركة لك فى حلمك . تحلمين ويزداد كشافك الابدى احمرارا . وبنفس حلمك .. النفس حلمك .. ينصب من حيث لا ادرى على ملامحى ذلك الاصفرار المتغامق الفضاح . فبحلمك تبنيه كنت تقوضين حلما لى مذ رايتك . وبقاهرة تضعينها فى خيالك وصحراء وباللحم البدوى كنت تقتلين قاهرة اجمل اعرفها واحفظ اركانها . وصحراء اروع ما فيها انها ليست من رمال . وببدويك الاسمر ولحيته وشاربه كنت تنزعين عنى . كما يفعل بعض مخرجينا بقساوة . دورى . دور البطل . فلا بدوى انا ولا ذقن لى . وبلون جلدى لا امت الى الصحراء او حتى محافظات بحرى . عيناى مصيبتهما السوداء انهما ليستا سوداوين كما بطلك . ذلك الذى لم اشعر نحوه بذرة تفسير لحماسك هذا الفائر المتوحش .

وايضا كما يفعل ممثلونا والرواية تقرأ حيث لا احد . إلا الملقن يصغى الى الموضوع . وإنما الكل . وبلا وعى يبحث عن اكثر الادوار صلاحية له . اغناها (بالافيهات والنكات) اطولها . ابطلها كما يحدث هناك . وحلمى يتحطم . ولونك يحمر . ولون البطل يسود . ولونى انا يصفر . كنت . وقد فقدت الدور الرئيسى ابحث بغير ما لهفة عن الدور الذى اعدته لى فى حلمك ذاك .

فجاة ضحكت . بانزعاج مؤدب سريع توقفت عن الحديث وسالتنى : ماذا حدث ؟ هل اخطات فى شىء ؟

كان انزعاجها حقيقيا فالضحك فى المانيا ليس كالضحك هنا . فمن حقك المطلق هنا ان تضحك فى اى وقت تشاء ولاى كلام يقال حتى لو كان الكلام جادا ليس فيه ما يضحك . بل بالذات لو كان الكلام جادا حقيقة وليس فيه ما يضحك . الضحك هناك . كاى شىء . لابد ان يتوفر لحدوثه اسباب وجيهة قوية مقنعة جدا وواضحة جدا ولا يختلف عليها اثنان . حتى فى بعض الروايات مثلا ممكن ان تحدث مواقف تدفعك دفعا للضحك . ولكن لان النص لم ينص على الضحك هنا . فان احدا لا يضحك . الضحك هناك نظام وكاى شىء لابد ان يتم بنظام . فاذا فعل انسان فعلتى . وفى نهاية كنهاية حلمها فى لحظة تحشرج فيها صوتها ضحك . فلابد ان شيئا قد اختل فى





النظام العام . جننت انا او جنت هي ، او تسرب مع فتحات الهواء في الطائرة شيء من الغاز الضاحك . انزعجت ، وبلهفة ، تساءلت مروعة لماذا اضحك ؟

وكنت اضحك لانى اكتشفت ان دورى في حلمها هو الدور الذى تحتفظ به في الرواية للرجل الطيب الذى يقود الناس لتحقيق احلامهم «القادة» .

كنت اضحك للكم الهائل من خيبة الأمل التى احسست بها ، فليس لشخصى اختارتنى ملكتى البافارية وفضلت المقعد الخالى بجوارى على كل ما عداه من مقاعد خالية ، وإنما لمؤهلاتى تلك التى يتطلبها دورى ، واضح أنى عربى مثقف ، أعرف لغات ، أعرف النساء ايضاً ، واحب ــ كما رأت كل امثالى فى بيروت وغير بيروت ــ ان اساعد السيدة ، أى سيدة ، فما بالك بجنية ملتهبة الانوثة صاحبة الاحمرار .

يا بنت الايه . اسمعى إذن و .

وكما يتحدث الطلبة فى برنامج الف سلام ، وكخطابات المغتربين ومحاضرات ذوى الحماس ، رحت ، والأصفر فى وجهى ينتقل الى البرتقالية والطماطمية والبطيخية وما شئت من الوان الاحمرار ، رحت ، وبقسوة ، وبلاغة ، او فلنفعل كاللغويين الكبار ونقول : بقسوة بليغة ، أو ببلاغة قاسية ، رحت اخلع تلك الصورة البدائية الكريهة التى يبدو انها علقتها فى عقلها منذ الطفولة . كلما غافلتنى بحلمها عن البدوى وسمرته كلما تهورت فى حماسى دفاعاً عن برج الجزيرة وآثار الفراعنة ، ساعة العصرية على شرفة مينا هاوس .

وحين انتهيت ضحكت ، ربما تقليداً لما فعلت بكلامها انا ووجدت ان عليها اتباعه ورد التحية فعلت . ولكنى انا انزعجت . فقد خفت ان تكون قد وقفت على سر البلاغة القاسية والقسوة البلاغية وحماسى المفاجىء للبرج لا جمال البتة فيه وربما اى برج حمام ابيض ، فى اى نجع ، يبدو لى اكثر منه وداعة وحضارة ورمزاً .

اكثرت من تفاصيل البداية اعرف ، فانتم لابد انكم ، مثلما كنت انا تماماً ، شغوفين ان تنتهى البدايات بسرعة . وفى القاهرة اصبح ، وحدى مع البافارية الغريبة الحالمة بليلة تنطبع فيها آثار الأحلام على الرمال .

ولقد حدث .

بل ، ولقد حدث اكثر من هذا ،

حين هبطنا القاهرة . كان اللقاء قد تم . فى بيروت بدأنا والبدوى حلمها ، وهى او مثلها حلمى ، وكعادة الحياة والأحياء ، بدا معها ومعهم مستنكرين ، مطلقاً مختلفين غير راضيين ببساطة نرفض الواقع تماما ونرفض الخضوع ، وببساطة وكما رفضت انا حلمها تماما حتى مزقت القاهرة كلها من اجله . وكما لابد كانت سترفض حلمى لو عرفته ، وكعادة الأحياء ايضاً حين يرفضون الواقع المفروض ثم شيئاً فشيئاً يلتقون بادئين من الأمانى المشتركة والأحلام ، نحن ايضا ، تعادينا تماما فى الحلم ، ولكن الواقع المحض بدأ يقربنا ، واقتراب الواقع من الواقع فن اسألوا عنه اهل الذكر . فالسيدة حين تخرج السيجارة وتضعها فى فمها دون ان تبحث او تحاول حتى البحث عن ثقاب ، منتظرة ان تفعل انت ذلك الحريق الصغير الذى تلتقط بعضه بطرف سيجارتها ، وبحنكة تتذوق طعم الدخان الناتج عنها ، السيدة حين تفعل هذا تضعك فى الواقع امام امتحان يرسب البعض فيه رسوباً لا نقض فيه .

ذلك انها ايها السادة ، حين تضع السيجارة فى فمها الذى ضيقته خصيصاً ... حين يحدث هذا انما يكون فى الواقع بداية لمحاورة محاذية تسير جنباً الى جنب مع الحوار العادى . المحاورة الحقيقية ذات اللغة الخاصة والمستويات المختلفة فى الادراك والفهم . المحاورة الأهم التى من خلالها تدرك المرأة من انت ، فى الحقيقة من انت ، وأى الرجال انت ، وبأى الخصال تتمتع ، وأين نقط الضعف ، انك اذا اندفعت مثلاً كالتلميذ الخائف أن ينسى المحفوظات ملهوفاً فتبحث فى جيبك عن الولاعة ، وما ان تعثر عليها حتى تحس بالاضطراب ، ومن بعيد تدقها تشعلها ، وغالبا ما تفشل ، وبعصبية من يريد اثبات البراعة ثانية وربما ثالثة تحاول ، ثم تقرب النار بخوف من يخشى ان يحرقها وليس باناقة من يتيح لها أوسع الفرص لاستعراض اناقتها الخاصة فى تحاشى اللهب ، والاقتراب من الشعلة ، واخذ النفس ، واخراج النفس ، والتحرك اقداما وتراجعا ، والتفاتا وابتلاعا ، واهمالا فى الاسراع والتراخى الذى تتشد له الأعصاب . اسألوا اهل الذكر . ستجدون أن لكل حركة كتاباً أو باباً ، وللأبواب مفاتيح والمفاتيح احجام ، والمشكلة ليست مشكلة اصطدام رجل بامرأة وخلاص ، المشكلة ان تدبر بحيث يبدو الالتقاء طبيعياً أكثر من الالتقاء نفسه ، المشكلة انك عارف وانها عارفة ، وانك عارف انها عارفة وهى عارفة انك عارف انها عارفة ، وهلم جرا ولكن كيف ؟





وأين الرجل الذى يصبح فخره هذه المرة أنه الجاهل (مدعيا طبعا) وقوته أنه الغبى المفاجأ ، وكأن الأمر يحدث ولا يد له فيه . إن شرب الشاى هو شرب الشاى ، ولكن أن تجعل من مجرد احتساء قدح من الشاى فنا وطقوسا تزاولها مستمتعا وكأنها ليست وسيلة لشرب شاى أى شاى ولكنها هى الوسيلة غاية فى حد ذاتها ، كيف تجعل من كلمة «شكرا» تبدو وكأنها أهم كلمة نطقتها فى حياتك ، وكأنك لأول مرة تقولها ، ومن أجلها استخرجتها من صندوق كنوزك التى لم يرها أحد ، وتقدمها بأعزاز الملك يقلد الملكة التاج ، كيف ، بصدق تجعلها تحس بكلمة شكرا ، بنطقك لها ، بإخلاصك وإعزازك واختصاصك بها ، تاجا ، باهرا كالتاج الحقيقى ، على رأسها ساعة ترى الرجال تضعه ، وعلى كل الناس ، وبالكلمة متوجة فوق شعرها تفخر وتتيه .

اسألوا أهل الذكر .

فأنا لم أسألهم فقط ، أنا بعض من أهل الذكر هؤلاء .

وكان من المحتم إذن أن أجعل الحلم الذى فى خيالها يتبخر ،

وأحل مكانه ما أريده أنا .

وما أردته بالضبط تحقق .

فقد تحولت الخيمة الى حجرة فى فندق فاخر .

وتحول البدوى الأسمر ذو اللحية الى شخصى أنا ، محدثا وأنيقا وبارعا ،

ومضت خطتى فى طريقها بأسرع وأروع ما توقعت .

وانتهى العشاء .

وكنت أعرف وأحفظ درس السيجارة ، والحريق الصغير الذى على أن أحدثه .

وأول نفس لها من السيجارة كيف تخرجه .

ومددت يدى بعلبتى أنا أعزم .

ولكنها هزت رأسها بأناقة بالغة معتذرة .

وبيد رخوة ، مدت يدها الى حقيبة يدها ، وفتحتها ، وأخرجت ....

أخرجت ...

أخرجت سيجارا ضخما من حجم (تشرشل) .

وفضت عنه ورق السلوفان .

وبين شفتيها وضعته .

ومالت برأسها وبفمها ، وبالسيجارة ناحيتى ، تطلب الشعلة .

وكالمذهول المنوم تماما ، وبأكثر من فشل واحد اشتعل طرف السيجار فى النهاية .

وبتلذذ عظيم مضت تمتص رحيق دخان وتنفثه ليشيع فى الحجرة تلك الرائحة الخاصة للسيجار الهافانا .

ولابد أنها لاحظت ذهولى .

فبنعومة بالغة سألتنى :

– أيضايقك أن أشرب سيجارا .

قلت بسرعة : أبدا أبدا .

ثم رحت أقول ببطء شديد : أبدا ... أبدا ..

ولكنى كنت أقولها وأنا سرحـــان تماما ..

لقد كان فى عقلها حلم بدوى لحمى حمراوى طردته ،

ولكن ..

هذا السيجار ..

كلما رأيتها من (الفاس) أو (البروفيل) نفس الملامح الدقيقة ، النمش البنى فوق الأرضية المحمرة ، الشعر المتوهج بالاحمرار ، كل شىء كما كان ، ولكن السيجار ذلك السيجار اللعين ، قد غير بوجوده ، بمجرد وجوده ، معنى كل شىء ، طعم كل شىء ، تطبق بفمها على فم السيجار فينبت لها شارب ،

والرائحة التى تعبق المكان تحيل ملكة بافاريا الى كائن آخر ، أى كائن غير المرأة .

قالت : أعرف أن كثيرا من الرجال لا يعجبهم أن تدخن المرأة السيجار مثلهم ، أرجو أن تكون أنت من المؤمنين بالمساواة ، أليس كذلك ؟!

هززت رأسى موافقا ، وعن يقين موافق فالسيجار فى الحقيقة قد ساوى بينها ، وبين ملكتى البافارية ، وبين الرجل ، أى رجل ، أنا مثلا ...

د. يوسف ادريس



شعر :
د. غازي القصيبي

الموميــاء

وقلت لي السحر في البحر والليل والبدر
والكائنات المدماة بالعشق
تحلم أن تتضاعف وهي تحب
وتكبر وهي تحب
وتولد في الفجر ،
قلت لي السحر في الوتر
المتنفس شوقاً وشعراً
وقلت .. وقلت ..
وأرسلت روحى تعبر هذا الفضاء
المرصع باللانهاية تسأل ما السحر ؟
ما الحب ؟ ما العيش ؟ ما الموت ؟
تسأل .. تسأل ..
يا أنت !
لا تنبشى ألف جرح قديم
وألف سؤال عتيق
فانى نسيت الضماد
نسيت الاجابات
منذ تبرأت من نزوة الشعراء

وعدت الى زمرة الأذكياء
الذين يخوضون هذى الحياة
بدون سؤال بدون جواب
ويأتزرون النقود ويرتشفون النقود
ويستنشقون النقود
وهذي الثواني التي أخذتنا
الى عبقر كيف جاءت ؟
وكيف استطاعت عبور الطريق
المدجج بالمال والجاه والعز والبأس :
كيف استطاعت نفاذاً لقلبي ؟
ويا ويح قلبي !
منذ سنين تجمد
كيف يعيش الفتى دون قلب يدق ؟
ودون دماء تسيل ؟
تحنطت لكنني لم أبح
فمشيت ولم يدر من مر بي
انني دون قلب
فمن أين أقبلت



ترتجلين القصائد
تستمطرين الكواكب
زخة وجد
تثيرين زوبعة في الرميم ؟
أنا قد تقاعدت سيدتي
من مطاردة الوهم عبر صحاري الخيال
تقاعدت من رحلتي
في تخوم الرجاء
وعبر بحار المخاض المليئة
موجاً عنيفاً
تقاعدت أعلنت للناس
أني قد كنت منذ سنين طوال
ومت فمن يفضح السر ؟
من يحفرالقبر ؟

سيدتي ! أوغل الليل فانطلقي
ودعي المومياء الذي مسه البحر
لم ينتفض مسه الليل لم ينتفض
مسه البدر لم ينتفض

يتأمل في المال والجاه والعز والبأس .
حسناء أنت ؟!
أظن فما عدت أشعر بالحسن
كل الجواري سواء .
لو جئتني في صباي
منحتك شعراً جميلا
وحباً طهوراً
ولكن أتيت وقد يبس الكرم
والطير هاجر والعمر أقفر
ما في ضلوعي سوى رزمة من نقود
فهل أنت ، كالأخريات ، سبتك النقود ؟
أم البحر أغناك
عن همسة الدر ؟
والبدر أغناك
عن شهقة الماس ؟

سيدتي !
اتركيني فاني أطلت الكلام
وأدركني الآن ضوء الصباح .



كيف نحافظ على عيون أطفالنا؟

د. سيد الخميسي

هناك حقيقة علمية بسيطة وهي أن الانسان كي يرى الأشياء القريبة او البعيدة بوضوح يجب أن تقع صورتها على شبكية العين ، أما إذا وقعت صورة هذه الأشياء أمام الشبكية فمعنى ذلك أن الشخص مصاب بقصر النظر ، وإذا وقعت الصورة خارج العين أصيب الشخص بما يعرف بطول النظر .. وفى كلتا الحالتين سواء طول النظر أو قصره فان الشخص لا يستطيع ان يرى بوضوح سواء الأشياء البعيدة أو القريبة ، ولهذا يحاول المخ القيام بتصحيح هذا الخطأ عن طريق ارسال اشارات لاشعورية الى العين فى سبيل الرؤية بوضوح ، وهنا تبذل العين مجهوداً قد يكون أكثر مما ينبغى عليها القيام به .

وفى حالة الطفل ، فانه يشعر بزغللة وعدم وضوح الرؤية امامه والم حول عينيه وداخلهما ، ولذلك يجب على اسرة الطفل ان تذهب فورا لعمل فحص لقوة ابصاره فى بداية دخوله الى المدرسة ، وذلك لتحديد قوة إبصاره لاكتشاف وعلاج اية أمراض مبكرة تمنعه من العمل بكفاءة ، ولتحديد مدى حاجته لاستعمال نظارة طبية !

أمراض الأطفال

وأغلب أمراض العيون التى يعانى منها الاطفال تتركز فى الالتهابات التى تحدث نتيجة لدخول ميكروب الى العين وعادة يصاب بها الطفل عن طريق الملامسة كاستخدام مناشف شخص مصاب بمرض رمدى معدى ، او عن طريق الهواء الذى يحمل ترابا محمــلا بالميكروبات ويسبب التهابات صديدية بالملتحمة ، كما يلعب الذباب دورا كبيرا فى نقل الميكروب الى العيون عن طريق الاطعمة المكشوفة ..

وكثيرا ما تصاب عيون الأطفال نتيجة لدخول الاتربة اثناء اللعب او نتيجة لضربة متعمدة اثناء مشاجرة ، وفى هذه الحالة يجب غسل العين بسرعة بالماء حتى يتم عرض الطفل على الطبيب ، واحيانا يصاب طلبة المدارس اثناء اجراء التجارب العملية بمعامل الكيمياء والطبيعة .. وهنا لابد من عمل غسيل سريع للعين ووضع مرهم «تيراميسين» ثم عرض الطفل فورا على الطبيب .

اما أخطر حالات الاصابة فتتمثل فى دخول اجسام غريبة بالعين مثل دبوس او إصابتها بآلة حادة ، وهنا تربط العين ويعرض الطفل فورا على الطبيب لاجراء اللازم ..

الأنيميا والارهاق

وتعتبر العين عضوا عاملا بالجسم البشرى وتتبع تغيراته ، فعندما يصاب الطفل ببعض الامراض الباطنية فان ذلك يؤثر على العين وتشعر فورا بالاجهاد !

وهناك حالات بسيطة مثل فقر الدم او الانيميا ، وهى حالات منتشرة بين البنات فى سن البلوغ وتسبب لهن الصداع «وزغللة» بالعين ، وفى هذه الحالات يقوم الطبيب بعمل فحص من الناحية الرمدية ثم يكمل العلاج بعمل تحليل دم للتأكد من ان هذه الحالة ناتجة عن فقر دم فقط .. وبالعلاج تتحسن الأنيميا فتتحسن حالة العين ..

وما يقال عن تأثير الأنيميا على العين يقال عن الارهاق الجسمانى والعصبى ايضا ، فهو يؤثر على العين وبزواله تعود العافية الى الابصار !

الفحص الطبى

وبمجرد ولادة الطفل يجب الكشف على عينيه لاكتشاف اى تشوهات خلقية او وجود إفرازات صديدية تحتاج لعلاج .. وهذه الحالة تعالج بالمستشفى بعد الولادة مباشرة ، وخلال الاسبوع الاول فاننا ننصح باستعمال قطرة مطهرة للعين .. ولكن هناك اجراء يجب اتخاذه قبل الولادة وهو علاج اية التهابات ميكروبية تصيب المهبل حيث ان الطفل يصاب بالعدوى اثناء الولادة .. وتستطيع الام ملاحظة ضعف البصر فى طفلها ، ولذلك لابد من عرضه على الطبيب ابتداء من سن سنتين لعمل فحص لقاع العين ، اما إذا نصح الطبيب بعمل نظارة طبية للطفل فلابد فى هذه الحالة من الكشف الطبى كل ستة شهور او كل سنة على الاكثر لتغيير رقم النظارة ، حيث ان الفترة حتى سن ٢١ سنة تعتبر فترة نمو ، ومع نمو الجسم والمخ يتم التغيير فى حجم العين



هل الضعف مرض ؟

إن قوة او ضعف الابصار شيء طبيعى مثل الطول او القصر لدى الاطفال ويتبع نمو الجسم ، ويمكن اصلاح الضعف باستعمال النظارة الطبية ، ولكن هناك امراض معينة تصيب العين مثل السحابات والعكمات بالقرنية ، والماء الابيض والازرق ، وامراض الشبكية وامراض العصب البصرى .. وهذه الأمراض تسبب ضعف البصر ولا تصلح معها النظارة الطبية ، والطبيب هو الذى يحدد علاج كل حالة بما يناسبها .. ولذلك لابد للام عند ملاحظتها اى ضعف بقوة إبصار طفلها ان تعرضه على الطبيب فورا لمعرفة هل سيتحسن نظره باستعمال النظارة أم ان هناك مرضا آخرا بالعين يحتاج لعلاج او اجراء عملية جراحية .. وعادة لا تجرى العمليات بالعين إلا بعد سن السنتين .. ولكن اذا نصح الطبيب بالنظارة الطبية للطفل فلابد من استعمالها مبكرا للاسباب الاتية :

- اذا كان الطفل يعانى من حول فى عينيه ، فان ٩٠٪ من الحالات تتحسن باستعمال النظارة .
- اذا كان ضعف قوة الابصار ذا درجة عالية مما يسبب له صداعا خاصة بعد القراءة لمدة طويلة .
- يجب أن يتعود الطفل على استعمال النظارة الطبية منذ الصغر ، لكى تكون الصورة التى يراها واضحة وفى حجمها الطبيعى بحيث تكون الصورة من العين اليمنى متماثلة فى الحجم ودرجة الوضوح بالصورة المنقولة عن طريق العين اليسرى ، حيث يتم تطابق بالصورتين فى المخ ، وبذلك يرى الطفل صورة واحدة للشيء ، اما إذا اهمل الطفل استعمال النظارة فسيجد صعوبة بالغة فى التعود على استعمالها عندما يكبر ، مما تسبب له بعض المتاعب .

د. سيد الخميسى



الفرقة الموسيقية

كان هناك فار صغير رمادى اللون يعيش فى احدى سفن الاحتفالات الراسية بجانب الشاطىء . كل يوم كان يتجول على السفينة ويذهب الى المؤخرة لكى يجلس ويستمتع بحرارة الشمس . وفى المساء كان يشاهد الحفلة الراقصة التى تقام كل ليلة .. والفرقة الموسيقية التى تعزف وينتهز هذه الفرصة لكى يهبط درج السفينة ثم يتسلل الى المطبخ ويصعد الى الرف حيث يوجد الجبن اللذيذ ..

وفى هذه الليلة تسلل الفار الرمادى واكل كل الجبن الموجود .. ثم صعد الى حيث يقف الكابتن ليسمع ماذا سيقوله عن حفلة الليلة ..ولكنه بدلا من ذلك رأى الطباخ مقبلا وهو يقول للكابتن :

ـ هذا الفار اللعين أكل الجبن كله .. يجب ان نحضر قطة حتى تمسك به .. وقال الكابتن ..

ـ حسن احضر قطة .. واحضر أيضا بعض «بطارخ» السمك للحفلة هذه الليلة ..

ولم يبال الفار بهذه الانباء .. ولكنه فى اليوم الثانى حين كان يتسلل خارجا من جحره كى يستمتع بالشمس فاذا بقط ضخم يمسكه من ذيله .. وصرخ الفار ..

ـ اوه .. من فضلك .. لا تؤذنى .. وسوف ادلك على مكان تجد فيه الكثير من «بطارخ» السمك اللذيذة ..

وفكر القط قليلا ثم ترك ذيل الفار وهو

ـ اتفقنا ..

وفى المساء انصت القط والفار حتى بدأت الفرقة الموسيقية فى العزف ثم همس الفار :

ـ اتبعنى .

وسار القط خلفه فى هدوء الى المطبخ حيث كانت بطارخ السمك اللذيذة .. وانقض القط عليها فى لهفة .. وانقض الفار على الجبن الجديد الذى وجده .. وقال القط فى صوت مستمتع ..

ـ لذيذ ..

وحين فرغا سويا من البطارخ ، والجبن كانا قد اصبحا اصدقاء مدى الحياة ..

وفى الصباح عندما اكتشف الطباخ ما حدث احمر وجهه من الغيظ وذهب الى الكابتن وهو يصيح ..

ـ هذا القط لم يفعل اى شىء .. ومازال

الفار طليقاً وقد ذهب الجبن الجديد والأدهى من ذلك أن بطارخ السمك قد اختفت أيضاً .. يجب أن نحضر كلباً لكى نتخلص من القط ..

وقال الكابتن ..

ـ حسناً .. أحضر كلباً .. وأحضر أيضاً بعض شرائح الكبد بدلاً من «بطارخ» السمك ..

وذهب الطباخ ليحضر شرائح الكبد فرأى كلباً صغيراً بالقرب من الساحل .. فهتف به وأعطاه بعض قطع العظم وسرعان ما أقنعه أن يصعد معه الى ظهر السفينة ..

مر وقت قبل أن يشم الكلب رائحة القط وأخذ يتجول فى السفينة بحثاً عنه .. وفى هذه اللحظة كان القط والفار ذاهبين الى مؤخرة السفينة ليستمتعا بالشمس .. عندما انقض الكلب على القط وأمسكه من ذيله ورفع مخلبه لكى يهوى به عليه .. ولكن القط قال له ..

ـ لو أنك وعدت أنك لن تؤذينى سوف أدلك على مكان تجد فيه الكثير من شرائح الكبد اللذيذة ..

فكر الكلب قليلاً ثم قال ..

ـ حم .. حم اتفقنا ..

قال القط ..

ـ انتظر إذن معنا حتى المساء وسوف ندلك عليها ..

وفى الليل . ما إن بدأت الفرقة الموسيقية فى العزف حتى تسلل الثلاثة الى المطبخ . وانقض كل واحد منهم على الطعام الذى يفضله .. وبعد أن فرغوا من الطعام كانوا قد أصبحوا أصدقاء مدى الحياة ..

وفى اليوم التالى خرجوا الى سطح السفينة كى يستمتعوا بالشمس وسرعان ماصاح الفار ..

ـ إنتبهوا الكابتن قادم ومعه الطباخ. جرى الثلاثة واختبأوا تحت المقاعد .. وسمعوا الطباخ وهو يقول فى غضب ..

ـ لقد فعلتها هذه الحيوانات ثانية .. لقد أكلوا شرائح الكبد .. والبطارخ .. والجبن .. يجب أن نتخلص منهم ثم نصنع فخاً للفار ..

وقال الكابتن ..

ـ لايوجد إلا المشاكل اليوم .. ماذا أفعل مع حيواناتك هذه .. لقد تركت الفرقة الموسيقية الآلات ورحلت بعيداً .. ماذا أفعل فى الحفلة الموسيقية التى سوف نقيمها الليلـة ..

وانصرف الرجلان وهما يفكران فى حيرة .. ونهض الفار من تحت المقعد وهو يهتف بهما ..

ـ هل سمعتما .. إن الكابتن والطباخ ينويان التخلص منا ويجب أن نفعل شيئاً لنوقف ذلك .. لدى فكرة ..

وقال القط ..

ـ هيا .. أخبرنا بها ..

قال الفار ..

ـ نحن نستطيع أن نعزف الموسيقى .. لقد راقبت الفرقة كثيراً وهى تعزف واستطيع أن أعلمكم كيف تفعلون ذلك ..

وهتف الاثنان فى صوت واحد ..

ـ فكرة عظيمة ..

وجاء الليل .. وكانت ليلة هادئة تماماً .. واخذ الناس يتساءلون لماذا لاتوجد موسيقى .. ؟

وفجاة ارتفعت أصوات الموسيقى عالية .. وازدادت سرعة الايقاع .. وهتف الناس ..

ـ يالها من فرقة موسيقية رائعة .. وأسرعوا بالذهاب ليروا من يعزف وقد ارتفعت الضحكات من كل أرجاء السفينة .. وجرى الكابتن والطباخ أيضاً .. وفى البداية كان يعتقد أن الفرقة قد عادت الى السفينة .. ولكنه توقف مدهوشاً .. كان القط يتقافز فوق البيانو ويدوس المفاتيح بقدميه وكان الكلب يعزف على الكمان كالموسيقى الحقيقى ..

وقال الكابتن فى دهشة ..

ـ ولكن الجيتار .. يبدو كأنه يعزف من تلقاء نفسه ..

وسار الى الجيتار والقى عليه نظرة قريبة ثم هتف فى الطباخ ..

ـ انظر .. انه الفار الصغير يعزف على الجيتار ..

وقال الطباخ فى غيظ ..

ـ هذه الحيوانات السيئة الأدب سارقة الطعام ..

وقال الكابتن ..

ـ كلا .. كلا .. انها ليست سيئة الأدب وليست سارقة منذ الآن سوف نطعم هذه الحيوانات اللطيفة .. سوف تحضر الجبن للفار .. والبطارخ للقط .. وشرائح الكبد للكلب .. سوف نبذل جهدنا حتى لانفقد هذه الفرقة ..

ونظر الثلاثة الى بعضهم فى سعادة .. وعادوا للعزف .. ولم يعودوا للسرقة بعد ذلك .



البخيلة

مسرحية شعرية مجهولة لأمير الشعراء أحمد شوقي

الفصل الثالث

المنظر الثاني

رسوم : جمال قطب



(فى منزل المرحومة الست نظيفة . تظهر حسنى فى ثوب اسود)

حسنى : (لنفسها)

عينى .. احق اننى فى منزلى ؟!
لا .. كان لى فوهبته لجمال
غاليت فى شعب الفؤاد بحبه (٥٢)
حتى وهبت له الثمين الغالى
اعطيته ما كان (٥٣) اصبح فى يدى
من مال جدته .. فليس بمالى
لم يرض قلبى أن اعيش سعيدة
ويعيش فى بؤس ورقة حال
أتراه يقدر (٥٤) خدمتى ومحبتى
او لا يمر له الصنيع ببال
رحمة الله على سيدتى
وسقى الله ثراها وجزاها
حرمتنى الشاش حتى ذهبت
فكستنى الخز (٥٥) فى الموت يداها
وحمتنى الماء حتى احتجبت
فسقيت الشهد من فيض نداها (٥٦)
صار لى من بعدها منزلها
والدكاكين .. والت ضيعتاها (٥٧)
ثروة قد نهض الجوع بها
ومشى الحرمان فيها فبناها
وهبت لى كل ما قد ملكت
لم تدع من ذاك شيئا لفتاها

(بعد (٥٨) لحظة)

لا .. ذاك مال جمال
تركته لجمال
وعدت ما كنت من قبل (٥٩)
فوطتى هى مالى

اجل انا الخادم والطاهيه
وما انا السارقة (٦٠) الباغية
ولا على الناس طفيلية
اجعل اموالهمو ماليه

سمعت حديث البخل حتى صحبته
زمانا .. اراه كل حين واسمع
يروح ويغدو بين عينى صورة
وياتى خيالى بالحياة ويرجع

سيدتى وبخلها
فى الخط سارا كالمثل
وانتقلت وذكرها
بالبخل فيه ما انتقل
يرحمها الله فما
انسى (٦١) لها تلك الجمل
فى غضب عند الحوار
واضطراب .. وزعل (٦٢)
وما اختلفنا مرة

ملخص ما نشر

الزمان : غداة استقالة اللورد كرومر ورحيله عن مصر عام ١٩٠٧ .
المكان : مقهى «المالية» بميدان «لاظوغلى» بالقاهرة .

يرفع الستار عن جماعات من رواد المقهى يثرثرون فى موضوعات شتى ، ومن بين هؤلاء نجد «جمالا» بطل المسرحية ، يجلس مع احد السماسرة الذين يترددون على المقهى ليغرروا برواده .

و «جمال» هذا ، هو حفيد الجدة الثرية البخيلة «الست نظيفة» ، وسوف تؤول اليه ثروتها الهائلة عما قريب ، فهو وريثها الوحيد ، وهى عجوز بلغت من الكبر عتيا ، ومالت شمس عمرها الى المغيب ، وتلوح فى افق المسرحية شخصية اخرى ، هى شخصية «عزيز» ، ابن نقيب الأشراف وسليل الأسرة العريقة التى جار عليها الزمن وبدل نعيمها بؤسا وترف عيشها شظفا ، ولعزيز هذا اخت جميلة اسمها «زينب» ، لا تظهر فى المسرحية وإن تردد اسمها كثيرا . وينظر السمسار فيجد امامه صفقة مربحة ، عزيز واسرته يحتاجون الى المال ، وجمال يحتاج الى عروس جميلة عريقة المحتد ، فيبذل قصارى جهده ليقنع جمالا بالزواج من زينب مطريا له على جمالها مبالغا فى عراقة ارومتها ، ومن جهة اخرى يقنع عزيزا بالموافقة على هذه الزيجة حتى تنفرج ازمتهم المالية على يد جمال وما سيرثه من ثروة هائلة بعد وفاة جدته ، ولا يترك ايا من الطرفين إلا بعد ان يكون قد البس هذا عمامة ذاك . كما تلوح ايضا شخصية جديدة كوميدية ، هى شخصية الطبيب «عبد السلام» الذى يتصف بالبخل والخمول والخيبة . وحين يهبط ستار الفصل الاول ، يكون هذا الطبيب قد اشتبك فى مشادة كلامية مع شقيق احد المصابين ، هذا يريده ان يهب لعلاج صديقه ، وذاك يقعده الكسل والخمول .

وفى الفصل الثانى نتعرف على «الست نظيفة» ، هذه الثرية البخيلة التى تدور حولها احداث المسرحية ، ونتعرف ايضا على خادمتها الشابة «حسنى» ، ومن الحوار الذى يدور بين السيدة والخادم ، نلمس مدى تقتير هذه السيدة حتى إنها لتضن على نفسها وخادمها بالقوت الكافى وتابى إلا ان تعيش وإياها على الكفاف . وتنكشف لنا فى هذا الفصل طبيعة العلاقة بين جمال وجدته ، فهى لا تعطيه إلا اقل القليل لينفق به على نفسه ، حتى اضطرته الى ان يسرق كيس نقودها عندما وجده امامه صدفة . ويدخل الحفيد مع جدته فى حوار طويل نعرف منه ان البخل صفة متاصلة فى هذه الأسرة . ونكتشف ان جمالا يكتشف اسرار جدته ويعرف الأمكنة التى تخبىء فيها الذهب والنقود . وفى نهاية الحوار يثور عليها ويعلن تمرده ورفضه لثروتها ، ويخبرها انه لن يحتاج لمساعدتها فى الزواج . فقد اقترض مبلغا من المال وعقد خطبته على زينب بنت النقيب .

اما عن علاقة جمال بحسنى الخادم ، فاننا نعرف من خلال الحوار ، ان حسنى تحب جمالا ، حتى انها لتتستر عليه حين راته ياخذ كيس النقود معرضة نفسها لشكوك الجدة . ولكن جمالا لا يريد إلا ان يلهو معها ويسترق معها اية بادرة للمتعة . وبالفعل ينفرد بها ويراودها ، فتمتنع عليه . وينتهى الموقف بحضور الجدة . ويهبط الستار .

وفى الفصل الثالث والاخير ، يبدا المنظر الاول وقد رقدت الجدة طريحة المرض ، وتتوافد الزائرات والجارات على حسنى .. فمنهن مرجانة وخضرة وزهرة وبنبة ، وياتى الدكتور عبد السلام ، ذلك الطبيب الفاشل ، ومن خلال الحوار نعرف أن هؤلاء الزائرات العائدات ما جئن إلا ليتخلصن من هذه الجدة البخيلة ، وبالفعل يقمن اليها وهى تحتضر ، فيجمعن بعض النقود ويخشخشن لها بها عند اذنيها ، اعتقادا منهن ان صوت النقود يعجل بموت اى بخيل محتضر وياتى جمال فيشترك معهن .. الى ان تفيض روح الجدة ، فيهبط الستار .

البخيلة

فى حمل ولا جمل
لكن لاجل الثوم كان
الخلف (٦٣) أو حول البصل
ولم تكن من الدقيق
تنتهى ولا العسل

يرحمها الله وإن
لم تات (٦٤) يوما بحسن
عاشت بثوب واحد
كالميت عاش بكفن
اما انا .. فالشاش او
ما دون ذاك فى الثمن
وبذلتى (٦٥) وفوطتى
طال عليهما الزمن
وأجرتى عشرون قرشا
مع كثرة المهن
البئر (٦٦) لا ابرحها
خارجة وداخله
صاعدة كالدلو كل
ساعة ونازله
طباخة اصنع من
لا شيء شيئا .. فاكله
وانحنى على البلاط
كل حين اغسله
وكل دكان (٦٧) على
اجرها احصله

(تدخل زهرة)
زهرة : العوافى يا ابنتى
حسنى : من جاءنا ؟
خالتى زهرة ؟ أهلا مرحبا
ادخلى
زهرة : (لنفسها .. فى حسد وحقد)
يا لك من طباخة
نثر الحظ عليها الذهبا
(ثم لحسنى)
يا هناك (٦٨) المال حسنى
حسنى : مال من ؟
زهرة : (لنفسها)
هى تخفى

حسنى : بلغوك الكذبا
زهرة : عجبا .. انت إذن لم ترثى
مال مولاتك ؟
حسنى : لا .. لا . عجبا
انا يا خالة لست (٦٩) لصة
لعن الله الغنى المغتصبا
زهرة : إن للجيران حسنى
السنا تهذى طوالا
حسنى : ما الذى قالوه ؟
زهرة : قالوا :
انت جردت (٧٠) جمالا
حسنى : كذبوا والله لم المس
له باليد مالا

(تخرج زهرة وتتبعها حسنى . يدخل جمال)
(تدخل حسنى فترى جمالا (٧١))
حسنى : من ههنا ؟ جمال سيدى ؟
جمال : اجل .. انا الغريب فى بيت ابى
انا الذى قد سلبوه ماله
لم يبق من مالى ما لم اسلب
قد ضربتنى فى الحياة جدتى
وفى الممات
حسنى : الف لا .. لم تضرب
اجلس تفضل استرح
هنون عليك سيدى
جمال : لم يبق من مال يا
جدة شيء فى يدى
ضيعت امسى ثم لم
يكف فضيعت غدى
حسنى
حسنى : جمال
جمال : افترقنا
حسنى : كيف ؟ لا ابدا
جمال :
تغير الأمر من حال الى حال (٧٢)
انت الغنية حسنى والفقير انا
المال مالك منذ اليوم لا مالى
حسنى : المال يا جمال ؟ الفقر ؟ الغنى ؟
ماذا تقول سيدى ؟ ماذا جرى ؟
جمال : اليس حرمانى لونا متقنا (٧٣)
طبخته انت وجدتى معا ؟
لا تجمعى القتل على والبكا
حسنى دعى الخبث ولا تجاهلى

حسنى : اتعلم الخبث على والريا (٧٤) ؟
حرمت مم ؟
جمال : من تراث جدتى
حسنى : إذن من الوارث ؟
جمال : انت لا انا
حسنى :
انا (٧٥) اراك سيدى تهزا بى
كفى جمال سخرا (٧٦) منى كفى
اقسم هذا الأمر لم أعمل (٧٧) له
واننى اخر من درى به
جمال :
اما رايت كاتبا معمما
وشاهدين يعملون ههنا ؟
وشيخة تملى عليهم سخفها
تحرم ذا قربى وتعطى أجنبيا (٧٨)
كعين ربوة تخطى خيرها
الى الوهاد (٧٩) مستحقات الربى
حسنى :
جمال سيدى تعال (٨٠) نحتكم
الى الحقوق والصواب والنهى (٨١)
هب ما تقول ياجمال قد جرى
جمال : لقد جرى
حسنى :
حسنى : هات الكتاب فامح ما
تشاء ، واثبت ما تشا (٨٢)
بدل وغير فى كتاب
وقفها (٨٣) كما ترى
انت غناى .. إن غضبت
ما انتفاعى بالغنى ؟
امضى فابغى سيدا
او ابتغى سيدة اطهو لها (٨٤)
جمال : ماذا ارى؟ تبكين حسنى ؟ مم ؟
حسنى : لا (٨٥)
جمال : كفى ابنتى كفى بكى
حسنى :
خذ مالها وخلنى أعيش كما (٨٦)
كنت اعيش اولا
جمال (٨٧) :
بحياتى قولى (٨٨) الحقيقة حسنى
اتحبيننى ؟
حسنى : أجل .. ملء قلبى
جمال : مثل حبى ؟

حسنى : جمال .. احببتنى اليوم ؟
جمال : قديم وحق عينيك حبى
كنت اهواك طفلة تملأين البيت
والحوش (٨٩) من صياح ووثب
كنت أهواك طفلة (٩٠)
فى الكوانين نافخة
كنت أهواك خادمة
كنت أهواك طابخه
(ثم يمسك يدها ويقول) :
كم اشتهيتها (٩١) يدا
ما فرغت من العمل
كنت (٩٢) اراها كيد الملكة (٩٣)
أهلا للقبل
واشتهى رائحة الثوم (٩٤)
عليها والبصل
حسنى : سيدى أنت خطبت (٩٥)
جمال : لا
حسنى : نعم
بل خطبت امراة ذات يسار
وأبوها كابر (٩٦) ذو لقب
وله زرع وضرع وعقار (٩٧)
جمال : وما تريدين حسنى ؟
انفض اليد منها ؟
الله رب جمال
يغنيه عنك وعنها
(امراة تريد الصعود)
المرأة : أأحد فى المنزل ؟
جمال : (من أعلى)
من هذه ؟
المرأة (٩٨) : أم علي
أنت هنا يا سيدى ؟
جمال : أجل تفضلى ادخلى
أم علي : (تصعد)
دستوركم (٩٩)
جمال : تفضلى
لا أحد فى المنزل
حسنى : (لجمال)
من ؟ تلك من ؟
جمال : امراة
من بيت أصهارى الجدد
صديقة قديمة
فى كل أمر تجتهد

حسنى : ماذا تريد يا ترى ؟
جمال : الآن نعلم الخبر
اما أنا فليس لى
فى بنت إنسان وطر (١٠٠)
حسنى : كرهت سيدى الغنى ؟
جمال : أجل
حسنى : وهكذا أنا
(ثم وهى خارجة)
لا يأخذ الانسان من
دنياه إلا الكفنا
(تدخل أم علي)
جمال : يا مرحبا أم علي
ماذا حملت من خير ؟
أم علي : كنت رسول الصفو واليوم
أتيت بالكدر
جمال : ماذا ؟
أم علي : اصغ يا سيدى
أم العروس جنت
جمال : كيف ولم أم علي ؟
أم علي : تريد فسخ الخطبة
جمال : كذا أنا
أم علي : وأنت أيضا ؟
جمال : تلك كانت نيتى
قد سمعت لا شك أنى
قد خسرت ثروتى
قد علمت بأننى
قد حرمتنى جدتى ؟!
أم علي : أجل
جمال : فقالت مفلس
ليس يليق لابنتى (١٠١)
أم علي :
وهذه (الشبكة) يا سيدى
انظر .. تأمل .. خاتم لا يعاب
وهذه قيمة ما جاءنا
من سبت النقل (١٠٢) وغالى الثياب
خمسون .. خذها .. عد .. من عادتى ..
جمال : (يأخذها)
أن تغلطى (١٠٣) يا خالتى فى الحساب
(ثم ينتهى من العدد)
أم علي : هى خمسون سيدى ؟
جمال : هذه خمسة لك

اذهبى .. لست ناسيا
أبد الدهر فضلك
(تخرج أم علي ثم تدخل حسنى) (١٠٤)
جمال : (بعد أن يراها)
رباه ما ذاك ؟ تلك حسنى ؟!
من أين حسنى ؟!
حسنى : من الستاره (١٠٥)
سمعت ما قالت العجوز
ولم تفتنى لها عباره
خذ سيدى (١٠٦)
جمال : ما ذلكا ؟ (١٠٧)
حسنى : ذلك وقف (١٠٨) أسرتك
(تناوله ورقة)
كانت شروط (١٠٩) الوقف لى
فاستعملت لخدمتك
وما ظننت ثروتى
ما كان غير ثروتك
ذاك اتفاق قد جرى
بينى وبين جدتك
ما أرصدت (١١٠) لجهتى
حولته لجهتك
جمال : جدتى فى مماتها
برة بى ومحسنه
فعلت فى (١١١) فعلة
نبهتنى من السنه
ساء فى المال مذهبى
فرأت أن تحسنه
وأنت حسنى .. أتحبيننى ؟
حسنى : أأنت فى ذلك ترتاب ؟
قد كنت دنيا مغلقا بابها
دونى .. فكيف انفتح الباب ؟
جمال : الآن حسنى أقبلى
نجر حديث ما مضى
كيف وجدت جدتى ؟
وما مكانى عندها ؟
حسنى : تحبك الحب الذى
كانت تحبه (١١٢) ابنها
وتكتسى إن غبت عنها
أو بعدت الولها
تكاد لا تسمع إن
غبت .. تكاد لا ترى

البخيلة

جمـال : فما لهـا كانت تذيقنـــــي
.. الجفــاء مالهـــا ؟
فلو سالتهـا العمـــــى
ضـــنت علـــى بالعمـــى
حسنى : سيدتى بخيلة
جمـال : أعلـم ياحســــنى بـــذا
وهــى إذا قيســــت الـى
جدى .. كالغيث نـدى (١١٣)
علمهــا جـــدى .. وكــان
.. اجمـــد النـاس يـــدا
حسنى : وانـا ايضـا ســـيدى
اصـــبت بالبخـــل أنـا
جمـال :
حنانيك ١١٤ ماذا قلت حسنى ؟ أخفتنى
اقدر ربى ان يطـول عذابـــــى ؟!
أأعداك حسنى بخل جدتى (١١٥) ؟ اننى
إذن من مصاب صائـــر لمصــــاب
حسنى :
لا تخش (١١٦) بخلى سيدى .. لست من
تبخل فى حـــق .. ولا واجــــب
جمـال : ويحى ! .. اارميك بالبخـــل ؟!
قبـح اللـــه ظنـــى
وقـد رايـــت بعينـــى
وقـد ســـمعت باذنـــى
فانت (١١٧) ارجعت مالـــى
وكان قد ضـــاع منـــى
فمـا سـوى اللـــه حســـنى
مهـــــــرى ؟ ترانــــــا
يقـــدر يجزيـــك عنـــــى

ستجمعنا الدنيا غدا .. كيف يا تـرى
يكون طعامــــى او يكون شرابـــى
حسنى : سنشرب المـاء فى اوان (١١٨)
غالية حلـــوة نضيدة (١١٩)
جمـال : وبيرة ظهر كل يوم (١٢٠)
حسنى : توضع فى الثلج والبروده
جمـال : والأكل ؟
حسنى : ما شـئت من شـــــواء
ومن دفين ومن عصيده (١٢١)
جمـال :
نسيت شيئا وليس ينسى (١٢٢)
حسنى : ما ذلك (١٢٣) ؟
جمـال : الباميــه الجديـــدة (١٢٤)
هــذه الشــــبكة التـــى
ارجعتهـــا المغفلـــــة
خاتـم (١٢٥) قـد وضعتـــه
فى البنـــان (١٢٦) المقبلـــة
(يلبسها الخاتم ويقبل يدها)
حسنى : والمهر ؟
جمـال :
(يشير (١٢٧) الى النقود المردودة (١٢٨))
.. تــلك هـــى لـــك
اعطـــى جمـــال مـا ملك
ما المال مهرا للمـــلك (١٢٩)
حسنى : ومهرك سيدى ؟
جمـال :
تزوجنا على دين النصارى ؟! (١٣٠)
؟ ... حســــنى المـــزاح ..
حسنى : اقول جدا
ولم تابى ؟ اتحسب ذاك عــــارا ؟!
وكم من مســـلمات سقن مهـــرا
وإن دعى الأبـاعـــد والعقـــار (١٣١)
جمـال : إذن هاتى (١٣٢) اذكرى مهرى
وســـميه علـــى قـــدرى
فقـــد تعطيننــــى قرشـــا
وقرشـــين ؟! ومـــا ادرى ....
حسنى : بل الدنيـــا وما فيهـــا
وما جـــل عـــن الحصـــر
جمـــال .. انزل الى البئـــر
تجـد مهـــرك فى القعـــر
جمـال : مهرى فى البئر ؟
حسنى : اجل
جمـال : كيف هوى (١٣٣) .. كيف نزل ؟!
انزلهـــا ؟! هـــذا خبـــل
حسنى : ننـزل إن شـــئت معـــا
لكـــى اريـــك الموضعــــا
هنـــاك تبصـــر العجــــب
جمـال : ما ذاك ؟
حسنى : صـــــندوق خشـــــب
ممتلىء من الذهــــب (١٣٤)
جمـال : هنـــاك الذهـــب الحلـــو
إذن طيـــرى بنـــا طيـــرى
قبلـــت المهـــر يا حســـنى
الى البيـــر الى البيـــر (١٣٥)
انتهت الرواية (١٣٦) ستار

البخيلة

تعليقات وهوامش حول الفصـل الثالث

يكتبها : حســن طلـب

(٥٢) الصياغة الصحيحة ينبغى ان تكون : «غاليت بحبها فى شعب الفؤاد» . والشعب (بكسر الشين المضعفة) : السهل المنبسط يكون بين جبلين فيضرب فيه القوم خيامهم
وانخفاض مستوى الشعب ، يجرى فيه الماء فتخضوضر ارضه ويكثر نباته
(٥٣) فى الأصل «ما كان لى» . فحذفنا «لى» ليستقيم الوزن .
(٥٤) قدر (بالقاف والدال المفتوحتين) الشىء قدرا : عرف مقداره وبين قيمته ومنزلته ، يقول تعالى : «وما قدروا الله حق قدره» .
(٥٥) «الخز» : نسيج يتخذ من (الابريسم) ، وهو الحرير الخالص .
(٥٦) فى الأصل «مداها» ، وهو تصحيف .
(٥٧) «الت ضيعتاها» : فى الأصل «البت» وهو تصحيف . والضيعة : الأرض الخصبة الكثيرة الغله ، وتطورت فاصبحت تطلق على مساحة
(٥٨) فى الأصل «بهد» . وتداركها المصحح المجهول .
(٥٩) اراد : «وعدت كما كنت من قبل» . فخضع للضرورة الشعرية واخل بالمعنى .
(٦٠) فى الاصل «السرقة» وهو تصحيف به ينكسر الوزن .
(٦١) فى الأصل «انس» وهو خطا .
(٦٢) الزعل (بالزاى المضعفة المفتوحة والعين المفتوحة) ، هو النشاط وخفة الحركة . اما «الزعل» بمعنى الغضب فمولدة .
(٦٣) الخلف (بضم الخاء وتسكين اللام) ، اسم من الإخلاف ، وهو مصطلح فلسفى استخدمه فلاسفة المسلمين فيما يسمى ببرهان الخلف ، ويعنى التناقض الذى لا يقبله العقل ، لانه ينطوى على استحالة منطقية . والمراد هنا : الخلاف بمعنى النزاع .
(٦٤) فى الأصل (تاتى) ، وهو خطا .
(٦٥) «البذلة» ـ بكسر الذال ـ ما يبتذل من الثياب فى العمل دون ان يصان ، جمعها : بذل ثم تطورت لتعنى الحلة الفاخرة القشيبة .
(٦٦) ذلك انها تخبىء فيها الذهب ، فلزمتها خوفا على مالها .
(٦٧) «الدكان» كلمة معربة بمعنى الحانوت ، ولم ار وجها لتانيثها هنا .
(٦٨) «يا هناك» : مطموسة فى الأصل .

(٦٩) «لست لصة» : لا يستقيم الوزن الا باشباع ضمة «لستَ» .
(٧٠) جرد فلانا من الميراث : حرمه نصيبه منه .
(٧١) فى الأصل «جمل» بالرفع ، وهو خطا .
(٧٢) ماخوذ من البيت الشهير :
«ما بين طرفة عين وانتباهتها   يغير الله من حال الى حال
(٧٣) كلمة «متقنا» مطموسة فى الاصل .
(٧٤) حذف همزة «الرياء» لتحقق قافيته
(٧٥) فى الاصل «ان» وهو تصحيف .
(٧٦) ينبغى تحريك خاء «سخرا» ليستقيم الوزن .
(٧٧) فى الاصل (اعمل) ، وهو تصحيف
(٧٨) «اجنب» و «اجنبى» بمعنى واحد . والجمع اجانب .
(٧٩) «الوهاد» جمع «وهدة» ، وهى الأرض المنخفضة
(٨٠) فى الاصل «تعالى» ، وهو خطا .
(٨١) «النهى» جمع «نهية» ، وهى العقل .
(٨٢) حول الف القطع فى «أثبت» الى الف وصل . وخفف همزة «تشاء» للضرورة الشعرية .
(٨٣) «الوقف» فى الفقه : حبس العين على ملك الواقف او فى سبيل الله .
(٨٤) و (٨٥) و (٨٦) كل شطر من هذه يحتوى على تفعيلة زائدة ، وهى جميعا من مجزوء الرجز .
(٨٧) «جمال» ساقطة من الاصل ، إذ لم تقع تحت ظهر ورقة (الكربون) .
(٨٨) فى الاصل «قل» ، وهو خطا .
(٨٩) حوش الدار : فناؤها .
(٩٠) كان هذا البيت ساقطا من الاصل ، ثم اضيف بقلم الرصاص وبخط رديء . وقراناه بعد جهد جهيد .
(٩١) فى الاصل «كنت اشتهيها» ، وبه يختل الوزن .
(٩٢) مطموسة فى الاصل . واصلحت بقلم الرصاص .
(٩٣) يراعى تسكين لام «الملكة» ليستقيم الوزن .
(٩٤) «الثوم» : نبات عشبى من الفصيلة الزنبقية ، له فصوص شديدة الحرافة نفاذة الرائحة ، يستخدم فى الطعام واغراض الطب . و «الفوم» لغة فيه .
(٩٥) ينبغى اشباع فتحة التاء فى «خطبت» ليتحقق الوزن .
(٩٦) الكابر : الكبير مقاما ومنزلة . وكذلك السيد العظيم او الجد الاكبر . يقول الكميت بن زيد :
انتم معادن للخلا   فة كابرا من بعد كابر
(٩٧) «وله زرع وضرع وعقار» : الضرع : مدر اللبن من المواشى . ويقال : فلان ليس له من زرع وضرع . اى : معدم لا يمتلك شيئا . والعقار بفتح العين . اية ثروة غير منقولة يمتلكها الانسان . كالارض والدور وغيرها ، وهو المراد هنا . وبضم العين : الخمر .
(٩٨) فى الاصل «ام على» بدلا من «المراة» . والتغيير من عندنا . لان الاسم لم يكن قد ورد فى سياق الحوار بعد .
(٩٩) «دستور» او «دستوركم» . تعبيران يستخدمهما العامة للاستئذان فى الدخول او لتنبيه اهل الدار الى ان هناك غريبا داخلا عليها . حتى لا يفاجاوا به .
(١٠٠) فى الاصل «وتر» ، وهو تصحيف يختل به المعنى . والوطر : الحاجة والبغية . يقال : فلان قضى وطره من فلانة : نال مراده منها . ويقول ابو دهبل الجمحى :
قضت وطرا من أهل مكة ناقتى   سوى امل فى الماجد ابن حزام
(١٠١) الصواب ان يقول : «ليس يليق بابنتى» ، يقال لاق الشىء به ليقا ولياقا وليقانا . اى لصق به ، ويقال : لا يليق بك كذا ، اى لا يحسن بك فلا تجعله يلصق بك .
(١٠٢) «السبت» بفتحتين صحفته العامة عن : «سفط» بفتحتين ايضا ، والسفط وعاء تحفظ فيه المراة طيبها وادوات زينتها ، ثم تطور فاصبح يصنع من رقائق الغاب ، وتوضع فيه الزهور ، والمراد هنا : الهدايا التى يحملها العريس لعروسه عند الخطبة .
(١٠٣) يتضح هنا اتجاه احمد شوقى للتبسيط والاقتراب من اللغة الدارجة ، فلو انه قال «تخطئى» بدلا من «تغلطى» لما تغير الوزن ولا المعنى ولكنه اختار الكلمة الاقرب الى العامة .
(١٠٤) فى الاصل : (تخرج ام على) (تدخل حسنى) . فدمجناهما .
(١٠٥) الستارة هى الستار ، جمعها ستائر ، وجمع الستار : ستر ، بضمتين .
(١٠٦) «خذ سيدى» ، لم تقع تماما تحت ظهر ورقة (الكربون) . فاختفت نصف حروفها .
(١٠٧) فى الاصل «ما ذاك» وبها يختل الوزن .
(١٠٨) «ذلك وقف اسرتك» . انظر الهامش (٨٣) .
(١٠٩) فى الاصل «تروط» ، وهو تصحيف .
(١١٠) ارصد الشىء له : أعده وهياه ، وارصد الحساب : اظهره واحضره .
(١١١) «فعلت فى فعلة» : تعبير دارج ، و «الفعلة» المرة من العمل ، ويشار بها الى الفعلة المستنكرة ، وفى القرآن :
«وفعلت فعلتك التى فعلت وانت من الكافرين» .
(١١٢) اراد : تحبه لابنها .
(١١٣) فى الأصل «ندا» ، والصحيح ما اثبتناه .
(١١٤) «حنانيك» : مطموسة فى الاصل .
(١١٥) فى الأصل «جديا» ، وهو تصحيف .
(١١٦) فى الأصل (لا تخشى) ، وهو خطا .
(١١٧) فى الاصل «وانت» بدون همز .
(١١٨) هذا الشطر والذى يليه لم يقعا تحت ورقة (الكربون) فى الكتابة الاولى ، واعيد نسخهما بدون (كربون) .
(١١٩) النضيد : المنسق المرتب ، والمضمود بعضه الى بعض . يقول طرفة ابن العبد فى وصف ناقته :
وطى محال كالحنى خلوفه   واجرنة لزت بداي منضد
(١٢٠) فى الاصل : «كل ظهر يوم» . وما اثبتناه افصح وابلغ .
(١٢١) الدفين والعصيدة طعامان ، اما الدفين فهو اللحم يدفن فى الأرز ويطهى حتى ينضج ، واما العصيدة فهى الدقيق المسلوق الملتوت بالسمن ، والجمع : عصائد .
(١٢٢) فى الاصل : «نسيت حسنى ما ليس ينسى» . وتدخلنا فى إعادة صياغتها بهذا الشكل ليصلح الوزن .
(١٢٣) فى الاصل «ما ذاك» ، وهو مخل بالوزن .
(١٢٤) ارجع الى حديث الباميا فى الفصل الاول . و «الشبكة» بمعناها المحدث : الهدية يقدمها الخطيب لخطيبته اعلانا للخطبة .
(١٢٥) فى الاصل «خاتما» ، ولم نروجها لنصبها إلا على التخريج .
(١٢٦) «البنان» جمع «البنانة» ، وهى طرف الاصبع .
(١٢٧) فى الأصل «وبشير» .
(١٢٨) فى الأصل (المرتدة) .
(١٢٩) «الملك» بفتحتين : واحد الملائكة . وهو كائن ذو جسم لطيف نورانى كما جاء فى الكتب المقدسة . والعامة تقول : الملاك .
(١٣٠) لم يقع لى ان فتيات النصارى هن اللائى يقدمن المهر لفتيانهن ، وما اعلمه ان الفتى والفتاة منهم ، يتعاونان معا فى تاثيث عش الزوجية .
(١٣١) «وإن دعى الاباعد والعقارا» : الاباعد جمع «ابعد» . وهى صفة يكنى بها عن الاسم عند الذم فقط ، يقال : لعن الله الابعد . وفى الحديث ان رجلا دخل على الرسول فقال : إن الابعد قد زنى ، يريد نفسه . ولكن هذا المعنى ليس هو المقصود هنا ، ولعل شوقى اراد الكلمة العامية «الأبعدية» فجمعها على «الاباعد» . والابعدية تعنى عند العامة : الضيعة . فيكون المعنى ان هؤلاء المسلمات يسقن المهور الى خطبانهن . ويغلين فيها حتى لتشتمل على العقارات و «الابعديات» .
(١٣٢) فى الاصل «هات» ، وهو خطا .
(١٣٣) فى الاصل «هوا» ، وهو خطا املائى .
(١٣٤) يقال : ممتلىء بالذهب ، وليس منه . على ان العرب جروا على ان يبدلوا هذا الحرف بغيره من حروف الجر . ومما جاء فى استخدام «الباء» بمعنى «من» قول عنترة :
شربت بماء الدحرضين فاصبحت   زوراء تنفر عن حياض الديلم
اراد : من ماء الدحرضين .
(١٣٥) خفف همزة «البئر» لتتحقق القافية .



بريخت فى بريطانيا

● مازالت اعمال بيرتولد بريخت ، الشاعر والمسرحى الألمانى ، تعامل بقدر من التحفظ فى بلاد الانجليز لصعوبة تصنيفه والوثوق فى سلامة التعامل مع أعماله التى تغشى دنيا السياسة والمال والهموم القومية والالتزام الشخصى . ومازال بريخت فى بريطانيا وقفا على قلة العارفين به مسرحيا ، وشعره اقل حظا من مسرحياته

رغم انه كان يامل ان تتجاوز شهرته كشاعر كونه مبدع مسرح طليعى .

ولذا اعتبرت الساحة الثقافية ببريطانيا قيام صهره ايكهارد شال بتقديم قراءة لبعض اشعاره واغانيه فرصة ذهبية للتعريف بهذا الجانب من ابداع بريخت .

والهرشال عضو فى فرقة مسرح برلين ومشهود له بقدرته الهائلة على تفجير امكانيات اسطورية فى الأداء المنفرد .. ويشعر من يستمع اليه فى قراءته لاشعار بريخت بانه مقذوف به الى عالم لا يطمئن المرء فيه الى شىء سوى عزم الانسان وتصميم ارادته على البقاء باى ثمن . وذاك هو جوهر عالم بريخت الشعرى .

اشباح هاملت

● صدر من دار نشر جامعة كمبردج كتاب جديد حول تصور النقاد والكتاب المعاصرين للشخصية الغامضة لبطل ماساة شكسبير «هاملت .. أمير الدنمارك» .

وينظر كاتبه مارتن سكوفيلد فى مواقف نقاد محدثين من امثال مالارمى ولافورج واليوت وجيمس جويس و د. هـ . لورنس وكير كجارد وكلوديل وبول فاليرى وفرانتز كافكا .. من شخصية (هاملت) وارائهم فى المسرحية .. قبل ان يخلص الى جملة اراء خاصة به ، وربما كان أهم جزء فى الكتاب هو ذاك الذى يبحث فى مدى حقيقة (الشبح) فى المسرحية ومدى احساس هاملت بانه ملزم بالوفاء بما امر به شبح والده القتيل .

وكان ملارمى يرى فى الأمير هاملت بطلا روحيا يبحث عن الحقيقة والنظام .. ويعتبر المسرحية تاملا شكسبيريا مداره مشكلة الفعل . اما كلوديل فهو يرى ان هاملت لا يفعل اكثر من القيام بدور ، وانه فقد الاحساس بالعالم المحيط به . وبالنسبة لبول فاليرى فان هاملت ممثل العقل الحديث فى كل مظاهره ، مع التواءة اضافية هى ما يخالطه من جزئيات من الثقافة السابقة .. والنظرة هذه تمهيد لراى ت .س . اليوت واقتباساته المضمنة فى قصيدة «الأرض الخراب» .

كان كيركجارد دنماركيا كهاملت ، الأمر الذى ساعده على استبطان شخصيته ، فوجدها مثالا للرعب الذى يلعب دورا مركزيا فى تفكير هذا الفيلسوف الوجودى . ولكن المسرحية لم تتح له مجالا ليتعمق الشك الدينى لخلوها منه .

وكان كافكا بطبيعته مهيئا للتعاطف مع هاملت وعلاقته بابيه وتافقه من الجنس ، وذلك على عكس اليوت الذى كان ينظر الى هاملت كبطل وابله ، كما مثله فى قصيدة «بروفروك» .

ويبدو ان د . هـ . لورنس ـ الذى لم تعرف عنه قدرة على النقد ـ لم يجد فى (الشبح) ما يرفعه الى بؤرة الاهتمام .. ولم يكن مرتاحا لطبيعة هاملت المتمزقة .

ويؤخذ على السيد سكوفيلد اهماله لشاعرين لموقفيهما الرومانتيكى من هاملت ، وهما باسترناك واخماتوفا ..



نابوكوف ناقدا

● «محاضرات فى الادب» هو حصيلة السنوات ١٩٤١ ــ ١٩٤٨ التى قضاها فلاديمير نابوكوف محاضرا فى كلية ولليسلى بامريكا قبل ان يهنا بالعيش الرغد من ريع روايته «لوليتا» .



وفى كتابه هذا ــ ٣٨٥ صفحة ــ يعيد نابوكوف صياغة محاضرات ادارها حول اعمال فنية بريطانية وفرنسية والمانية هى «مانسفيلد بارك» لجين اوستن ، و «بيت الرعب» لشارلز ديكنز و «مدام بوفارى» لفلوبير و «المسخ» لكافكا و «يوليسيس» لجيمس جويس و «جيكل والسيد هايد» لروبـرت استيفنصون حيث يبـــدى نابوكوف اعجابه بالعمل الخيلى الذى هو جوهر نظرته الادبية .

ومجمل راى نابوكوف فى هذه المحاضرات هو ان العمل الأدبى مجرد «فقاعة هواء» ، ولا يمكن مناقشته إلا وفق شروطه . وكما قال عن فلوبير «فان عالم الروائى هو عالم الخيال بمنطقه الخاص وقواعده وتقاليده الخاصة به» وهو موقف ادبى يعتمد اكثر ما يعتمد على الدراسة المدققة فى النصوص الأدبية ، وعلى مقدرة الناقد فى ابراز مهمة الأدب الأساسية والوحيدة ، والتى هى الاتصال بالاخرين ــ كما يرى نابوكوف .

وتطبع هذه المحاضرات القارىء بان نابوكوف يسخر من فرويد ، ولا يحفل كثيرا بالنقاد الاجتماعيين للأدب من أمثال صديقه ادموند ويلسون ــ ناقد شكسبير ــ وهو موقف يصعب تقبله من أى ناقد جاد للأعمال المذكورة . ولكن ما يجعل قراءة هذا الكتاب امرا شيقا هو ما يتخلله من تعليقات طازجة من نابوكوف .. مثل قوله :

«ولد الادب ذات يوم عندما اقبل صبى يعدو صارخا : «الذئب ! الذئب !» ولكن لم يكن ثمة ذئب يطارده !» .

البحث عن ك

● لأكثر من خمسين عاما ظلت مسالة فرانتز كافكا تشغل الأذهان . وقد صدر كتاب جديد بعنوان «عالم فرانتز كافكا» ليذكرنا بانه

واحد من أولئك المشاهير الذين لا يمكن اهمالهم بتصنيفهم والحكم عليهم ضمن نوع او اخر من انواع الكتاب .

إن شهرة كافكا نفسها ما كانت ستتم لو كان ماكس برود قد استجاب لوصية كافكا باحراق كل مسودات اعماله بعد موته . فهو لم يكسب شهرة فى حياته .. لأن القصص القليلة التى نشرها لم تسهم وقتها كثيراً فى رفع حجاب الجهل به فى حياته المغمورة وظروفها .

وتساعد المادة التى جمعها البروفسير ج . ب . ستيرن بالكتابة ، المتعصبين لها .. للحد الذى يصفها بانها «نوع من الصلاة بالنسبة له ...» وانه يريد ان يكون جديراً بالكتابة فى كل لحظة .. ولكن بعض المقاطع الاخرى فيما اورده السيد ستيرن تبيح لنا ان نعتبر الكتابة بالنسبة لكافكا نوعاً من المرض . فقد خضع لدواعيها ومطاليبها فى سنيه الاخيرة بمثل ما خضع لداء الصدر ولم يكن ثمة استشفاء له منهما .

ويبدو ان كافكا لم يكن يكتب إلا لنفسه .. وان الرغبة فى الاتصال بالآخرين او النشر من اجل الشهرة او كسب الاعتراف به ككاتب لم تلعب إلا دوراً طفيفاً فى هوسه بالكتابة ومع ذلك تبين خطاباته ومذكراته انه كان قادراً على الاتصال مع اصدقائه وانه كان محدثاً رائعاً رغم اقلاله .



خطاب ريغان فى المزاد العلنى !

● بيع خطاب من صفحتين بخط الرئيس الامريكى الجديد بـ ١٢٥٠٠ دولار . وقد كتبه ريغان دفاعاً عن صديقه المغنى فرانك سيناترا بعد ان ابدى بعض خلصائه تذمراً من علاقته بالمغنى الذى تحوم شكوك حول اتصالاته بشخصيات عالم الجريمة المنظمة .

ويقر ريغان فى جزء من خطابه بانه على علم تام بحوادث الشجار مع المصورين فى علب الليل التى يقوم بها سيناترا ، ويصف



ذلك السلوك بانه «سلوك لا يرتضيه ولا يشجع عليه» ولكنه يصر على انه لا يعرف فاعل خير اكثر من صديقه المغنى .

ويعتذر ريغان لانه خط الخطاب بيده بانه كان مضطراً للسفر فى حملة انتخابية .. ولا سبيل له للوصول الى مكتبه لاملائه على سكرتيرته .

وكان اكبر مبلغ دفع من قبل فى خطاب هو ثلاثة الاف دولار .. وذلك عام ١٩٧٧ عندما كتب الرئيس الاسبق ريتشارد نيكسون خطاب شكر الى احد الجنرالات استضاف نيكسون ذات ليلة .



الرجل البهلوان

● ربما كان الحب الأول لبيتر أوتولى هو المسرح .. ولكنه لم يعبر عن حبه ذاك بما يرد عنه غائلة النقاد حين قام بدور «ماكبث» فى مسرحية شكسبير الشهيرة . ان قدراته وموهبته الفذة تتجلى افضل ما يكون التجلى فى دنيا السينما .. وليس ذلك لخلوها من الممثل السينمائى المقتدر، بل لأن بيتر اوتولى يعصف بكل المفاهيم المتعلقة بجودة الأداء فى السينما ؛ فهو يقوم بالأداء امام الكاميرا وكانه امام جمهور قوامه الاف الناس ، وليس مجرد عين واحدة .

وقد ظهر ابداعه فى اكمل صوره فى دور المخرج السينمائى فى فيلم (الرجل البهلوان) .. الذى يمكن اعتباره اكثر فيلم صادف عسراً فى الولادة فى السنوات الأخيرة . فقد رفضت كل استوديوهات هوليود الكبرى دعمه ، وعندما نجح ريتشارد ريش فى انتاجه باموال مستقلة ، رفضت شبكات التوزيع الكبرى فى الولايات المتحدة ان توزعه . ولكن إصرار المستر ريش مكنه من تقديمه فى اكثر من صالة عرض . واصبح بذلك واحداً من اكثر الأفلام التى حظيت بالنقد والنجاح الجماهيرى فى امريكا فى الثمانينات .

وقد استغرق انتاج الفيلم منذ ان شرع فيه ريش وحتى فراغه منه تسع سنوات .. وهو رقم قياسى بالنسبة لمشروع فيلم .

ويقوم الفيلم على كتاب يحكى قصة هارب من الخدمة فى فيتنام .. يظل مطارداً فى امريكا .. حتى يجد نفسه فى شركة انتاج فيلم عن الحرب العالمية الأولى .. ويفلت من مطارديه بان يصبح بديلا للقائم بدور «البهلوان» فى الفيلم ، والذى كان قد تسبب فى موته عن طريق الصدفة .

فهو فيلم عن صناعة السينما ، بالرغم من انه لا يخضع للتصنيف تحت اى نوع من انواع الأفلام المعروفة .



فنانة الثمانينات فى بريطانيا

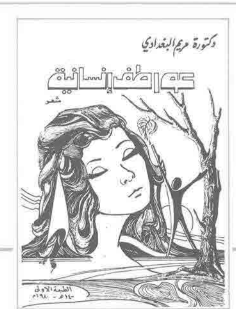
يتوقع نقاد الفن فى بريطانيا ان تتالق بيترا كلارك كواحدة من ابرز الفنانين فى الثمانينات . ولوحاتها فى نظر الخبراء مزيج من اعمال الشاعر والفنان الرومانتيكى وليم بليك والفنان ستانلى سبنسر ، كما ان رسمها يوقظ فى ذاكرة المتلقى رسومات الألمانى البريخت دورر حيناً ، واعمال المثال البريطانى هنرى مور حيناً اخر .

والأخت بيترا ، التى كانت تمارس هواية الرسم والتلوين سرا فى احد الاديرة بالجنوب البريطانى ، تهتم بالتفاصيل الدقيقة ، وتتمتع بقدرة خارقة على الرسم من اية زاوية .. وبجراة فى استخدام الالوان بانطلاق منشرح .



جائزة الشعر

● كانت جائزة الشعر التى تقدمها جامعة ييل الامريكية سنويا من نصيب شاعرين امريكيين هما ماى سوينسون ــ ٦١ عاما ــ وهوارد نيميروف ــ ٦٠ عاما ــ ، تقديراً لمجموعات شعرية لهما تضم حصاد عمريهما الشعرى .





حوار مع شاعرة سعودية :

مريم البغدادي في عواطفها الانسانية

أجرت الحوار : أم أكثم

الحركة الأدبية فى المملكة ناشطة حتى الروعة .. التحول شبه كلى الى الابداع فى مجالات الشعر.. والقصة .. والتشكيل .. ابناء العشرينات والثلاثينات من الجنسين يتسامون على اسباب الترف المبذولة .. التى تلد الاسترخاء .. والتبلد غالبا .. يحولون الحلم كلمات .. والأمل كلمات .. والرؤى الوانا وشعرا .. يعون تراثهم .. يعون التراث الانسانى .. فيغنون به إبداعاتهم .. ويهبون الارواح .. الفرح بنضج مدهش .. وأصالة فى الالتفاتة .. وفى المعالجة .. وحواء هنا .. لا تتسكع فى المؤخرة .. انها تمدح .. تثير غبطة .. تثير حسد العاجز .. قامتها اخترقت السقف العربى الوطىء .. لغتها تحتاج ترجمانا .. لأنها لغة القرن الآتى .. ولغة الحزن الجليل .. والجسارة المدهشة .. لم تعد تعلك لجامها بالصمت الحريمى المخزى .. سقط اللجام .. أسقطته الارادة .. والتوجه اللهيف الى افاق القرن الآتى .. الصحف والمجلات معمورة بقضايا تثيرها المثقفات .. دوما .. أسبوعيا .. يوميا .. وخلال الاسابيع الماضية صدرت عدة مؤلفات كان لحواء فيها نصيب .. ولآدم الذى كان يضرب جبهة شقيقته فى العالم لتتاخر عنه ميلا .. او لتقعى طاعمة .. كاسية .. يكاد يقعدها لولا تشددها إذا تقوم الى جارتها الكسل !!

تصوروا الظلم والظلام الذى كان !!

ومن بين الاصدارات ديوان «عواطف انسانية» شعر الدكتورة مريم البغدادي .. وقد عرف الناشر الشاعرة بانها اديبة سعودية حصلت على شهادة الدكتوراه فى الأدب العربى من جامعة باريس ، وبعد عودتها التحقت بجامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وانضمت الى هيئة التدريس فى كلية الآداب بفرعيها فى جدة ومكة ، ثم فى كلية آداب جامعة الرياض ، وعملت فيها مدة سنتين ، عادت بعدها الى جامعة الملك عبد العزيز بجدة .. وهى الآن وكيلة لكلية الآداب فيها .. ولها مشاركات إذاعية .. حيث تساهم فى كتابة الاحاديث المسائية «الاسلامية والأدبية» فى الاذاعة المحلية .. ونشر لها قصائد فى المجلات والجرائد المحلية وبعض الكتابات الأدبية الأخرى .. تقوم حاليا بترجمة كتاب عن شعراء «التروبادور» من الفرنسية الى العربية ، الى جانب دراسة لبعض مختارات شعرية ونثرية تحليلية من الأدب العربى القديم .

الديوان يتكون من سبع وثمانين قصيدة فى مائة واربعين صفحة .. قدم له وزير الاعلام الدكتور محمد عبده يمانى .. فى الديوان خمس وخمسون قصيدة وجدانية .. وثلاث عشرة قصيدة تغنى فيها حزنها وشوقها لوحيدها عدنان .. وسبع قصائد وطنية من بينها قصيدة رثاء للخالد فيصل بن عبد العزيز .. واربع قصائد تشكو فيها جراحا خلفتها الخادمات فى نفسها .. وقصيدة واحدة ادانت فيها اتفاقية «كامب ديفيد» .. واخرى تدين فيها أحداث الحرم المكى عنوانها «شاهت الوجوه» وست قصائد تتحدث فيها عن قضايا سلوكية و اخلاقية التزمت الشاعرة بالشكل الكلاسيكى التزاما لم تخرج عليه ابدا .. وقد خلت قصائدها من الخصائص التى تكفل للشعر .. للفن فى عمومه السيرورة .. والبقاء الطويل .. الخيال منزوع القوادم ..الصور مسطحة .. بل إنى أعترف أن العنوان ذاته استوقفنى طويلا .. فهو عنوان «آسن» إن صح التعبير .. خال من الايحاء .. وأجدنى مرغمة على مقارنته بالعنوان الذى اختارته الشاعرة السعودية المبدعة فوزية ابو خالد لديوانها «الى متى يغتالونك ليلة العرس» .. الا تعتقدون معى أن العنوان الأخير قدم لكم الشاعرة .. إن «عواطف انسانية» يشعرنى بان الكاتبة امراة ليست لديها الرغبة أو القدرة حتى على محاولة التعبير عن عواطفها بصورة فيها من الحداثة والحيوية والحرارة ما

يجعلنا نرفع وجوهنا نحوها دهشة وإعجاباً .. بينما يدفعنا «الى متى يغتالونك ليلة العرس» الى الاستعداد نفسياً لمواجهة امرأة اطالت أظافرها تحدياً .. واستحالت اعماقها الى موقد يدفعنا لرفع الأكف حماية لأنفسنا من شرره المتطاير .. ولعل هذا ما حبس بعض الذين كتبوا عن ديوان الدكتورة مريم وفي أذهانهم وجوب الرفق بالقوارير في دائرة اللغة ..فوصفوها بالصحة ولم يصفوا المفردة بالجمال والإيحاء .. أما غيرهم أو محرر «الجزيرة» الأدبي على وجه التخصيص فقد استقبل الديوان بمزيج من التسفيل والسخرية المرة مما خرج بمقاله من دائرة النقد الى دائرة التجريح الشخصي .

و .. لم أرد أن أقيم .. لم أرد أن أحاكم المفردة والصورة وأبحث في الديوان عن شروط الفن لأكتب عما أجد .. فضلت أن أقدم الشاعرة .. صاحبة الأثر .. وهي تستحق الحوار لمكانتها العلمية .. ولمشاريعها الأدبية التي لاتزال فكراً لم تتحول الى واقع .. ولمحاولاتها الشعرية التي قدمتها الى الناس ديواناً مطبوعاً .. لم يرضني .. لم يرض مقاييس الفن .. ولكنه يرضي الشاعرة .. ولعله أن يرضي مؤرخ تطور الحركة الأدبية وتارجحها في السعودية .. وقد بدت هذه الحركة ناشطة .. واسعة الخطو واثقة .

الصدى السلبي

و .. كان هذا الحوار :

– ما تعليقك على الصدى السلبي الذي ووجه به ديوانك الأول ؟

● أمر طبيعي أن يكون هناك مؤيدون ومعارضون في نفس الوقت كلما طرح على الساحة الفكرية كتاب أدبي أو ديوان شعري ، وتاريخ الآداب مليء بالأمثلة على ذلك ، واقربها ما نقراه في «الوساطة بين المتنبي وخصومه» (!!!) وغير ذلك من كتب استعرضت هذه السلبيات كما عرضت للايجابيات . ولعل سبب الاتجاه السلبي بالنسبة لديواني ما يتضمنه من قصائد غزلية .. والغزل كما تعلمين قلما يقابل بالقبول إذا كان صادراً عن سيدة ، خاصة وأن بيئتنا الكريمة محافظة ولم تعتد على ذلك إلا من الرجل ، فكيف بي أصرح عن خلجات وعاطفة كان عليها أن ترخي غطاءها وتستتر ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، لم يكن ما كتبه بعض الاخوة نقداً وإنما كان نوعاً من التجريح المنصب على شخصية الكاتبة دون فنها ، وهذا لا يعد نقداً بأية صفة من الصفات ، بل هو عدم فهم لماهية النقد وأصوله ، وهذا يدل على تطاول وجهل وسوء فهم ممن يتصدرون للنقد وليس لديهم سلاحه ، ولم يأخذ بعضهم الأخطاء المطبعية الكثيرة بعين الاعتبار فحاسبوا على ذلك دون تقديرها، وهذا قصور ، فهل سمعت بناقد قد يؤاخذ الأديب على مؤهل علمي أو وظيفي ؟؟ هذا كله ما قوبل به ديواني من سلبية . إنه ليس نقداً أبداً أبداً .

– جميع قصائدك عمودية .. فهل هو موقف من الشعر الحديث ؟

● من حيث المبدأ ، أنا لا أستسيغ الشعر الحديث ، أو على الأقل كثيراً منه، حيث تأسرني الموسيقى الشعرية التقليدية ، والشعر بدون موسيقى لا يسمى شعراً ، وأكثر الشعر الحديث يفتقد عنصر الموسيقى الذي يأسر القلب ويشنف السمع .. فترين كثيراً منه مضطرباً ، له رنة غريبة بعيدة عن الذوق الشرقي ، رغم أن لي محاولات في الشعر الحديث لا أحبها ولا أحب عرضها على أحد لأنني لست مقتنعة بها .. ولعلي أكون على خطأ ، ولكن هذا راجع لذوقي الشخصي .

تفسير للضراعة

– لا أجد أي أثر لدراستك وحياتك في فرنسا على شعرك سواء من ناحية الشكل أو الهموم ، فبماذا تفسرين ذلك ؟

● إذا كنت تقصدين التأثير الفكري ، فإنه لا شك ظاهر في حنايا بعض القصائد ، حتى الصور والعواطف ، فإن تلمستها تجدي أطرافاً منها متناثرة هنا وهناك ، فهناك اللمسات الرومانسية والعواطف المهومة ، وإن كانت الكآبة والحزن الدفين أظهر ما فيها ولعل الغربة أو الاغتراب في دنيا تفيض بالمادية عكس صورة الحزن على كلماتي ، والروح هي عالمي ، وأتوق الى كل ما هو روحاني ، والروحانية غريبة في هذا العصر ، يتيمة تلتمس الحنان وتبحث عنه وتفتقده فلا تجد أمامها سوى الهموم ، والهموم نبع الحزن والألم ، ولذا ينضح شعري بهما .

– من الممكن أن يفسر اتجاهك في شعرك الوجداني بالمازوكية .. أو حب الأذى للنفس .. فهل تجدين أنت تفسيراً آخر لهذه الضراعة التي تصل حد التذلل الذي تقابلين بها الغدر .. والهجر .. والملال ؟

● أعترض أولاً على تعبير «حب الأذى» ، حيث أن المودة والأذى الذي يدل على بغض لا يلتقيان أبداً ، ذلك لأن المحب لا يستطيع أن يؤذي وإلا لما أحب ، إن المودة أيتها الأخت عاطفة سامية مترفعة عن الدنيا وبعيدة عن كل ما يؤذي مشاعر المحبوب ، والمحب الحق بطبيعته متذلل متضرع ، ويجد لذة في تذلله للمحبوب ، لأنه شق نفسه ، ومادام الحب استحسان روحاني وامتزاج نفساني كما يقول ابن حزم ، فلا وجود للأذى من المحب للحبيب ، حيث يؤذي نفسه بهذا لو فعل ، وليست الضراعة أو

● أمر طبيعي أن يكون هناك مؤيدون ومعارضون في نفس الوقت

● جميع القصائد عمودية .. فهل هو موقف من الشعر الحديث ؟

● التأثير العربي هو صاحب الفضل الأول في أشعارنا



التذلل أذى أو حباً للأذى ، بل هما طاعة المحب لمحبوبه ، وقد قال ابن حزم فى هذا المعنى : ــ

ليس التذلل فى الهــــوى مستنكر
فالحــــب فيه يخضــع المستكبر

والهجر يوجبه التذلل على حد قول ابن حزم ، وهو الذ من كثير الوصال ، وإن اضنى المحب والمه ، ولهذا فلا شىء هنا اسمه أذى ، بل هى صفات المحب وعلامات الحب ، وكل حب لا يخلو من هجر وفرقة وصبر وتذلل ، ومع هذا فبكل هذا لذة لا تعدلها لذة إلا حب الله .

الغضب والأمومة

ــ كرست أربع قصائد من ديوانك لذم الخادمات ولعنتهن بغضب وحقد .. اهى تجربة شخصية أم اجتماعية ؟

● أرفض كلمة «حقد» لأن لا مكان له بقلبى ، ولهذا أرضى بكلمة «غضب» تجاه افعال الخادمة التى مررت معها بتجربة مرة ، عرضتنى خلالها لكثير من المشاكل ، إذن هى تجربة شخصية تمثل مشكلة اجتماعية ملموسة فى مجتمعنا الحاضر ، ولا يخلو منها بيت ، ولو بحثت عن ذلك لوجدت مئات الأمثلة على ذلك .

ــ ما هى قصة عدنان ابنك الذى كان موضوعا لثلاث عشرة قصيدة ؟

● إنه ولدى الوحيد الذى اضطررت لفراقه منذ ولادته حتى بلغ الرابعة من عمره نظرا لظروفى العملية والصحية والزوجية ، وهو مازال فى الخامسة من عمره الآن ، ولذا كانت عاطفة الأمومة

تغلبنى وشوقى اليه يهزنى ، فتتفجر عاطفتى كلمات مشتاقة ، متلهفة الى عودته الى احضانى ، وهكذا كان فى النهاية .

ــ لماذا اخترت بالذات ترجمة كتاب عن الشعراء الجوالين وفى القرنين الثامن والتاسع عشر شعراء فرنسيون تركوا آثاراً أوضح فى الشعر الفرنسى والعالمى ؟

● لفت نظرى كتاب للكاتب الفرنسى لافيت هوسا ، وفيه موضوع طريف عن «محاكم الحب» ، فاردت معرفتها ومقابلتها مع ما فى الشعر العربى . فوجدت مثيلا لها فى شعر الغزل عندنا ، ومازلت أفكر فى بحث الموضوع فى بحث مستقل ، وعلى كل حال فالتأثير العربى هو صاحب الفضل الأول فى شعر هؤلاء ، وهو ما يهمنى مؤقتا على الأقل .

النقد مهمة صعبة

ــ فى حديث للشاعر المبدع غازى القصيبى الى جريدة الجزيرة قال ان الناقد الأدبى السعودى الذى يلفت النظر لم يظهر بعد ، ما رايك ؟

● ما قاله الشاعر الرقيق والأديب معالى الدكتور غازى القصيبى صحيح ، والدليل على صحته ما ترينه الآن على صفحات الأدب فى الجرائد والمجلات المحلية ، تجريح وشتائم ليس فيهما شىء من التقييم أو التقويم ، والنقد مهمة صعبة لا يتقنها إلا ناقد متمكن يعرف مواطن الفن ، يتذوق الادب ويعلله ، ويتمتع بدقة الحس والملاحظة القائمة على قواعد واصول تحدد أطر النقد الفنى من جميع الجوانب ، وليس الذوق والسليقة هما كل شىء فى النقد ، وليس النقد أحكاما فارغة ، إنما هو قائم على الفهم وحسن التفسير والمقدرة على التعليل والحيطة فى اصدار الأحكام .

الى جانب الموضوعية فى الموازنة والتمييز والفحص وتبيان قيمة النص الأدبى ودرجته من حيث الجودة أو الرداءة دون الخضوع الى مؤثرات خارجية تفسد الحكم ، علاوة على ذلك ، وجوب أن يكون الناقد مثقفا متمرسا ملما باطراف العلوم التى تفيده فى تفسير العمل الأدبى ، وكما ترين كم هو صعب دور الناقد فى تفسير العمل الأدبى ، وهل بعد ذلك توافقيننى على أن النقد هنا بمعناه الذى اشار اليه الدكتور القصيبى لم يظهر بعد ؟

ماذا كان موضوع رسالتك لنيل الدكتوراه ؟

● كانت دراسة مقارنة تبحث عن حقوق المرأة العربية ومكانتها من واقع النصوص الأدبية «الجاهلية» .

ــ ما رايك بالشاعر والشاعرة السعودية ؟

● هناك شعراء سعوديون على مستويات فنية مختلفة ، فمنهم القمة والرائد ، ومنهم مازال فى اول الطريق ، ولعلهم لا يختلفون عن الشعراء فى الوطن العربى من حيث الاجادة أو غيرها لأنهم جزء من الوطن العربى ، ولهذا أفضل أن يدرجوا كشعراء عرب ، بغض النظر عن موطنهم ، رغم السمات الخاصة لكل بيئة ، إلا انهم فى النهاية «شعراء العربية» .

ــ سؤال تقليدى : بمن تأثرت من الشعراء ، ومن تفضلين قراءاتهم من الكتاب والشعراء ؟

● أكثر تأثرى بالعباس بن الأحنف ثم عمر بن أبى ربيعة ، واحب قراءة شعر الجاهليين فى المقام الأول ثم الشعر العباسى ، ومن الكتاب الجاحظ ومن المحدثين طه حسين .

ام أكثم

وزهورهم زهورنا ..

إننا نستخدم الزهور المصنوعة من البلاستيك تاركين زهورنا الطبيعية الحية . والذى يدفعنا الى استخدام الزهور الصناعية وترك الزهور الطبيعية هو التقليد .. مجرد التقليد .. على الرغم من أن الغرب استحدث هذا النوع من الزهور الصناعية لافتقار أرضه ومناخه الى الزهور الطبيعية .

المهندس المعمارى
حسن فتحى



زهرة البرسيم

شعر: علي عبدالله خليفة



أخذت هواك قنديلا ، وأوجعني سواد
الليل في عيني ، والأبراج موصدة منافذها
على قلبي
تشد قوافل العشاق راحلة ، خيامي السود
ما برحت ، وجف النبع ، والوديان لم تكلأ
بهذا العام ، والصحراء لم تشهد لنا عرساً .
يعذبني هديل حمائم الأسحار ، وجه الريح مغبر
يباغتني ، ويخطف صحوة التذكار ، أحملها
تئن حبيبتي في القلب مجروحة ..
وتشكو زهرة البرسيم .. لا أحد
يضمد خدها في الحفل ، كانت أعين الرقباء
من خلف السياج الشوك مفتوحة ..
ولا أحد ،
سوى سبع من السنوات مذبوحة ..
وضوء جاء من نجمة .

● ● ● ● ●

يداي تمر فوق الصخر ، يطلع من مياه البحر ،
يعلو ، تشهق الأمواج ، يسعل في أعالي
البرج ناطور تهدل يرمق الأطراف مرتاحاً ..
لأن البحر ليس لديه مفتاح التوابيت
الحديدية ..
وأن الصخر مغروز بقاع البحر ، والفقراء
مكدودون في الاغفاءة الأولى ..
تنادي زهرة البرسيم ، ترسل عطرها
من داخل الأسوار . صقر الصيد فك
قناعه الجلدي ، روح قلب سيده ،
وحلق يضرب الأبعاد ..
تجرأ في البراري . موسم الصياد لم يأت
وأعطى البرق أشياء
ونبه في الحباري غفلة الميعاد ،

هـامش :

● البرسيم من اقدم المحاصيل ـ ٢٠٠٠ ق . م . ـ التي تتحمل الأجواء المختلفة ، له زهر جميل ، يعد من احسن النباتات لنحل العسل ، ويزرع بالأرض لزيادة خصبها وتحسين خواصها .. إضافة إلى أنه محصول علف رئيسي .
استعمل اليونانيون البرسيم في صناعة الأكاليل ، وقدسه الايرلنديون واتخذوا منه شعارا دينيا .



رءوف توفيق

الملاكمون على الشاشة لأسباب نفسية خاصة!

الممثل « دى نيرو » فى فيلم «الثور الهائج»

لقطات من فيلم «روكى ـ٢ـ»





الممثل « دى نيرو » فى فيلم « نيويورك .. نيويورك »

لأسباب نفسية خاصة جدا .. انتجت السينما الأمريكية خلال السنوات الثلاث الأخيرة ، ستة أفلام تدور أحداثها حول أبطال الملاكمة !

اخر هذه الافلام : «الثور الهائج» الذى رشح لعدة جوائز اوسكار هامة لهذا العام .. منها احسن فيلم ، احسن مخرج احسن ممثل ..

ومن قبل فاز فيلم «روكى» عام ٧٧ بثلاث جوائز أوسكار ، كأحسن فيلم ، وأحسن اخراج ، وأحسن مونتاج .

لماذا .. الملاكمة بالذات ؟!

هذا هو السؤال الذى يقودنا الى هذه الحالة النفسية الخاصة .

فعن الملاكمة .. يتقابل الخصمان وجها لوجه .. فى مربع محدود .. مغلق عليهما .. وكل منهما شبه عار ، ينتظر لحظة البداية للانقضاض على الآخر ، وانتزاع الفوز .. أسلحتها القوة ، والصلابة ، واللياقة والقدرة على المناورة ، والتحمل ، والمواصلة .. واختيار الأسلوب المناسب لانهاك الخصم ، وتسديد الضربة القاضية .

انها اللعبة التى تقوم على المواجهة .. والتحدى الشخصى ..

المكان محدود .. والزمن محدود .. والخصم واضح .

وهى اشبه ما تكون بلعبة الحياة .. عندما يصبح على الفرد العادى ان يصارع كل الظروف الصعبة المحيطة به .. ليثبت لنفسه اولا ، وللآخرين ، انه موجود على خريطة المجتمع .. وانه قادر على المواصلة والاستمرار .

انه الحلم الذى يراود الكثيرين .. لاثبات الوجود .. والتميز .

وإذا لم يستطع ان يحقق هذا الحلم .. فهناك من يلوح له بامكانية الخروج من دائرة الاستسلام .. ومحاولة التجربة ..

ولهذا يتصور كثير من جمهور مباريات الملاكمة .. انهم فى مكان بطلهم المفضل



لقطة من فيلم « الحدث الرئيسى »

الذى يسدد اللكمات القاسية . للخصم العنيد .. فهذا الخصم يجسد لهم كل مشاكلهم وهمومهم ومتاعبهم التى يتمنون الخلاص منها ..

ولأنها مسألة تشغل بال الكثيرين فى المجتمعات الآلية .. فقد التقطت السينما الامريكية النجاح الهائل الذى حققه فيلم «روكى» .. وبدأت تنتبه لرد فعل الجمهور .. وحماسه .. وارتباطه بهذه الشخصية التى قدمها ذلك الفيلم .

● من هو «روكى» ؟

إنه ليس رجلا خارقا ، يتخطى الموانع ويحقق المستحيل .. ليس سوبرمان .. ولا جيمس بوند .. بل هو مجرد انسان عادى ، طيب القلب ، بسيط ، واحد من قاع المدينة يعيش وحيدا ، داخل بيت متواضع جدا .. ليس له أصدقاء .. تطل من عينيه نظرات الدهشة والحيرة .. يتلعثم فى الكلام .. لا يعرف كيف يعبر عن نفسه .. ودائما هناك من يتجاوزه بالاهمال ، أو بالاساءة .. وهناك من يحاول أن يستخدمه ، أو يضغط عليه لفعل شىء .. وهو لا يستطيع أن يتخذ قراراً بالنسبة لحياته : «عندما ولدت .. قال لى ابى .. انت لم تولد بعقل راجح .. فاستخدم جسمك .. وهكذا اصبحت ملاكما» !

مجرد انسان يتحرك وسط الزحام .. والجميع من حوله مشغولون بحياتهم الخاصة .. وهمومهم .

حتى تأتى هذه اللحظة العبثية من هذا الملاكم الشهير ، بطل العالم ، الذى أصيب فى عظام كتفه ، ويريد أن يظل فى الأضواء .. فيدبر مع مدير دعايته على التقاط أى ملاكم مغمور لينازله .. وهكذا يقع الاختيار على الملاكم «روكى» كمجرد اسم اعجبه «كأنه عنوان لفيلم مثير» !!

ويجد «روكى» نفسه داخل دائرة التحدى وعليه أن يثبت وجوده .

إنه لم يختر هذه المباراة .. ولا يفهم لماذا اختاروه هو بالذات ؟

ولكنه يخضع جسده لتدريبات شاقة وجادة .. ويلتف حوله الذين أهملوه من قبل ، انهم يريدون الآن أن يرتبطوا به ، ليضمنوا نصيبا من الشهرة والمال !

وهو ايضا لا يفهم لماذا التفوا حوله الآن .. ولماذا يقدمون خدماتهم بهذا السخاء ؟!

وعندما تقترب لحظة المواجهة بينه وبين بطل العالم .. يشعر بالخوف والتردد .. ويبوح لأول مرة بمشاعره الى صديقته التى وقفت بجواره بصدق وحنان .. يقول لها بكل الألم : «لا أستطيع أن أفعل هذا .. لا أستطيع أن أنتصر عليه .. من أكون أنا .. لم أكن شيئاً .. ولن أكون .. وتبذل صديقته كل ما فى جهدها لاعادة الأمل اليه .. إنها تجد فيه تعبيراً عن قضيتها الخاصة ، وتستمد من هذا

التحدى وقوداً لصحوتها .

وعندما يصمد «روكى» فى هذه المعركة الشرسة .. يكون قد صمد من أجلها .. ومن أجل اثبات وجوده .. وبالتالى من أجل كل المطحونين أمثاله ، والضائعين وسط الزحام !

● البحث عن أسلوب للحياة

ولهذا السبب اقبل الجمهور على هذا الفيلم .. ليس حباً فى شخصية ملاكم .. ولكن بحثاً عن أسلوب للحياة ..

وليس من قبيل الدعاية ، أن يقول كاتب قصة الفيلم وممثله ..«سلفستر ستالون» انه تلقى عدداً كبيراً من الخطابات يقول أصحابها ان «فلسفة» روكى غيرت حياتهم .. فقد طبقوا قصة روكى على حالاتهم الخاصة فاكتشفوا انهم من الممكن ان يكونوا أفضل مما هم عليه الآن «موظفون أفضل .. مدرسون أفضل .. حلاقون أفضل .. المهم انهم استخدموا امكانياتهـــم فى أحسن صورة» !

● مواصلة الأسطورة

واستثماراً لهذا النجــاح .. قام «سيلفستر ستالون» بتأليف الجزء الثانى من روكى .. والتى ظهرت بعنوان «روكى ـ ٢ ـ» وقام بتمثيله بالاضافة الى الاخراج أيضاً !

وفى الجزء الثانى يواصل هذا الخط الانسانى فى رحلة «روكى» بعد زواجه من صديقته التى وقفت بجواره .. ثم اصابته الشديدة فى عينه اثر ضربة فى احدى مباريات الملاكمة .. مما جعله يقرر الاعتزال .. ويكتفى بالحياة السهلة المريحة بين اثاث فاخر وملابس انيقة .. حتى انتهى رصيده المالى .. وبدأ يبحث عن عمل .. ولكن دائماً ما كان يواجهه بما لا يرضاه ضميره ومبادئه .. فيترك العمل أو يطردونه منه .. وتتأزم الأمور .. فزوجته تنتظر مولوداً .. وهو بلا عمل .. ويقرر أن يعود للملاكمة ، فهى الشىء الوحيد الذى يجيده .. وتقابل زوجته هذا القرار بالخوف عليه .. ويحذره مدربه من خطورة الملاكمة فى مثل حالته .. فأية اصابة جديدة فى عينه السليمة ، معناها العمى الكامل !! ..ولكنه يقبل التحدى .. ويعود للتمرين الشاق .. ويطلب منازلة بطل العالم فى مباراة أطلق عليها «مباراة العصر» !

انهانفس القصة .. بتفاصيل جديدة ..

ولا يحقق فيلم «روكى ـ ٢ ـ» نفس النجاح الذى حققه الجزء الأول .. وان كان قد سجل اسم «سيلفستر ستالون» كاحد اشهر نجوم السينما واكثرهم شعبية !

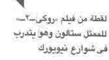
وهذا الممثل ، المؤلف ، المخرج .. عندما روى قصة حياته .. اصبحت جزءاً من الاسطورة التى يتداولها الجمهور الأمريكى عن «روكى» !

فهذا الشاب الذى لا يتجاوز عمــره ثلاثة وثلاثين عاماً .. عاش شخصياً تجارب الفشل المتعددة .. فهو من أصل ايطالى ، هاجر والده الى أمريكا .. ونشأ فى الاحياء الفقيرة .. ولم يكمل تعليمه .. وحاول أن يغزو السينما ممثلاً .. ولكنه فشل فى الأدوار الثانوية التى أداها .. وفشل أيضاً فى العمل ممثلاً بالمسرح .. حاول كثيراً أن يثبت وجوده .. ولكن الفشل كان له بالمرصاد .. ويحكى هو قائلاً :

«فى عيد ميلادى التاسع والعشرين .. كنت أعيش فى هوليود .. وليس لى رصيد سوى ١٠٦ دولار .. وفى هذا اليوم اشترت زوجتى قطعة من الكيك بدولار وربع .. وقالت لى تمنى امنية .. وتمنيت ان نخرج من هذه الحالة البائسة .. فهناك طفل فى الطريق .. ولا أمل فى أية انفراجة قريبة .. وأخذت قطعة الكيك وجلست على مكتبى ، ورأسى تدور .. ما الذى يمكن أن أكتبه للسينما ؟ ما كتبته من قبل كان سيئاً .. ماذا أريد أنا سيلفستر ستالون أن أشاهده على الشاشة واستمتع به ؟ ازدحمت رأسى بعشرات الأفكار ولم أستطع ان أركز على شىء .. ولكى انصف نفسى ، اخذت ما تبقى من النقود المخصصة للترفيه ، وذهبت لأشاهد مباراة ملاكمة بين محمد على كلاى وبين «شيك وبنر» من خلال دائرة تليفزيونية مغلقة .. ولم تكن المباراة فى بدايتها توحى بانها مباراة هامة .. بل كانت مجرد نكتة جماهيرية .. ولكن مع مرورالوقت تجسدت الدراما أمام عينى .. ها هو كلاى يسقط على أرض الحلبة ، والجمهور يشتعل بالجنون .. و «وبنر» يكمل الجولة الخامسة عشر أمام محمد على العظيم .. واحسست لحظتها ان «وبنر» كسب ليلتها أكثر بكثير من النقـــود التى سيقبضها .. انه يتوج رحلة مرانه الشاقة ويكفيه الآن أن يرفع رأسه عالياً .. ليلتها شاهدت نشوة الفرح والفوز .. وفى تلك الليلة ولدت شخصية «روكى» ..



الممثل « دى نيرو » فى احد مشاهد الملاكمة من فيلم «الثوار الهائج»





لقطة من فيلم «روكى ـ٢ـ» للممثل ستالون وهو يتدرب فى شوارع نيويورك



الممثل «دى نيرو» مع ليزا مانيللى فى فيلم «نيويورك .. نيويورك»

رجل عادى قد تجده فى اى شارع .. والناس تنظر لروكى كجزء من التراجيديا الامريكية .. رجل بلا مواهب .. ولكنه رجل مليء بالمشاعر والاحاسيس .. انه رجل يشبه الكثيرين منا .. وبدأت تتجسد أمامى الفكرة .. وكونت مع زوجتى ما يشبه فريق عمل فى مصنع لا يتوقف أبداً .. لمدة ثلاثة أيام ونصف .. الشمس تشرق وتغيب وأنا أكتب .. وزوجتى تنقل ما أكتبه على الآلة الكاتبة .. كنت مدفوعاً للانتهاء من السيناريو فى أسرع وقت .. بالرغم من أن أحداً لم يطلب منى شيئاً» !

ويستكمل «سيلفستر ستالون» روايته عن نفسه .. ليحكى كيف أصر ان يلعب هو دور البطولة فى الفيلم ، رغم كل اعتراضات المنتجين الذين أرادوا أن يرشحوا أسماء نجوم معروفة .. وارتفع أجر سيناريو «روكى» من ٧٥ الف دولار الى ٢٠٠ الف دولار .. وهو يرفض أن يبيعه إلا اذا لعب هو دور البطولة .. وقد كان له ما أراد .. وطموحه الفنـى لا يتوقف !

فبعد ان حقق حلمه بالبطولة .. انتقل الى حلم الاخراج والذى تحقق له ايضاً .. ومازال يواصل احلامه !

وهكذا تستمر الاسطورة ..

«روكى» فى الخيال .. و «روكى» فى الواقع ..

● «الثور الهائج» .. وقصة حقيقية لملاكم

وتتوالى الأفلام الأمريكية بعد ذلك ، تداعب هذا الوتر الحساس عند الجمهور من خلال قصص تدور احداثها حول أبطال ملاكمة .. يثيرون الحماس .. أو يثيرون العطف !

هذه الأفلام هى : «البطل» ـ «الحدث الرئيسى» ـ «ماتيلدا» .. وأخيراً «الثور الهائج» الذى يثير ترحيباً ونقاشاً حيوياً بين عشاق السينما ونقادها ..

وفيلم «الثور الهائج» من اخراج «مارتن سكورسيس» وبطولة «روبرت دى نيرو» .. هذا الثنائى الفنى الناجح الذى قدم من قبل فيلم «سائق التاكسى» الذى فاز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان ٧٦ .. ورشح الممثل «دى نيرو» لجائزة أوسكار احسن ممثل .. ثم قدما معاً بعد ذلك «نيويورك .. نيويورك» عام ٧٨ .

وقصة فيلم «الثور الهائج» مأخوذة عن الحياة الحقيقية لبطل الملاكمة السابق «جاك لاموتا» الذى لمع فى أمريكا فى منتصف الأربعينات وأوائل الخمسينات .. وعرفه الجمهور ملاكماً قوياً يقاتل كالثور الهائج .. ثم جاء اعتزاله عام ٥٤ .. وكان اعتزاله قراراً متوقعاً من جمهور الملاكمة وخبرائها .. فجزء من مشكلة «لاموتا» ترجع لطريقته فى الملاكمة .. فهو مصمم على الاحتفاظ بالبطولة .. وهذه الفكرة حطمته تماماً .. وانتهت به الى حيث الانتقال مع زوجته وأطفاله الثلاثة الى فلوريدا ، ليفتح باراً على شاطىء ميامى .. ويفرط فى الشراب .. ويزداد وزنه .. ويزداد هياجه وثورته على أقرب الناس اليه .. فتطلب زوجته الطلاق .. ثم يصدر حكماً بايداعه السجن بتهمة تحريض فتاة قاصر على العمل فى محله كغانية .. ويستمر فى السجن ستة أشهر ، تكون بالنسبة له أقسى أيام العمر وأشد سوءاً من لحظات انهياره فى مباريات الملاكمة .. وعندما خرج من السجن ، اتجه الى التمثيل فى الأدوار الثانوية بالأفلام .. وعاش فى نيويورك بالقرب من الشارع الذى يسكن فيه المخرج «سكورسيس» !

● الانسان الذى استرد نفسه

وقد صدر عام ٧٠ كتاب يروى قصة حياة الملاكم «لاموتا» .. وعندما قرأه الممثل «دى نيرو» أعجب بشخصية هذا الملاكم وأراد أن يقدمها فى فيلم .. وذهب يحمل الكتاب وفكرته الى صديقه المخرج «سكورسيس» .. وكان هذا منذ خمسة أعوام .. وفى البداية تردد المخرج أمام فكرة اخراج فيلم عن بطل ملاكمة .. فلم



لقطة من فيلم «روكى - ٢ -»

الملاكمون على الشاشة

● الأبيض والأسود يعود الى الشاشة

وقد تم تصوير الفيلم بالأبيض والأسود .. وهذا الأمر أثار الدهشة ولكن المخرج علق قائلا «بالاضافة الى المشاكل المثارة حاليا مع الشركة المنتجة لأفلام النيجاتيف الملونة .. فقد اردت ان يكون فيلما مختلفا عن كل الأفلام التى قدمت أخيرا قصصا عن الملاكمين .. ويهمني أيضا ان تختلف نظرة المتفرجين الى فيلمى» !

ومن باب الاختلاف أيضا قام المخرج بتصوير مشاهد الملاكمة بكاميرا واحدة فقط ، ثبتت خارج حلبة الملاكمة .. بينما كل أفلام الملاكمة السابقة صورت بأكثر من كاميرا - احيانا سبع كاميرات - من مختلف الزوايا .

وبالرغم من أن الفيلم طوله الزمنى يصل الى الساعتين .. إلا أن مشاهد الملاكمة لا تتجاوز ١٥ دقيقة فقط .. ويقول المخرج «ان الموضوع ليس داخل حلبة الملاكمة .. بل خارجها .. وبالذات علاقة هذا الملاكم مع زوجته واخيه .. انها حياة رجل تعامل مع كل من حوله بقسوة فى سبيل تحقيق حلمه بالبطولة .. كان يتصرف بطريقة حيوانية .. رغم الروح الشفافة التى كانت تتجلى فى شخصيته وفى تربيته الدينية حيث عاش فترة صباه فى اصلاحية للأحداث تحت اشراف احد رجال الدين ، وهو الذى شجعه على رياضة الملاكمة» .

ورغم ان الملاكم السابق «لاموتا» مازال يعيش حتى يومنا هذا .. ويسكن بالقرب من منزل المخرج .. إلا ان المخرج لم يدعه لمشاهدة أجزاء الفيلم حتى بعد الانتهاء من تصويره .. ويبرر المخرج تصرفه قائلا : «كان من دعوته .. فقد غيرنا بعض الاحداث .. ومن العسير ان تشرح ذلك .. فحتى الفيلم التسجيلى قد يكن مقتنعا بان يخوض فى تفاصيل عالم الملاكمة .. ولكن اصرار وحماس «دى نيرو» وجلسات المناقشة التى عقدها المخرج مع المهتمين برياضة الملاكمة ، دفعته لأن يتحمس لاخراج الفيلم» .

ويجيء الفيلم أمينا ودقيقا تماما لعالم الملاكمة .. حتى ان ناقد مجلة «الفيلم الأمريكى» التى يصدرها معهد الفيلم الامريكى .. قال فى مقالة طويلة : «يبدو وكأن عالم الملاكمة هو المكان الطبيعى الذى ولد فيه المخـــرج «سكورسيس» !

ويعلق المخرج قائلا : «انا لا افعل أى شيء بدون اقتناع كامل» !

وقد تنقل سيناريو الفيلم بين ثلاثة من أشهر كتاب السيناريو الذين تعامل معهم المخرج من قبل فى أفلامه السابقة .. بغية الوصول الى الصيغة التى ترضى الممثل «دى نيرو» والمخرج ..

وعندما سالوا المخرج «سكورسيس» عما شجعه فى قصة حياة الملاكم «لاموتا» لكى يجسدها فى فيلم .. قال :

«لقد وجدت فيه نموذجا للشخص الذى يعثر على نفسه .. وهذا شيء هام جدا فى حياتنا الآن وسط أمواج اليأس والاستسلام وعدم القدرة ، أو الرغبة ، فى اكتشاف الذات .. فالملاكم «لاموتا» هو باختصار قصة حياة شخص كسب شيئا .. وخسر كل شيء .. ثم استرد نفسه» !

لا يكون ملتزما تماما بالواقع .. وفى قصة حياة لاموتا حذفنا أجزاء وأسقطنا أجزاء أخرى أثناء المونتاج» !

● الممثل العبقرى وماذا فعل ؟

ونأتى الى الممثل «روبرت دى نيرو» فهو فى هذا الفيلم يضيف فصلا جديدا من فن التقمص .. فمن المعروف عنه انه يدرس كل ما يتعلق بالشخصية التى يمثلها .. الحركات ، السكنات ، أسلوب التعامل ، اللهجة ، الملابس .. كل شيء تقريبا .. فمثلا فى فيلم «سائق التاكسى» عمل فعلا كسائق تاكسى قبل تصوير مشاهد الفيلم ، وعاش التجربة كاملة بكل ظروفها ومفاجآتها حتى ينقلها الى الشاشة .. وفى فيلم «نيويورك .. نيويورك» ارتبط بعازف ساكسفون ليعلمه كيفية العزف على هذه الآلة .. وظل يتدرب على العزف وعلى كل الحركات الملازمة للشخصية لمدة ستة اشهر ، لدرجة انه تمرن على عزف مقطوعة واحدة لسبعة آلاف مرة !! .. وفى فيلم «صائد الغزلان» عاش مع عمال مصنع للصلب ليتعلم منهم أسلوبهم اليومى فى العمل والحياة ..

ويقول «دى نيرو» عن فلسفته فى التمثيل :

«اننى أشعر باحتياجى الشديد للاقتراب جسمانيا وعقليا من الشخصية التى ألعبها .. ابتداء من عاداتها اليومية .. الى أسلوبها فى التفكير والمشاعر» .

وربما أوضح ما قيل عن لغز هذا الممثل الموهوب .. ما قاله عنه المخرج فرنسيس كوبولا الذى تعامل معه فى فيلم «الأب الروحى - الجزء الثانى» .. إذ وصفه بايجاز شديد قائلا ..

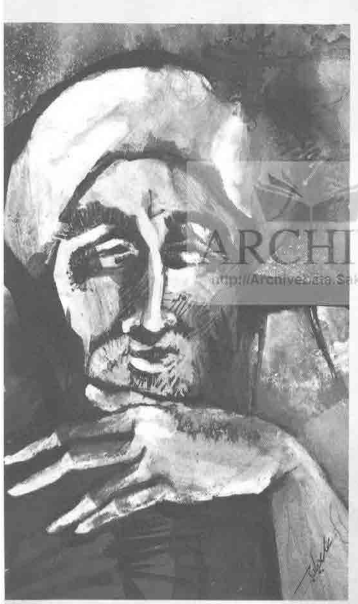
«انه فنان يعرف لغة الكاميرا .. ويعرف كيف يكلمها .. احيانا أكثر مما نعرف نحن الذين نديرها» !

وقد فاز «دى نيرو» بجائزة اوسكار احسن ممثل ثان عن دوره فى فيلم «الأب الروحى - الجزء الثانى» عام ٧٤ .. ومنذ ذلك التاريخ وترشيحات الأوسكار لا تخلو من اسمه .

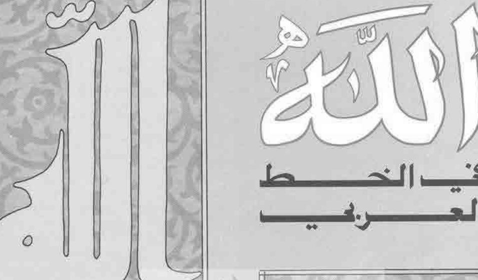
«رءوف توفيق»

"غلام الله شهيدا"

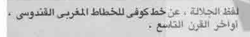
شـعر: د. محمد فوزي مصطفى
جامعـة قطـر



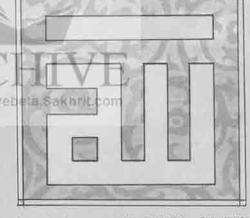
كان غلام الله صبياً فى السبعين
يرعى زهر الوديان الجبليه
لا يمـلك فى الدنيا غير ملاءة خز جرباء
وغنيمات لبناء
وعلى زند غلام غداره
يحشوها ببقايا بارود وحصاه
كل الوقت لديه صلاه
غليون يؤنس وحدته
بعد وفاة الزوجه .. ورحيل الأبناء
كان غلام الله
يمضغ بعض الأعشاب الطيبه
ويسبح لله تعالى سراً أودعه فى البريه
وتراءى للحالم فى الملكوت
سرب من أرتال حديد رقطاء
تتلوى فى حضن الوادى
وبلا إنذار
سمع المذياع يطالبه بالاستسلام
لم يسعفه الوقت لحشو الغداره
سيق غلام الله الى كابول
مخفوراً بين حراب العسكر
والدهشة تعلو ما بين الصدغين سؤال
من يحمى قطيع الأغنام
إن جن الجوع بذئب ضار حول الوديان. ؟
من يحشو الغداره



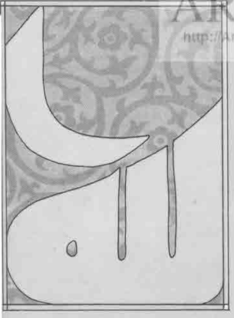




لفظ الجلالة ، عن خط كوفي للخطاط المغربي القندوسي ، أواخر القرن التاسع .

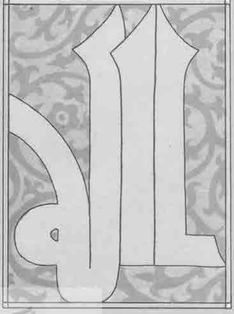


لفظ الجلالة ، بالخط الكوفي الهندسي ، عن واجهة مدرسة خارجيرد ـ ايران ، القرن الخامس عشر .

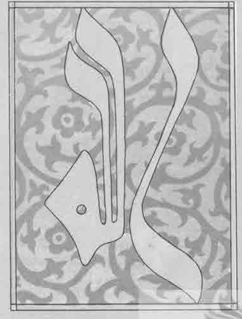


لفظ الجلالة بالخط الكوفي القديم عن مصحف من القرن التاسع ، سوريا أو العراق .

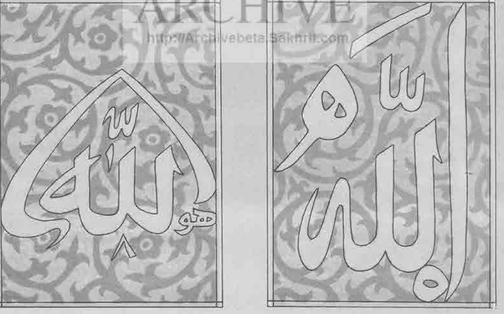
كان الخطاط العربي في مختلف العصور «قوة» كبرى من قوى الحضارة والثقافة ، فالخطاط هو الذي كتب جميع نسخ القرآن الكريم منذ مصحف عثمان حتى ظهور المطبعة بل حتى بعد ظهور المطبعة ظل الخط هو الأسلوب الذي تعتمد عليه طباعة نسخ القرآن المختلفة ، كذلك فإن جميع كتب التراث العربي العظيمة مكتوبة بالخط العربي قرناً بعد قرن ، وقد أصدرت دار الشروق في بيروت مجموعة من البطاقات ، واختارت الدار لفظ الجلالة ، من الخطوط العربية المختلفة في الأسلوب والتاريخ ، وجعلت منها لوحات فنية بديعة ، وهذه نماذج من لفظ الجلالة «الله» كما كتبه الخطاط العربي الذي تربى في مدرسة القرآن وآمن بالله ، ووضع كل موهبته في كتابة لفظ الجلالة في أجمل صورة .



لفظ الجلالة ، بالخط الكوفى المعمارى ، من مدرسة السلطان حسن . القاهرة .



لفظ الجلالة بالخط الكوفى النيسابورى .



لفظ الجلالة ، عن نقش على القاشانى فى مقام عبد الله انصارى ، هرات ـ أفغانستان ، القرن الخامس عشر الميلادى.

لفظ الجلالة ، خط بأسلوب التاج مأخوذ عن تطريز الكسوة الشريفة ، القاهرة ـ مصر .

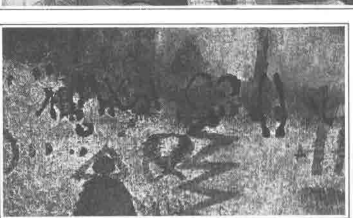
الجمال والتفاؤل في الزمن الصعب

مجدي
نجيب

● تأكيد فكرة الجمال عند الفنان من خلال استلهام لفظ الجلالة والقرآن الكريم

● الطفل العربي بملامحه وكأنه أحد الأسرى في معسكرات الإهمال واللامبالاة من الكبار .. ولكن ؟!

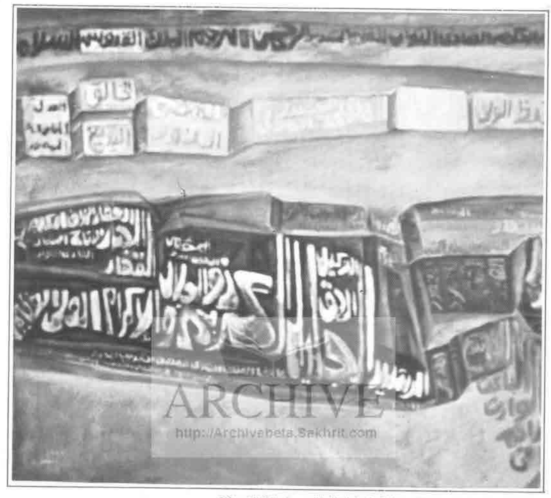
لوحتان .. الاولى بعنوان «عللنا المتناقض» للفنان شوكت الربيعى .. حاول فيها استخدام الخط العربى والاجنبى وتوظيفه للتعبير عن الانسان المعاصر .. اما اللوحة الاخرى فهى لتكوين بديع لالفاظ الجلالة للفنانة عطية مصطفى .



الاسم : عطيه مصطفى .
العمل : فنانة تشكيلية .
مكان الميلاد : مدينة الاسكندرية .
هدفها : تاكيد فكرة «الجمال» من خلال لوحاتها .

فهى تؤمن ان الفن رسالة من خلال عالم الجمال الذى يحيط بنا ، رغم ضباب الزحام والتشويه فى الحياة والأشكال الاجتماعية .. والنفسيات نتيجة صراعات العصر والبشر .

فالجمال صفة من الصفات المميزة لانسان العصر الحديث والمعاصر ، وللانسان بشكل عام فى كل تطورات حياته الاجتماعية والانسانية والسياسية .



لوحة للفنان «هانس تروكس» استطاع من خلالها استلهام الخط العربي في تشكيلات مبتكرة .

والجمال .. حقيقة ثابتة ، قادرة على جذب الفنان ، وكأنها مغناطيس سحرى يشده الى عالم من الدهشة والمحبة .. والرؤيا التخيلية ، المستقبلية ، صاعدا سلم الحق والخير للبشرية وللوطن بأبعاده الغير اقليمية .

وفكرة «الجمال» وقيمه الجمالية ـ بشكل عام ـ تميل الى تصوير التفاؤل وتخطى حواجز الرعب من المجهول .. والافلات من فوهات بنادق الزمن المصوبة الى صدر البشرية فى مختلف عصورها .. وهى قيم الى حد ما ـ نسبية ـ ، تؤدى بالتالى الى عملية استكشاف مستمر لاختراق ابواب ومتاريس الوجود للتعرف على حقيقته .

وقد حاولت واحدة من فنانينا التشكيليين الانطلاق فى طريق استكشاف وفك رموز الخط العربى وأبعاده .. والاستفادة من الفاظ الجلالة فى القران الكريم ، فى محاولة جادة لتأكيد فكرة «الجمال» المتأصلة دائما فى جذب الفنان بدهشته فى زمن الصعب ، زمن الرعب الغامض الى الكشف عن أعماقه ودواخله وعن الآخرين .. وعن كل ما يحيط به .

والفنانة التى نتحدث عنها هى : عطية مصطفى ، التى اطلق عليها نقاد فرنسا لقب «الحاجة» ، بدأت حياتها الفنية بشكل تقليدى فى محاولة للبحث والتعرف على العالم المحيط بها ، وكان ذلك عام ١٩٦٥ ، حيث كانت بدايتها الاشتراك فى معارض القاهرة والمعارض الخارجية ، ولم تكن فى تلك الفكرة قد توصلت بداية الانطلاق لمرحلة مميزة خاصة بها كباقى فنانينا العرب فى بداياتهم الفنية التى تعتبر فى اولها لعبة رمزية غامضة وسط هذا الكون المليء بطوفان الفوضى وأعاصير الحزن وتنهدات الآلم وصهد الغضب وإيقاع الرعب .

فاقامت فى بداية حياتها الفنية اكثر من خمسة معارض ، كانت خلالها تقوم بعملية التجريب فى صبر .. ، وجاء معرضها السادس الذى خصصته كله عن «الطفل العربى» بمناسبة العام

الجمال والتفاؤل في الزمن الصعب



استخدام الخط العربى فى تكوين بديع يشكل هارومونى لونى .

الدولى للطفل ، جزءا من بداية موفقة للتعرف على نفسها وعلى ما يحيط بها من تناقضات ، وكان العالم حولها فى تلك الفترة ، مثل معسكر تحيط به الأسلاك الشائكة من كل جانب .. وقد حاولت فى معرضها ان تتعرف – فى تخوف – على ذلك العالم الغريب المليء بالبراءة العذبة ، المعذبة .. والمعاناة قبل الأوان ، فصورت الأطفال فى عالم مسحور يحيطه التوجس والخوف من المستقبل وطلاسم ايقاع الحياة اليومية الذى يشبه أجراس الانذار .. ، فصورت الطفولة البريئة وهى تبحث عن نافذة ضوء مشرقة ، تطل على مستقبل أفضل فى دولنا النامية التى تهمل الطفل فى جميع أنواع حياته المعيشية ، من اول الكتاب والتعليم والموسيقى والغناء والاستمتاع بطفولته المفقودة .. ، الى فكرة لأى شىء ينتمى فى وطنه العربى ، وقد يرجع ذلك الى نتيجة صراع الكبار وعدم تفرغهم للاهتمام بعالم الطفل .. وكان الطفل مخلوق هامشى على جانب الحياة .

ومع ذلك ، فقد القت الفنانة عطية



اخر معرض لها فى باريس .. وصحفية فرنسية توجه لها سؤالا اثناء الافتتاح .

مصطفى بفرشاتها والوانها وجلست تتامل فى انجازاتها ، وقررت الانطلاق فى طريق جديد .. فاختارت كلمات «القرآن الكريم» ومفرداته .. و «اسماء الله

الحسنى» فى عملية تشكيل جديدة لمحاولة إبداعية ، وكانها فجاة غرقت فى بحار الصوفية والتامل الروحى بعد رحلة معاناة عمرها ستة عشر عاما وهى



الفنانة وهى ترتدى الزى الاسلامى وتناقش فى هدوء ما ارادت ان تعبــر عنـــه .

تضرب بفرشاتها على القماش للتعرف على عالم الكبار والصغار ، .. وفى النهاية ، اقتنعت أن ذلك الطريــق لا يرضى أعماقها الفنية وأحاسيسها بالبحث عن الجمال من أجل رؤيا مستقبلية واضحة .

وكان انطلاقها المميز فى معرضها الأخير الذى أقامته فى باريس مع بداية عامنا الجديد ، حيث عرضت فيه ٢٢ لوحة جميعها مستوحاة من «القرآن الكريم» ، .. وهى تحاول بذلك الدخول من باب الروحانية الى اشراقة الرؤيا الصوفية والهدوء النفسى ، لفك رموز خطنا العربى بمعانيه القدسية المتالقة عبر كل العصور حتى يومنا هذا .

وهى فى لوحاتها المستوحاة من الخط العربى ، ليست واحدة من الرواد الأوائل .. ولكن سبقها فى هذا المجال العديد من الفنانين العرب والأجانب باستخدام الخط بشكل عام فى أعمالهم الفنية .

ولكن الفنانة عطيــة مصطفى ، استطاعت أن تتميز بانتقاء خطوط معينة ذات ايقاع متواحد له فى أعماق الانسان العربى جذور روحية أصيلة ، تجعله يشعر بالانتماء والراحة النفسية فى أثناء المشاهدة لتلك اللوحات فى عشق متجدد فى الزمن المادى الطاغى بغرائبه وأعاجيبه وابتكاراته التى لا تنتمى لأى جذور عميقة الأصل .

مجدى نجيب



الأبجدية (هول هوسمان)

رقصة دادية (هوش ١٩١٩)

الدادية

سوف نتغنى بحب الخطر والجسارة وروح التمرد ..

سوف نشيد بالعدوان والسهاد المحموم .

والخطوات الوثابة والقفزات البهلوانية واللكمة على الأذن .

سوف نمجد الحرب والروح العسكرية المدمرة .

وفن الفوضى الهدام ، والأفكار القاتلة .

سوف نزدرى النساء ، ونعاف الجمال .

هلموا يا مضرمى الحرائق أشعلوا النار فى المكتبات .

حولوا الطوفان والأوحال الى المتاحف لتغرق الفنون .

جمال قطب



تكوين (هوسمان ١٩٢٠)



لاعبو الورق (اوتو دكس ١٩٢٠)

لم يكن ذلك الصوت المطنطن الذى انبثق من ايطاليا صوت موسولينى .. وإنما كان صيحة مخربة اطلقها الشاعر الايطالى مارينيتى عام ١٩٠٩ ، اى فى وقت لم يكن قد سمع فيه احد باسم موسولينى .. وكانما كان يتنبأ هذا الشاعر بعصره المشئوم .. فمنذ ذلك الحين توالت على حركة الابداع العالمى نزعات واتجاهات انقضت على الروح الجمالية الوادعة وحولتها الى عناصر تجريبية جامدة خلت فى معظمها من عوامل التالق البصرى والايحاءات الجمالية المثالية !

واجتاحت (التجريدية) ميدان الفن .. وحطمت الجانب الموضوعى نهائياً .. وابقت على جانب (الشكل) فحسب ، وسمى الفن بعد هذه الهجمة التجريدية باســم (اللاموضوعــى) ! واستمرت النزعات التجريدية تتقاذف الفن باسم التشريح والتجديد والتصوف والتبسيط والاختزال .. حتى تسامى (تصوفهم) الى درجة النقاء الذى لا يشوبه اى (فن) وعرضوا لوحاتهم صفحة بيضاء .. خالصة .. تحت اسم (السوبرماسية) .. ولكن كل هذه النزعات والاســماء والمسميات .. تهون إذا ما قورنت بما حدث فى احد مقاهى مدينة زيورخ عام ١٩١٦ .

المخاض

عندما تفاقمت الحرب العالمية الأولى حصدت أرواح الكثيرين من الكتاب والفنانين المهرة ، وتسببت فى تخريب المدنية الأوروبية .. وأصيب المفكرون والفنانون بالاكتئاب ، وسئموا الحياة .. وزهدوا كل انواع الفن والابداع وثاروا على المدنية الحديثة الزائفة ، وركنوا الى الياس والقنوط .. وجاء دور العامل النفسى الحاسم عند الفنان .. وهو الشعور بالضياع والظلم تحت وطاة الدمار الشامل والمحادثات الدبلوماسية المخادعة وفضائح مقاومات الراسمالية العالمية وانتشار الالحاد وغياب القيم وسيطرة القوى المادية الشرسة ..

... اجتمع الفنانون فى مدينة محايدة فى سويسرا هى (زيورخ) وكانت هذه المدينة مأوى لأفواج المهاجرين من أوروبا الوسطى من المانيا ورومانيا وهنغاريا .. وفى نفس الوقت وفد من نيويورك مجموعة أخرى من الفنانين الذين لجأوا اليها فى بداية الحرب ، وكان من بينهم فنانون بارزون من أمثال (مارسيل دوشا) وفرنسيس بيكابيا وغيرهما .

وكان الشاعر الألمانى الشهير هوجو بال قد أقام عام ١٩١٦ منتدى أدبياً فى زيورخ على شكل مقهى ذى طابع خاص اطلق عليه (حانة فولتير) ، وقد أصبح هذا المنتدى الثقافى أشهر تجمع أوروبى يضم صفوة المفكريـن من مختلف الجنسيات ..



الدادية

وتدارس الجمع تلك الظروف السائدة آنذاك .. وخرجوا بتصور عام لما آلت اليه الأحوال العالمية وخلصوا الى نتيجة مرة المذاق كئيبة الصورة .. وأعدوا أنفسهم للتعبير المأساوى عنها .

وفى الثامن من فبراير ١٩١٦ .. وعلى أثر اجتماع صاخب هادر فى مقهى شهير بزيورخ يسمى (مقهى تيراس) دفع الشاعر الرومانى تريستان تزارا الذى أصبح زعيماً للجماعة فيما بعد ، بقطعة من الورق داخل معجم (لاروس) جزافاً وبغير قصد ، وفتح المعجم ، ووجد أن شريط الورق يشير الى كلمة سخيفة هى (دادا) . وتعنى بالفرنسية : لعبة من الخشب على هيئة حصان . فوقف تزارا وأعلن كلمة (دادا) أسماً للحركة التعبيرية الجديدة .. فلاقت حماساً منقطع النظير من جموع الحاضرين الذين يعيشون مأساة الحرب وآثارها النفسية المدمرة !

وتكونت الدادية ، وشملت فنــون الرسم والشعر والأدب وكل أنواع التعبير بأسلوب سلبى هدام مليء بالهزل السخيف والتفاهات .. لقد كان مبدأ الداديين هو مهاجمة القيم وتخريب (الجماليات) ، ومعاداة الذين يقدسون الفن أو يحترمون الابداع الراقى .. !! وعموماً كانت أهدافهم هى السخرية من الفن ذاته ، وعرض كل ما هو قبيح وغريب وعابث وغير معقول !

فن ضد الفن

وكانت فلسفتهم ـ إذا كانت تسمى مجازاً بالفلسفة ـ تقول : لكى نناظر هذا الخراب والدمار الذى حل بالعالم ، فلابد من خلق فن يناقض الفن ذاته ! وأطلقوا على هذا المنهج «ضد الفن» .. ومن شعاراتهم : «كل شىء يساوى لا شىء !» إذن فاللاشىء هو كل شىء !!

ومن الغريب أن الدادية قد انتشرت فى أوروبا بسرعة جنونية ، وكان نجاحها يرجع الى عاملين أساسيين : الأول : أن طبيعتها المناقضة المتمردة على كل ما هو معقول ومنطقى . قد تمشت مع ما ساد العالم فى أثناء وأعقاب الحرب العالمية الأولى من شعور بتبدد الأحلام والاحباط وخيبة الآمال . والثانى : أن مظاهراتها الجنونية من معارض عجيبة وحفلات رقص شاذة ، وأمسيات لتلاوة (قصائد) من الشعر اللامعقول الحافل بألوان البلاهة المصطنعة ، كل ذلك قد وجدت فيه الصحف مادة غزيرة لتسلية قرائها ، الذين كانوا فى أشد الحاجة الى ما يفرج عن همومهم ومآسيهم ..

وقد اجتذبت هذه الحركة ـ لفترة وجيزة من الزمن ـ عدداً من كبار الفنانين من أمثال بيكاسو وجروز .. ولكنهم سرعان ما انصرفوا عنها ليمضى كل منهم فى طريقه الخاص بعد أن انحدرت الدادية الى هذه المستويات الدنيا من العبث والاسفاف !

وفى نفس الوقت سارع الآلاف الى الانضمام لهذا (المهرجان) الجنونى .. ومعظمهم من صغار الفنانين والمهرجين ، بل من عامة الناس الذين لم يكن لديهم أى قدر من الثقافة أو الموهبة .. فقد كان من أيسر الأمور أن يصبح المرء دادياً .. وما عليه إلا أن يشارك فى أى شىء أو فى كل شىء من هذا العبث .

وكانت للداديين مجلة خاصة هى (كباريه فولتير) ، كما كان لهم معارضهم .. وأعلن زعيمهم (تزارا) فى ١٤ يوليو ١٩١٦ الاعلان الدادى الأول ، الذى سخر فيه بمرارة من الفن والعلم والفلسفة وعلم النفس ، ودعا الى التخريب والانحلال !

وقد اتسمت الاجتماعات بالفوضى والشغب والضجيج فضلا عن تعليمات زعيمهم الغريبة ! وعلى سبيل المثال : كانت تقوم هذه المعارض التى تزخر بلوحات من نوع شاذ : أحجار وعظام آدميين وقطع من الأنسجة المدرجة بالدماء وحيوانات وحشرات ميتة .. كل هذا الخليط العجيب مثبت داخل أطر على مسطحات اللوحات .. بشكل منفر ومقزز .. وكلما شعر المتفرجون بهذا (التقزز) .. إزداد العارضون بهجة وصخباً جنونياً ..حمى هستيرية أقامت الدنيا وأقعدتها باسم الفن !!

وفى جانب آخر ، نرى أن أحد هذه المعارض لابد للدخول له من المرور عبر

وجه فتاة .. حشد من الأشياء الصغيرة كالسنون والزراير والخيوط وقطع الحديد (فرانسيس بيكابيا)





احدى لوحات فرنسيس بيكابيا من الاخشاب والريش والالوان .. اشياء لا يحكمها منطق

ممرات داخل حلم شعبى مظلم ، جلس فى اركانه فتيات يقران شعرا فاضحا ويأتين بحركات مبتذلة .. ويتقدم (فنان) من الداديين هو (دى شام) ويعرض لوحة نقل فيها صورة (موناليزا) التى ابدعها دافنشى ، ولكنه وضع لها شاربا مقوسا بصورة هزلية ساخرة !

وفى بعض الأحيان ، كان عدد من الشعراء يقرأون اشعارهم معا فى نفس الوقت بصوت جهورى مزعج ، تصاحبه الأجراس الكهربائية والموسيقى الصاخبة .. ويقف جمهور المشاهدين ، وقد وضعوا اصابعهم فى آذانهم ، وهم ايضا فى هياج مثير !

وكانت هذه المهرجانات الدادية لا تنتهى فى العادة إلا بحضور الشرطه وسقوط الجرحى فى ساحات الاجتماعات التى غالبا ما كان ينالها التحطيم والتخريب !

كلمة حق نقولها

فبالرغم من العزم الصادق عند الداديين لتقليل اهمية الفنون والآداب ، وحتى العقل نفسه ، وبالرغم من الهزل السخيف والتفاهات التى كانت تزخر بها منتدياتهم ومطبوعاتهم ومهرجاناتهم ..

إلا ان التاريخ ليشهد بالذكاء الحاد الذى كان يكمن وراء هذا المذهب : فلقد ابدع (عدو الفن) اى فنان الدادية اعمالا رائعة رغما عنه . وكتب (مقاوم الشعر) وهو شاعر الدادية اشعارا ذات رؤى جديدة اضافت الى فن الشعر آفاقا رحبة جميلة . وبينما يمكن القول بصدق ان مذهب الدادية لم ينتج فنا عظيما ، فقد كانت الأفكار والبدع ، وحتى السخافات ، منطلقا ونقطة ارتكاز لكثير من الفنانين فى السنوات المقبلة لأن يكونوا فنانين متألقين عالميين ذوى مواهب متفتحة تفيض بالثراء الابداعى ! وما الفنانون السيرياليون ومذهب السيريالية الذى اعقب الدادية إلا ثمرة من ثمرات الحركة الدادية ..

أما الشعراء ، وقد غلب على أسلوبهم الطابع الهجائى اللاذع ، إلا اننا ـ بالرغم من عدم تناسق معناه ومبناه ـ نلمس معان وصورا غاية فى الجمال ، وهذا واضح كل الوضوح فى قصيدة زعيم الدادية ترستان تزارا فيقول فى احدى قصائده :

ـ فى داخل نفسك .. مصابيح تدخن
ـ مستنقع من العسل الأزرق
ـ القطة القبعة فى ذهب الفندق الفلمنكى ،
ـ تهدر .. ثم تهدر
ـ كثير من راكبى الدراجات فى لون رملى اصفر
ـ القصور الجديدة للآباء
ـ انك تدخل مسرعا فى دخيلة نفسى
ـ الكانجارو فى امعاء القارب الناعس !

وبتعبير اخر عن روح الحركة الدادية نجدها مجسدة فى لوحاتهم التى خلدها تاريخ الفن .. حقيقة لم تصل الى ذروة القيمة الفنية ، ولكنها كانت كنذر الصواعق التى تعلن عن اقتراب ثورة جديدة فى عالم الفن المعاصر . وحدثت هذه الثورة فعلا فانتزعت للقرن العشرين ملامح فنية مميزة لا تخطئها العين !

... وتداعت اركان الدادية كحركة فنية .. وغربت شمسها عام ١٩٢١ .. وكان العالم يتغير حينذاك الى الأحسن ويحدوه الأمل فى أن تعم روح التفاؤل فى أوروبا كلها .. أى أن هناك حركة رومانسية جديدة فى طريقها الى الظهور .. وتوارت الدادية .. إذ لم يعد لها ما تستند اليه من مقومات الحياة .

وقد وصف احد الفلاسفة نهاية الدادية بقوله : لقد ازدهرت الدادية فى جو الكآبة والدمار ، وتداعت عندما اشرقت على العالم روح الأمل والتفاؤل ! لقد كانت كالخفافيش لا تحيا إلا فى حلكة الظلام !

جمال قطب



● شقيقة الشاعر ولدت فى مدينة غزة سنة ١٩٤٥ . وتلقت علومها الثانوية فى مدرسة الزهراء بغزة . وحصلت على اجازة قسم الآداب فى اللغة العربية من جامعة القاهرة . كانت شاعرة واما صالحة . توفيت من مرض السرطان فى مستشفى رويال مارسدن فى لندن فى ربيع عام ١٩٨٠ .

على رُدُهات المشافى المضيئةِ وَسْطَ الضبابْ
ساكتب تذكار حزنى
متى كف هذا السحابْ

● ● ●

ساكتبُ سطراً بفحم الحريق ، وَسَطْراً باظفارى الناشبه
واملأ جدرانها الشاحبهْ
بشِعرى ، كصيحةِ وحش جريحْ
يفاجئهُ ـ وهو يطلع فى غابة الموت ـ غيم وريح
يفاجئه برد اسود يتساقط فوق الجروحْ

ساكتب فوق (جناح الاشعة) حتى اصب شعاع عيونى
وفوق (جناح الجراحة) احفر بالظفر اوجاع روحِ الحبيبة
ثم اغير على رُدهة (الكيمياء) ، فاحقن فيها جنونى
وابكى هنا وهناكَ ، ومن فرط قهرى اصيحْ

● ● ●

ساكتبِ فوق جناح الاشعة عن صمت آلاته المفزعه
ومشهدها المتنكر بالاقنعه
وأُلفَتِها المستحيلة بعد انقضاء السنهْ
الا ايها البهو : إن العصافير فيك تموت وليس تغردُ .. انتَ قبيحٌ .. قبيحْ ..
وتشبه قَبْراً ، وفيكَ برودته . ايها الموت : انت فسيحٌ فسيحْ
أظنك وارَيْتَها فيك مذ دخلتك وقالت سلاما
وقد افزعتها صرامة هيئتك الحجريه
واحسبها عَرَفَتْ خَفَقَانَ الفؤاد ، ومَسَّت بمنديلها عرقاً بارداً ، وهنا بدات تتفحص موقعها كالجنود القدامى.
إذن لا سبيل سوى للصمود ، وخير لمثلِك أن تتجلدَ ، خيرٌ لمثلِك ان تتجلد ، خير لمثلك ان تحبس الدمع إلا لماما
إذا استندت فى السرير وعاودها طيف اطفالها الاربعة .
فمدّت إلى رسمِهم يَدَها ، تتامّل نظرةَ عينِ الصغيره .
ويارب ! كم هى ناعمة ناعمه
اليس الوجود مخيفاً على هذه النظرة الحالمه
ولكنها ـ مع ذلك ـ ترجى ابتساما !!



● ● ●

ساكتب فوق جناح الجراحة عن صف تلك المشارط فوق صوانيها المعدنيه
فيا طالما ارتد من رهبة بصرُ الناظرينْ .
اذا انشق باب وقد عبروا مسرعين .

● ● ●

وطالعهم حد شفرتها ، يتوعد بالبتر والقطع ، بالسيف والنطعْ .
كيف بغاليتى وهى جاءت على موعدٍ ؟!
تم تزدرد الريق . تنطق صُفرتها بانبعاثةِ خوفٍ عميق .
وحنظلة فى اللهاة تفح بخاراً كريه السخونة : أىُّ المشارط
ارهف حداً ؟ واى الأطباء اثبت زنداً ؟ وهل يتوقف زحفُ
العدو الضرير الأصم إذا قطع النصل ثدى الأمومة ؟ امْ
يختفى الذئب ثم يعود بناب أحدّ ، لينهشَ ، ينهشَ ، يمتد ،
يمتد ؟ رباه ! ما هذه الظلمات ؟ وهذى الأسرة والهمسات ؟
وخَجْلى هى الشمس خلف النوافذ اشرق منها شعاع وغاب شعاع .
نهار ملفق
وليل مؤرق .
وقُبَّرة لا تطير .
تعلق منها الجناح بشوك السياج
تعلق بالحائط الجهم ، والسقف ، والمزهريات ، والقطرات ولوح الزجاج .

● ● ●

ساكتب فى رُدْهة الكيمياء عن الابر المستدقة . مصاصة الدم ، كل صباح وكل مساء .
عن الوخز فى الغفوات القصيره .
وعن قطرات المحاليل ، إذ تَتَنزل فى عرقها قطرة قطرة ، توهن الصخر والصبرَ والساعد المرتَهَن .
وتَصْلُبها لتكابد ـ بعد الذى كابدته ـ صراع الزمن .
كان الثوانى أدركها الداء فانتفختْ ورماً ، طَفَحَتْ بالبثور ، وعلّقها مارد فى الهواء .
ودبت عليها نِمالٌ ضريره .
تدور على حافةِ الغثيان ، وتسقط فوق بياض الملاءة ، مَوْجَ خواطرَ سوداءَ قادمةً فى كفن .
ستار النهاية ، ثم يكون الصفاء
إذا هَدَّ فاسُ العذابات سِجْنَ البدن .
ولاح الضياء ..
ـ هو الموت .
ـ لو انه الموت !
ـ لكن متى ؟
ـ اقبلوا يا أهالى السماء ، ولا تمكثوا فى الغيوم . تعالوا الى من تمدت لكم يدها ..
اقبِلوا بالعَزاءِ .. العزاءِ .. العزاءْ .

● ● ●

وداعاً وفاء .

● قصة قصيرة ●

عن الغول والعنقاء

حمدي الكحلوت

أ ـ الربوة

فى لحظة صفاء .. يرق الجبل .. تشف القمة عن وجه صبوح .. ويزهو السفح بخضرة غريبة كانى اراها لاول مرة .. تتلاحق فى البعد غيمتان .. اتابع بينهما المساحة الزرقاء وهى تنكمش بالتدريج .. ويدور الراس .. النوم محرم .. أستند براسى الى جدار القلعة .. احتضن أجزاء «الدكتريوف» الدافئة .. اشارك فوهته الطويلة التحديق فى الأفق البعيد .. من هناك يطل وجه أمى .. جميلا .. شاحبا .. تصرخ واقفة .. تهتز الارض تحت قدميها .. استيقظ دفعة واحدة .. فى ضوء الحجرة الخافت اتبين المشهد الرهيب .

كانوا ثلاثة .. وامى واقفة بينهم .. تصرخ .. تنشب اظافرها فى وجوههم تتشبث بالارض والجدران .. وهم باجسامهم الضخمة يردون بجزء يسير من قوتهم وبكل قدرتهم على الضحك والاستهزاء .. لم تكن المعركة متكافئة باى حال .. تضيع صرخاتها فى الهواء .. والليل طرف رابع يغطى الجريمة ويفتح فاها واسعا بالسخرية .. يبتلع الصراخ والاستغاثة .. والضحك وانا اختلس النظر من تحت الغطاء .. الرعب يشل اطرافى عن الحركة .. أربع سنوات لا تكفى حينذاك لاستيعاب المشهد .. لكن الذاكرة الطفلة .. تلتقط الصــورة وقسمات الوجوه القبيحة .. وخطوط الالم والصراخ تؤطرها .. تختزنها .. تذيبها .. وتصنع منها تعويذة أفعال .. حصنا لأيام القحط والموت .. ويخفت الصوت المكمم .. ويقتادونها مكبلة .. ترفرف بذراعيها .. لكن السكين تغوص فى الخاصره .. فتخرس بقية المقاومة .. ويبتعد صوت أقدامهم وجلبتهــم .. فيهجم على البكاء .. حتى الصباح .. دون مغادرة الحجرة .. او فهم لما حدث .

ب ـ الحضيض

المخيم لا يفتح ذراعيه .. مقبرة نعم .. وليس لكل الأموات .. مدرسة نعم .. وليس لكل التلاميذ .. وإغاثة نعم .. وليس لدرجة الحياة .. وجدى يتولى إكمال المهمة .. سبعون عاما .. واربعة اخوة .. وغرفة واحدة .. نعمة .. بل نقمة .. لا هذه ولا تلك .. بل هى بداية البداية .. ففى اوحال المخيم نمت بذرة وحلمت ان تصبح سيفا .. لا تكتفى بشق التربة وتمزيق الخيمة فقط .. بل تغمد فى قلب الاعصار .. فتنهى اسم الغربة .. ان تصبح بيتا للشمس والعصافير فيبتسم المقهورون .. وتنبت زهرة فى مرقد كل شهيد .. ويعتق الحب من الاسر .. وينضب معين الاحزان .

ـ اسمع يا ولدى .. واهتزت لحيته البيضاء المهيبة ولوح لي باصبع امام عينيه : لا أعرف فيما تفكر .. لكن عليك أن تفرح لأن الشتاء القادم لن ياتى ونحن فى نفس الخيمة ..

ـ نعم يا جدى .. سقف القرميد ارحم .. بل انى اكتشفت أن ضيق حجرتنا فيه مزايا كثيرة .. فهو مع البطاطين القليلة والأنفاس الكثيرة أحسن وسيلة لدرء هجوم البرد .. والجوع .. والتفكير ..

ـ أنت لم تعد صغيرا .. وانا لم أعد اقوى على حمـل اكياس التموين .. انكمش جدى داخل معطفه الأبيض .. سعل وحوقل فاسرعت اجيبه الى ما يريد وانا اربت على يده المعروقة :

ـ منذ الدورة القادمة سأذهب معك الى المركز .. أن لك أن تستريح .

وعبر الأزقة فى المخيم الكبير .. عرفت طريقى الى المركز .. وراءك يا جدى اشق زحام الجياع .. افتح الأكيــاس .. والصفائح الفارغة .. حفنات من الدقيق .. والسمن .. والصابون .. واطنان من المر والمذلة .. تغوص فى الجراح الكامنة .. فتلتهب الذاكرة بما فيها .. تستحضر صورتها .. وبؤرة الالم .. والوجوه الثلاثة .. لقد بدأت اتعرف عليها .. لم تعد مجهولة تماما كالامس ..

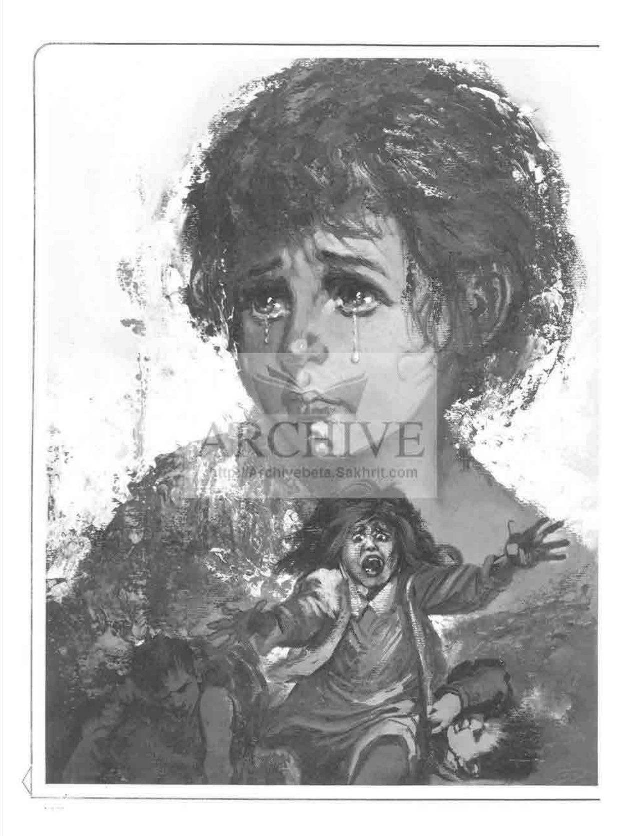
ـ عدت الى التفكير بصوت عال .. لا يهمنى ذلك .. يا ولدى خذ البطاقة انهم ينادون علينا .. لقد جاء دورنا .. ولا تنس ان تأخذها معك الى العيادة .. لتعالج اخيك الصغير ..

ـ نعم .. سأقف فى طوابيـــــر المصدورين وأنصاف الأموات طويلا فى انتظار حبة الأسبرين .. واقراص التخدير . واتسمع اخبار الام عبر الاناشيد والطبول .. والاجتماعات .. والعيون الحزينة .. والموت البطىء .

جـ ـ ما بينهما

.. الآن فهمت كل شيء .. فككت رموز الطوطم .. وتعرفت على الوجوه الثلاثة : الوجه الأول والثانى والثالث . بالاصغاء الى صوت الريح المجروحة عبر شقوق القرميد .. الى انات الجرحى فى الليل الطويل .. الى نشرات الاخبار ورسائل المشردين .. الى احاديث الجد عن القرية والأرض .. اكتملت صورة الوجه الأول .. ياتى فى نهاية قامة طويلة .. أملس كجلد ثعبان .. أحمر كشعلة متقدة .. تتوسطه عينا ذئب .

كان يعتمر قبعة داكنة .. تلقى بظلالها على الجدار المقابل .. وتحفر فى جدار الذاكرة رسوما عميقة .. عرفناه باسم الخواجة رغم انه كان يلبس الملابس العربية ويرطن بلغة ثقيلة ويتقرب من الناس .. مظهرا ورعا وتقوى ورقة جانب .. احبه البعض .. وتقوا به .. وكان حبهم خليطا من المصلحة والاحترام والخوف .. كنت صغيرا .. لكنى لم اكن له إلا مشاعر الكراهية .. فى المرات القليلة



عن الغول والعنقاء

التى رأيته فيها ربما لشكله الغريب .. أو لابتسامته المتقطرسة .. أو لعبارات التحذير التى كانت ترد فى احاديث ابى عنه قبل أن يعتقلوه .. وتحققت كل احاسيسى بالشر تجاهه فى تلك الليلة .. كانت يده اشد وطأة فوق كاهل أمى وبرزت انيابه البشعة وراء القناع الوسيم .

الوجه الثانى كان لمختار القرية .. ومن فى القرية لا يعرفه .. ولا يرهبه ؟ .. بملابسه الفضفاضة ونظراته الحادة .. وسبحته التى يلوح بها دائما اثناء الحديث .. كان يدعى الصداقة لابى وكثيراً ما زار بيتنا .. واذكر مداعباته الثقيلة لى كلما زارنا .. ومعه حاشيته ولا أزال أجهل سبب تلقيبه بالحاج رغم معرفة الجميع بعدم حدوث هذه الحجة ولا انطباقها على مشاريعه الكثيرة الاثمة .. وسلوكه المعروف .. وصداقته الوطيدة مع الخواجة .. ورغم ذلك فقد كان ثريا ويتقرب منه الجميع ويغفرون له كل شىء ففى امكانه الترهيب والترغيب للكبير والصغير ولم يصدق أحد بأنه سبب مصائب القرية كلها أو أنهم يعرفون ولا يريدون التصادم معه حتى كانت تلك الليلة السوداء التى رافق فيها الخواجة علناً .

أما الوجه الثالث فقد لفه الغموض .. لم اشاهد وقتها منه شيئاً . كان مستديراً بظهره فى مواجهة فراشى .. لم ارصد منه سوى قامة نحيلة مسربلة بمعطف أسود .. وقطعة قماش سوداء مستديرة تغطى أعلى الراس .. ولا أدرى كيف ثبتها فى قمة راسه دون أن تسقط كل مدة العراك .. والاغرب من هذا كله تلك الجدائل المتدلية أمام أذنيه .. كان أكثر الثلاثة عنفا وقوة . دفع أمى طوال الوقت .. غاصت سكينه فى خاصرتها ليجبرها على الحركة ولتكف عن الصراخ والرفيف بذراعيها ولتبتعد مكبلة أسيرة فى يديه الغليظتين .. لم يره احد من قبل فى القرية .. يقولون انه من أقرباء الخواجة ويهمسون احيانا بأنه ابنه الغير شرعى .. لا احد يعرف له قوما أو موطنا .. ولا احد يحبه لخبثه وعدوانيته .. حتى قريبه الخواجه . وكذلك المختار الذى تشاجر معه اكثر من مرة لكن دون أن يتجاوز حدوده خوفاً من الخواجه الذى يعطف عليه وسبب مجيئه الى بيتنا فى تلك الليلة المشئومة .

د ـ المحك

يبدو أن تحديقى فى الأفق قد امتد اكثر مما يجب .. فقد بدأت حجارة القلعة تؤلم راسى عند نقطة الارتكاز .. فى حين بدأت تعكر صفو السماء .. غربان على ارتفاع شاهق .. نعرف هذه العلامة .. نستعد لها .. تدور الفوهات فى كل اتجاه .. تتعالى اصوات الرجال .. ينشدون .. يردون بالفولاذ .. يتحركون بفرح كأنهم فى عرس .. استعدوا له .. ويعرفون عدد الوافدين .. وموعد قدومهم .. وطريقة التعامل معهم .. ونواياهم .

ذهب سرب واتى اخر .. والارض تئن وتهتز .. والرجال ثابتون .. هنا القمة .. البحر يقذف حجيمه والارض تميد بأهلها .. والجبل يكشر عن انيابه هى الإبادة .. وأصوات الرجال تختلط بالدخان الكثيف .. نحن هنا وهنا القمة تتماسك حجارة فى القلعة .. وتتساقط حجارة .. لم تعد تقوى على التعامل مع الفولاذ بعد المنجنيق .. ومع حصار الجو والبحر والأرض بعد حصار الأرض وحدها .. ورفاقى من حولى ينشدون لها .. نحن هنا وهنا القمة .. ويتوافد أهل العرس .. كلما تكاثرت الغيوم .. وتقبل الأرض وجه فتيانها .. تعانق شوقهم للحياة .. للشمس .. للأرض .. تمتص حبهم .. دمهم احلامهم .. ولكنا نبقى هنا وتبقى هنا القمة .



رويداً .. رويدا .. تنسحب الفلول .. وتنقشع سحب الدخان الأسود .. والموت وتنعق فى الجو آخر بومة .. عائدة .. فاضمد الجرح وأحنو على مدفعى انظف فيه الرماد .. والتقط منظارى أراقب اخر مجموعة اجتازت الحد .. وتحدت .. لتنقل الى الام السلام .. والاصرار .. وتسمع من فمها اخر الاخبار .. عن وجوه ثلاثة .. أسرتها وماتزال .. أدور بناظرى على القمم .. فتبدو لى فى لحظة صفاء .. بعد العاصفة .. وقبل العاصفة .. التالية .. ويبدو الجبل رقيقاً .. ويزهو السفح بخضرة غريبة .. وفى السماء تتراكض غيمتان .. أتابع بينهما المساحات الزرقاء تتشكل وتكون صوراً وأشكالا .. ولكن تظل العين مع الأفق البعيد .. وتظل فى الذاكرة صورة الأم والوجوه الثلاثة .. وخطوط الألم تؤطر الصورة القاتمة .. وصوت المذياع بقربى يتحدث عن الأصدقاء الثلاثة : «.. نعم .. فالخواجة صديق رغم كل شىء .. وهو لا ذنب له بأن ذراعه غادره .. عدوانية .. فصداقتنا معه هو وليس مع ذراعه .. الوجه الثالث له .. وعلينا أن نتضامن لنحارب ذراعه فقط .. ونبقى عليه صديقا فهناك ما هو اشد خطراً علينا جميعاً .. هناك الغول والعنقاء والديناصور وأحلامنا ومعاركنا فى جزر الواق واق !!!» .. أعود الى الدكتريوف احضنه .. أطوح بالمذياع بعيداً .. لتبقى الصورة رائعة .. تلك الآتية من الأفق .. ومع الغد ...

حمدى الحكلوت

د. محمد الغباشي ربيع

الخيول العربية

حكاية خالدة مع الشعراء وأبطال الملاحم الشعبية



● للخيول قصة عريقة وشيقة يقال انها كانت وحشية غير مستأنسة ثم كان أول من اعتنى بها هو اسماعيل بن ابراهيم . سخرها الله له فكانت أول من ركبها . وكان نبى الله داود محباً للخيل شغوفاً بها فجمع منها ألف فرس ورثها عنه سليمان فقال فيها «ما ورثنى داود مالا أحب إلي من هذه الخيل» .. وكانت تطلق على الخيل كلمة «الخير» لتفاؤلهم بها ، وبما كانت تجلبه من الخير فى الصيد ، والرهان ، وتحقيق النصر على الأعداء . وقيل إن «سليمان» جلس يستعرض خيوله يوماً ما حتى شغلته عن صلاة العصر ولم يبق منها سوى مائة فرس ، فأدرك فوات الصلاة ، فغضب ، وقام لصلاته ثم عاد لاستعراض المائة الباقية قائلا : «هذه المائة أحب إلي من التسعمائة التى فتنتنى عن ذكر ربى . ●

الخيول العربية





لوحات تمثل الخيول العربية فى التاريخ العربى .. عندما كان الفارس هو سيد القبيلة وحاميها .

زاد الطريق

ويرجع أصل الخيول العربية الى خيول سليمان بن داود ، فلقد جاءه جماعة من عمان بعد زواجه من بلقيس ملكة سبا يسالونه فى امر دينهم ودنياهم وعندما هموا بالرحيل سالوه على ما يعينهم على زاد الطريق فى رحلة العودة فامر لهم باحد خيوله لاستعماله فى الصيد فكان خير الزاد واطلقوا عليه بعد العودة «زاد الراكب» . وكان زاد الراكب اول فرس بين خيول العرب من خيل داود مثلما كان زاد الراكب من اجود الخيول فقاموا بتزويجه من افراسهم فانتجوا من سلالته الهجين ، والديناری . ثم توالت الانساب والاحساب بين خيول العرب من سلالة زاد الراكب فكان منها أعوج ، وسبل ، وذو العقال ، وجلوى ، والخرز الى أن كانت مائة وسبعة وخمسين فرسا معروفة فى الجاهلية والاسلام ، وهذه الأسماء يعرفها من هو ذو خبرة ودراية بتاريخ الخيول العربية ولا يتسع الحديث هنا عن ذكرها بالتفصيل .

الخيول أولا

والخيول تنحدر من أصل الخيول البرية والتى كانت تعيش منذ بدء الخليقة فى أسيا وافريقيا .

● ماهي حكاية أول فرس بين خيول العرب؟ وكيف توالت الأنساب والأحساب في الجاهلية والإسلام؟

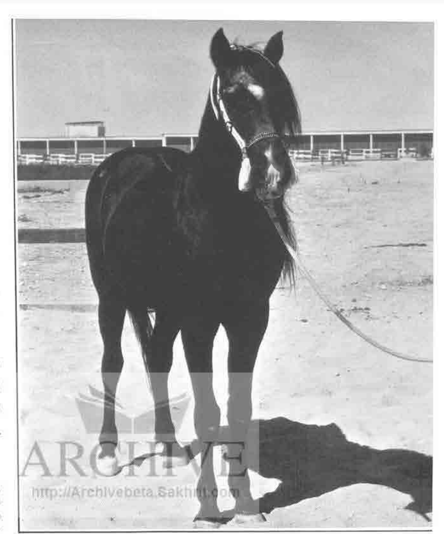
● كان العرب يفضلون الخيول على الأولاد.. وذات مرّة هجا عنترة قوماً لأنهم أهملوا خيولهم!

«ودندان» أجمل الخيول القطرية .. وسهم أجمل الخيول العربية فى القاهرة .





الخيول العربية



● كيف ارتبطت أسماء الخيول بالبطولات والانتصارات والفروسية في الإسلام؟

● الحسناء التي وصفها امرؤ القيس بالفرس الذي لا يسبقه أي شيء حتى الوحوش!

لقطتان .. الأولى لحصان عربي في قطر له كل ميزات الخيول الأصيلة .. واللقطة الأخرى لتدريب الخيول على الفروسية في مدينة الدوحة .

ولم يكن العرب فى الجاهلية يهتمون بشىء من الحيوانات قدر اهتمامهم بالخيول ، فكانت تنال تكريمهم الى درجة تفضيلها على أولادهم وأنفسهم إذ قال عمر بن مالك :

وسابح كعقاب الدجن اجمله
دون العيال له الايثار واللطف

وكان بعضهم يعير البعض على عدم اهتمامه بخيوله فقال عنترة يهجو قوما اهملوا خيولهم :

ابن ذبيبة ما لمهركم
متهوشا وبطونكم عجر

وجاء الدين الاسلامى الحنيف فكرم الخيل «واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على تربيتها ، وزاد اهتمامه بها فكان يعطى للفرس فى تقسيم الغنائم سهمين وللفارس سهماً واحداً ونهى ايضاً عن جز آذناب الخيل وأعرافها ونواصيها فقال : اما اذنابها فمذابها واما أعرافها فادفاؤها واما نواصيها ففيها الخير .

وكان النبى عليه الصلاة والسلام يرتبط من الخيول لزاز ، ولحاف ، والمرتجز ، والسكب ، واليعسوب .

وكان لحمزة بن عبد المطلب فرس تدعى «ورد» وهى من بنات ذى العقال ولد أعوج كان يرتبطها ضمن خيوله فى سبيل الله وتحقيق النصر على الكفار ، وقال فيها :

ليس عندى إلا سلاح وورد
قارح من بنات ذى العقال
اتقى دونه المنايا بنفسى
وهو دونى يغشى صدور العوالى

ولقد ارتبط اسم الخيل بالبطولات والفروسية والانتصارات منذ القدم ولعبت الخيول دورا أساسيا فى تحقيق النصر للعرب فى الفتوحات الاسلامية وارتبطت ايضا بالأسماء اللامعة فى القصص والملاحم الشعبية مثل «عنترة ابن شداد» الذى قال فى فرسه الادهم :

يدعون عنتر والرماح كأنها
أشطان بئر فى لبان الأدهم

وكما حرص العرب على تسمية خيولهم حرصوا ايضا على الوانها فللخيول الوان منها الأدهم ، والاخضر ، والكميت ، والأصفر ، والأشقر ، والأشهب



وورد ، والأبرش ، وملمع ، ومولع ، واشم ، واشهر الوانها الكميت وهو الفرس الشديد الحمرة عرفه وغرته وذيله سود وإن كانت حمراً فهو أشقر ، والورد فيما بين الكميت والأشقر .

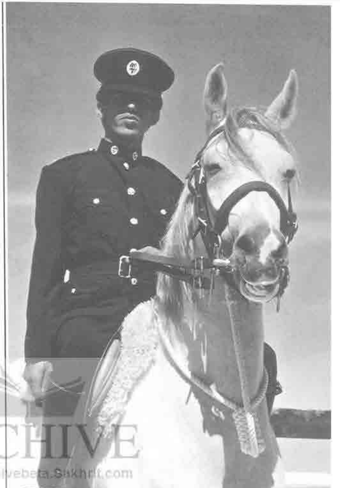
حتى أصوات الخيل لها مسميات فمنها الحمحمة ، والوهوهة ، والنهم ، والصئى ، والصهيل ، والضباح . قال تعالى يقسم بالخيل الضباح فى سورة العاديات : «والعاديات ضبحا» وهى الخيل التى كانت تستعمل فى الغزوات التى تعدو فتضبح .

وللخيول ايضاً علامات مميزة مرغوب بعضها ومكروه البعض وقد وصف العرب كل جزء فى جسم الحصان باسمه ابتداء من قمة الرأس وحتى حافره الى خصلة الذيل وبدقة تامة لم يستطع بعدها علماء الشرق والغرب إلا أن يأخذوها كما هى بعد ترجمتها من اللغة العربية .

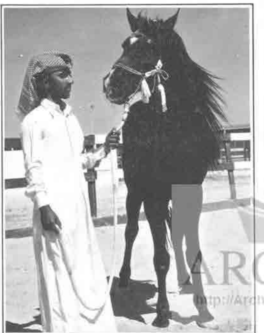
ومن العلامات المحبوبة فى الخيل بياض الجبهة والذى يقع بين العينين حتى الشفة العليا وتسمى «السيالة» ـ وكذلك الحجل وهو بياض المنطقة فوق الحافر وخاصة إذا كان محجلا الثلاثة عدا الأمامية ـ والشكال من الخيل غير مرغوب فيه وهو المحجل اليد اليسرى مع رجله اليمنى او رجله اليسرى مع يده اليمنى .

والذكر من الخيل يطلق عليه الحصان ويطلق اسم الخيل على الجماعة وسميت خيلا لاختيالها فى مشيتها ـ ويطلق اسم الفرس على الذكر والأنثى ـ اما الجواد فهو الفرس الجيد العدو وسمى جواداً لأنه جواد فى عدوه ومن احسن الجياد هى الجياد الصافنات : أى الذى يرفع احدى يديه ويقف على طرف سنبكه وقد يفعل ذلك باحد أرجله وهى قمة اللياقة .

والفلو هو الصغير بعد افتلائه من أمه أى بعد فطامه ويظل فلواً حتى يبلغ من العمر سنة ويسمى حولى حتى يستكمل عامين كاملين ـ والمهر هو ولد الفرس والأنثى مهرة والعتيق من الخيل النقى وهو غير قابل للطعن فى أصالته العربية والعتيق تعنى الكريم وتطلق على الجواد الرائع العربى الأبوين والأجداد . وكانت الخيل مرتعاً خصباً لخيال الشعراء فقال يصفها امرؤ القيس :



الخيول العربية مع مدربيها



له أيطلا ظبي وساقا نعامة
وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وقال في قصيدة أخرى :

وقد اغتدى والطير فى وكناتها
بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا
كجلمود صخر حطه السيل من عل

وقيد الأوابد هو الفرس الجواد الذى لا يسبقه اى شىء حتى الوحوش ومن الأساطير القديمة ان الخيل فى المنام عز وقوة وزينة .

ومن طباع الخيل : الخيلاء ، والزهو بالنفس ، والسرور، ومحبة صاحبه ومما يدل على كرم النفس انه لا ياكل بقية علف غيره وهو كبنى البشر طبعه المرح ، والزعل ، والاكتئاب .

والحصان العربى من احسن انواع الخيول على الاطلاق واقدرها . وموطنه الأصلى شبه الجزيرة العربية ، وهو من اجود انواع الخيول . ويمتاز بصفاته الوراثية الأصيلة التى لم تتغير على مرور أجياله فلقد ثبت انه الأقدر على السرعة وقوة التحمل والعزيمة والصبر حيث أكسبته الصحراء هذه الصفات دون الخيول الأوربية التى عاشت فى المناطق الغنية بالمراعى ، والتى يتصف معظمها بضخامة حجمها وعنفها وشراستها .

ويشتهر الحصان العربى أيضا برقته ووفائه وحسن خلقه ، ويبلغ متوسط ارتفاعه حوالى ستة وخمسين بوصة ويمتاز بصغر رأسه وجبهته العريضة واذنيه الصغيرتين الرقيقتين وبعينه الكحيلة الواسعة وانفه البارز المقعر من اسفل جبهته ، وباتساع منخاريه وفمه الوسيم ، وبشفتيه الرقيقتين وفكه العريض . وهو واسع الصدر ضيق الخاصرة رشيق الاضلاع مفتول العضلات ساعداه قويان طويلان وركبتاه عريضتان وعرقوباه قويان . حوافره سوداء قوية صلبة متوسطة الميل على الأرض . عنقه مقوس قليلا بالتحديب الى اعلا ، ظهره قصير مستقيم عريض ، وينتهى بكفل عريض مستقيم وذيله ينتهى بخصلة من الشعر الطويل الجميل .

وانطلاقا من ايمان دولة قطر فى المساهمة بالحفاظ على التراث العربى



المجلات التى تصدر عن الحصان العربى .. وأشهر الخيول العربية فى منطقة الزهراء بالقاهرة

اهتمام دولة قطر بتربية الخيول العربية جعلها تفوز فى دورة الخليج العربية للفروسية

من الخيول العربية الأصيلة أعطت الاهتمام الأكبر لها والعمل على زيادة أعدادها وعلى تدريب الشباب القطرى وغرس رياضة الفروسية فى انفسهم . فقد انشأت ناديا للسباق والفروسية يتبع المركز الأعلى لرعاية الشباب برعاه سمو الشيخ حمد بن خليفة ال ثانى ولى العهد ووزير الدفاع بنفسه ويتولى ادارته الشيخ عبد الله بن علي ال ثانى رئيس اتحاد الفروسية ، وعبد الله بن علي العطية رئيسا له ، بالاضافة الى مجموعة على قدر كبير من الكفاءة للقيام بتدريب الشباب على القفز والسباق .

وينال نادى السباق والفروسية الرعاية الكاملة حتى أصبح الآن يضم عددا كبيرا من الخيول العربية الأصيلة والمدربة تدريبا عاليا على القفز والسباق حيث تنقسم هذه الخيول الى خمس مجموعات وهى خيول السباق ، وخيول القفز ، وخيول التدريب ، وخيول الانتاج والمهور الصغيرة .

وتقدم للخيول الرعاية الطبية الكاملة بالاضافة الى نظام غذائى مدروس بدقة حسب المجهود ونوع العمل الذى يقوم به كل فرس على حدة . مثلما يتاح لها ايضا نوع خاص من الرعاية للعمل على زيادة الانتاج وزيادة العدد من الخيول العربية ذات الصفات النقية العتيقة .

وتعتبر دولة قطر احدى الدول المؤسسة لدورة الخليج العربية للفروسية والتى تقام سنويا بين دول المنطقة ، والتى فازت فيها دولة قطر فى السنوات الأخيرة بمراكز متقدمة بفرسيها «حامد» و «وردة» .

ويقوم النادى صباح كل يوم بتمرين الخيول وتدريبها على القفز والسباق وتخصص الفترة المسائية لتدريب الهواة والناشئين من الفرسان .

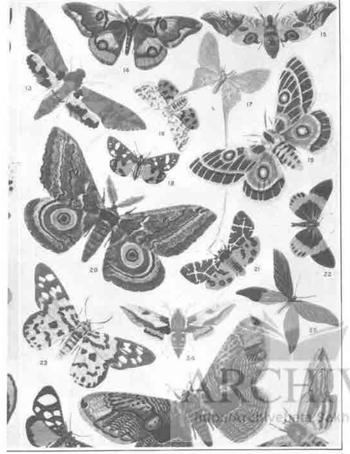
وعلى مر الأيام والسنين سوف لا تنتهى الصداقة بين الانسان والخيول بالرغم من وسائل الرفاهية وتقدم عالم السيارات والنقل الحديثة . فان الخيول هى الوسيلة التى يجد الانسان فيها المتعة والعز والجمال الى جانب المرح والسرور وارضاء لرغبته فى التمتع بالحياة وصدق الله العظيم حين قال فى كتابه العزيز «والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة» .

د. محمد الغباشى ربيع

د. عبد المحسن صالح



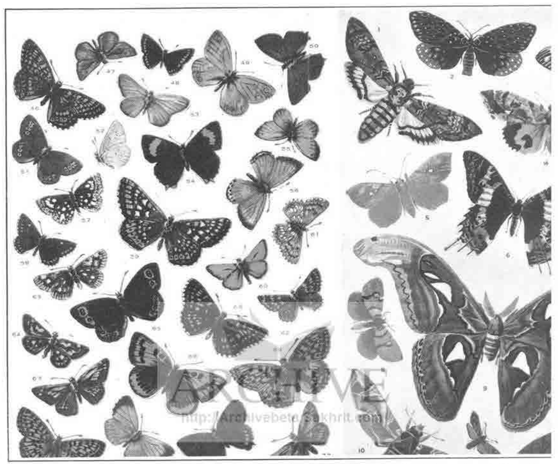
نعم حشرات لكنها حسناوات



مهرجان بديع من فراشات ذات احجام والوان مختلفة .. وما تراه فى الصور المنشورة ليس إلا بمثابة فقرة صغيرة فى مجلد كبير ، إذ يوجد من هذه الانواع عشرات الالوف ، وكل نوع قد جاء «بديكورات» تختلف عن اى نوع اخر ، وكانما هذه الألوان قد اصبحت بمثابة الهوية التى تحدد لكل نوع عائلته ورتبته التى ينتمى اليها .. وكم فى الطبيعة من «متاحف» جميلة حية !

.. من عادة معظم الناس انهم يذكرون الحشرات بسيئاتها ويتغاضون عن حسناتها .. رغم أن الحسنات اكثر من السيئات .. فأردأ انواع الصفات التى يمكن أن تلصق بانسان ، هو وصفه بأنه حشرة يمكن أن يداس مثلها بالنعال .. منتهى التحقير !

والحق ان كثيراً من الحشرات لا يستحق هذا التحقير .. صحيح أن قليلها سيء وقبيح ، لكن كثيرها نافع وجميل ، او باضعف الايمان لا أذى منها ولا ضرر ، لأن لها مجتمعاتها وبيئاتها التى عاشت بها بعيداً عن أذى الانسان .. لكنها مع ذلك لا تسلم من أذى هذا المخلوق المتجبر المتغطرس على نوعه ، او على كل نوع آخر سواه .. أفلا يكفينا مثلا ان الانسان قد بدأ يمر فى بيئته ، ويلوث هواءه



وماءه وأرضه ، ويقلب موازين الطبيعة التى أرسى الله قواعدها بالعدل والقسطاس من قديم الأزل ؟ .. قال تعالى «والأرض مددناها ، والقينا فيها رواسي ، وانبتنا فيها من كل زوج بهيج» .. والواقع أن الحشرات هى قمة هذه الموازين ، فأى خلل فى توازنها ، سوف ينعكس على خلل بيئة الانسان والحيوان والنبات .. اى ان ما يراه الانسان بنظرته القاصرة شراً ، قد يكون فيه الخير على مستوى الحياة ذاتها .. ذلك ان الحياة لا تهتم بالأفراد قدر اهتمامها بالأنواع ، فالأفراد زائلون ، لكن الأنواع باقية ، ومن صراعها ودفعها الأزلى ، نشا التوازن الذى تباركه السماء .

عالم كبير ومثير

دعنا نتصور ان انسانا قد تفرغ للتعرف على أنواع الحشرات التى تشاركه الحياة على هذا الكوكب ، وانه منح كل نوع من وقته دقيقة واحدة ، ليلقى عليه نظرة فاحصة ، ويطلع على بعض تفاصيله الظاهرة ، أو على بعض ما حبته به الطبيعة من تناسق فى الألوان ، قد تجذب لجمالها فضول كل فنان .. عندئذ لن ينتهى من هذا العرض إلا بعد سنتين كاملتين ، أو ربما أكثر ، وعلى شرط ألا يضيع دقيقة واحدة أناء الليل وأطراف النهار ، ذلك أن عدد أنواع الحشرات يربو على المليون نوع ، وهى دائما قابلة للزيادة ، إذ يضيف العلماء الى هذه القائمة الضخمة عدة آلاف من الأنواع الجديدة المكتشفة كل عام ، وهذا ينبئك بأن الله يخلق ما يشاء بغير حساب !

وعلينا الا ندخل فى هذه القائمة انواع العقارب (٦٥٠ نوعا) والعناكب (٢٠ الف نوع) ، والقراد (١٠ آلاف نوع) وعديدات الأرجل (١٧٠٠ نوع) .. الى آخر هذه القائمة التى تضم مئات الألوف من الأنواع ، وقد يحسبها الانسان حشرات ، وما هى بذلك ، وإن كانت تتبع معها قبيلة كبيرة يطلق عليها اسم ذوات الأرجل المفصلية !

لكن لا علينا من كل ذلك ، ولنتركه لعلماء الحشرات الذين يتوهون فى غابات من التقسيم والأسماء التى تملأ مجلدات من فوق مجلدات .. فالمعروف أن عدد انواع رتب الحشرات تفوق كل الأنواع الأخرى فى مملكة الحيوان بثلاثة او أربعة أضعاف ، ولقد ظهرت الحشرات أول ما ظهرت منذ حوالى ٣٥٠ مليونا من الأعوام ، وتعرضت لكل المحن والمصائب والظروف الصعبة التى لا

نعم حشرات لكنها حسناوات

يمكن أن يتحملها البشر ، ورغم ذلك فقد شقت طريقها ، وتخطت كل العوائق ، واثبتت وجودها فى كل بيئة ارضية او مائية يصعب على العقل تصورها ، فمنها انواع تعيش على النبات والحيوان الذى يسكن القطبين ، ومنها ما اثبت وجوده فى الكهوف العميقة ، او فى الصحارى الحارة القاحلة ، ومنها ما يعيش فى مياه البحار والانهار والمستنقعات ، او يعيش مدفونا تحت حبيبات الثرى ، او متطفلا على الانسان والحيوان والنبات ، او يحيا حياة رمامة ، او ينشىء لنفسه حياة اجتماعية متطورة قد تجذب لنظامها ودقتها وفنونها انظار المتاملين فى حياة الكائنات .. وباختصار فان الحشرات لم تترك ركنا من هذا الكوكب إلا وكان لها فيه نصيب ، وكأنما لسان حالها يقول «نحن دائما هنا ، فالكوكب كوكبنا ، والكفاح والصمود سبيلنا» !

مميزات عالية

لكن .. ما الذى ساعدها على هذا الصمود والانتشار ؟

الواقع انها اكتسبت ميزات يسيل لها لعاب الانسان .. فبعض انواع الحشرات قد اجتاز الامتحان الصعب الذى وضعه لها العلماء .. من ذلك مثلا انهم وضعوها فى درجة حرارة تصل الى ٣٠ تحت الصفر المئوى ، فتجمدت واصبحت صلبة كالثلج ، وعندما خرجت من هذا الاختبار الصعب ، تحركت وانطلقت الى حال سبيلها ، وهذا ما لا يقدر عليه الانسان ، إذ لابد ان ينتقل بعدها الى رحمة مولاه ، وعلى الجانب الآخر اكتشف العلماء بعض الحشرات المائية وهى تعيش طيلة حياتها فى مياه الينابيع الحارة التى تصل حرارتها الى اكثر من ٥٠ درجة مئوية .. جرب ذلك مع انسان او حيوان او نبات تجده ينفق فى غضون ساعات !

او جرب وضع انسان او حيوان فى وعاء او كابينة مفرغة من الهواء ، تجده يدمى وينفجر ويموت ، لكن بعض الحشرات تحت هذه الظروف لا تموت .. او اغمر سمكة اوحيوانا او دودة او نباتا فى محلول من الملح المركز حتى درجة التشبع ، ترى انسجته قد فقدت ماءها وتكرمشت كجسد مومياء محنطة ، لكن بعض انواع الحشرات تستطيع ان تعيش فى المياه الملحية المركزة حتى درجة التشبع (وهى الاحواض المائية التى نحصل منها على ملح الطعام عندما تصل الى قمة تركيزها) .. وغيرها يستطيع ان يقاوم غياب غاز الاوكسجين لساعات ، واخرى تعيش على البترول او الزيت الخام .. وباختصار ، فلقد تاقلمت الحشرات وتكيفت مع كل بيئة غريبة على مداركنا ، وكأنما هى قد حلت علينا من كوكب اخر ، رغم انها نشأت قبلنا ، وصمدت ، والحياة تحب الصامدين ، وتقضى على الضعفاء والمستضعفين .. بشرا كانوا او حشرات !

ولقد عبر موريس ميترلينك عن ذلك اجمل تعبير ، إذ نراه يكتب «يبدو ان شيئا فى الحشرات قد جعلها مخالفة لكل عرف وتقليد يطوف بعقولنا من حيث العادات والسلوكيات والمعنويات .. انها اكثر منا قوة وشيطانية وفُظاعة وحماقة وشذوذا على كل ما هو مالوف» !

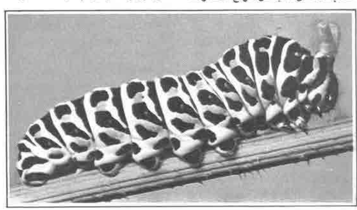
ثم يكتب دكتور ج . هولاند «عندما يبهت القمر ، وتذوى الشمس ، وتلف الارض طبقات من جليد ، وتنتهى حياة الانسان والحيوان والنبات ، وتزول المدن ويصبح كوكبنا خرابا وصقيعا لا تستقيم معه الحياة ، عندئذ قد تكون هناك حشرة تتشبث باشنة (نبات دنىء) ، وتلوح بقرنى استشعارها ، علامة على انها الوحيدة التى صمدت للمصيبة دون سائر الحيوانات» !

ولهذا الوصف ما يبرره ، لأن الحشرات قد امتلكت مؤهلات يمكن ان تسود بها فى كل البيئات التى تعمل لها البشر ألف حساب وحساب ، كما انك لو قارنت قوتها وشدة تحملها بانسان مع اخذنا فى الاعتبار حجم هذه وذاك ، لوجدت ان الحشرة فى النهاية تكسب ، والانسان يخسر !

كفاءات تحطم غرور الانسان !

خذ على سبيل المثال نملة ، انها بالنسبة لنا طبعا صغيرة الشأن ، ضئيلة الوزن ، لكن من الضالة قد تنبع القوة ، إذ انها تستطيع ان تحمل بين فكيها طعاما اثقل من وزنها بحوالى ٥٠ مرة ، ولناخذ انسانا وزنه ٨٠ كيلو جراما عندئذ عليه ان يرفع بين فكيه حملا يصل وزنه الى ٤٠٠٠ كيلو جرام حتى يكسب الرهان من نملة .. وهو لن يكسب أبدا ، حتى ولو استعان على ذلك بذراعيه وساقيه ، لأن الرقم القياسى العالمى أصغر من ذلك بكثير (حوالى ٢١٣ كيلو جراما) .

ويبلغ فضول بعض العلماء مداه للكشف عن قوة هذه الحشرات ، فيقومون بتجارب قد نحسبها صبيانية ، لكنها توضح أسرارا تحتفظ بها تلك الكائنات .. من ذلك مثلا انهم صنعوا عربة صغيرة ،



دودة أو يرقة اخرى جاءت بتوزيع اخر مختلف في الالوان ، ولا شك ان الطبيعة غنية «بديكورات» جميلة بالالاف ، لكن جمالها يخفى عن عيون كثير من البشر ، ومع ذلك فلهذا النوع من الزخرفة مريدون



مهرجان متحرك من الألوان ، وكأنما قد خطته يد فنان .. فهذه الدورة هى طور يسمى باليرقة ، وبعد هذا الطور تدخل فى طور اخر يعرف باسم طور «العذراء» ، وفيه تصبح فى شرنقتها كالمومياء ، واخيرا تتطور وتتحول لتصبح فراشة جميلة ، وعليها تتوزع الألوان بطريقة اخرى .. وما اروع الفنون ـ فنون الحياة .

وجاءوا بنحلة . وربطوها فيها كما نربط حميرنا فى عرباتنا ، ووضعوا فى عربة النحلة اثقالا مناسبة ، وجاءت النتيجة صفعة للانسان ، فلقد استطاعت النحلة أن تجر اثقالا أكبرمن وزنها بأكثر من ٣٠٠ مرة ، وعلى الانسان أن يجر فى هذه الحالة ثلاث عربات ، ووزن كل عربة ما بين ٩ ـ ١٠ أطنان .. فهل يستطيع ؟

حتى البرغوث حقق رقما قياسيا فى المسافة والارتفاع ، إذ أنه فى قفزة واحدة قطع مسافة أطول من جسمه بحوالى ٢٠٠ مرة ، ولكى يحقق الانسان ذلك ، فعليه أن يقفز ٣٥٠ مترا فى قفزة واحدة ، ولابد ان يرتفع بها الى مائتى متر (اى أعلى من برج القاهرة) ، وعندئذ ستدق عظامه فى لحمه من هول الصدمة ، ذلك أن مفصليات البرغوث وعضلاتهقد أعطته ميزة لم يحظ بها انسان ولا قرد ولا حصان !

وتستطيع بعض انواع الذباب الطنان ان تطير بسرعة ٤٠ كيلو مترا فى الساعة ، وفى حالات طارئة قد ترتفع الى ٦٠ كيلو مترا .. أما نحلة العسل فيبلغ متوسط سرعتها حوالى ١٨ كيلو مترا فى الساعة ، لكن هناك عملية حسابية طريفة مؤداها أن النحلة تستطيع أن تقطع مسافة ستة ملايين ونصف مليون كيلو متر بجالون واحد من رحيق الأزهار أو العسل ، وطبيعى ان ذلك لا يحدث ، ولكن الأرقام توضح لنا اقتصاديات الطاقة التى تحققها الحشرات ، ولا يمكن أن يحققها الانسان .. لا مع نفسه ولا مع آلاته !

وعندما تطير بعض الحشرات ، وتضرب باجنحتها فى الهواء ، فانها تحقق بها اهتزازات خيالية ، إذ يصل معدلها الى ٦٢,٧٦٠ اهتزازة فى الدقيقة ، أو ما يزيد على ألف فى الثانية الواحدة وفى تجربة أجريت تحت ظروف خاصة لواحدة من الحشرات الصغيرة ذات الأجنحة الرقيقة ، تبين أن المعدل قد

ارتفع الى ١٣٣،٠٨٠ فى الدقيقة ، وطبيعى أن الذى يحرك الأجنحة عضلات ، ولم يعرف العلماء حتى الآن عضلة يمكن ان تهتز بين انقباض وانبساط بمثل هذه السرعة الفائقة !

والغريب أن عدد العضلات فى بعض انواع الحشرات تفوق عدد العضلات فى الانسان أضعافا ، فجسم الانسان يحتوى على حوالى ٨٠٠ عضلة مميزة ، فى حين ان الجرادة تمتلك ٩٠٠ عضلة ، وبعض اليرقات (الديدان) التى تتحور فيما بعد الى عذراوات وحشرات بالغة ، يصل فيها العدد الى حوالى ٤٠٠٠ عضلة مميزة ..

والأرقام بعد ذلك كثيرة ، والمفارقات غريبة بين حشرة وانسان !

وللحشرات مبادىء فى الحياة!

لا شك ان هذا العنوان مضلل ، ولهذا وجب علينا ان نسارع بالقول ونشير الى ان المبادىء الحشرية ليست على مستوى المبادىء البشرية ، وهى التى نعرفها نحن فى حياتنا على هيئات شتى كالصدق والأمانة والرحمة والعدل واحترام الغير .. الخ ، ومع ذلك ، فللحشرات مبدآن أساسيان ، اولهما : حاول ان تاكل ، وحاذر ان تؤكل ، وثانيهما : تناكح وتكاثر حتى يبقى للنوع قوته وصموده !

ولكى يصبح لهذين المبداين مغزى فى الحياة ، دعنا نتصور ـ مجرد تصور ـ أن الانسان قد تضاءل وأصبح فى حجم الحشرة ، وعندئذ سيصبح فى وضع لا يحسد عليه ، ولابد ـ والحال كذلك ـ انه يجد نفسه مرغما على تطبيق المبداين السالفين ـ أى لا يكون مستسلما ومتواكلا ، بل عليه ان يضع نصب عينيه الحذر .. كل الحذر ، فالأعداء كثيرون .. عقارب وعناكب وطيور وضفادع وزنابير وحيات وحيوانات من هواة اكل الحشرات .. الى اخر هذه القائمة من الجياع التى لا هم لها إلا ان تاكل قبل ان تؤكل ، ولا شك ان الانسان «الحشرة» سوف ينتابه رعب قاتل (مع فرض انه لايزال يحتفظ بعقله) فهو لم يمارس هذه الحياة البشعة التى يكمن فيها خطر الموت مع كل خطوة من خطوات قدميه الضئيلتين .. فهو لم يمارس القفز ولا الطيران ولا التمويه ولا التخفى ولا المناورة ولا حفر المخابىء ولا المقاومة التى حظيت بها الحشرات ، وقد يكون هذا الانسان متغطرسا ومتجبرا ومتعجرفا مع مجتمعه البشرى ، لكنه لن يكون كذلك فى هذا المجتمع الحيوانى والحشرى ، بل سيصبح مغبونا مهيض الجناح فى مجتمع من الرعاع ، فلا حكم هناك إلا حكم القوة ، وحكم الغاب !

وقد يشعر المسكين بطنين نحلة طنانة ، فيحسبها طائرة نفاثة ، فيهرب على قدر ما تسعفه ساقيه الرقيقتين ، وعندئذ قد تبرز له مصيبة تختفى تحت ورقة شجرة ، فيهرب ، وبعدها قد يقابله عنكبوت متربص على باب حفرته ، فيهرب ، وقد يقفز دون قصد منه قفزة عشوائية ، فيقع أسيرا فى شبكة عنكبوت آخر ، وعندئذ لا يستطيع خلاصا ، واليه يتقدم العنكبوت ليمتص عصارته ، وقد يصرخ ، لكن ما من سميع ولا منقذ ولا مجيب ، وقد يأتى فى تلك الأثناء ضفدع ، فياكل العنكبوت بما اكل ، وقبل ان يهنأ الضفدع بوليمته ، تأتيه مصيبة على هيئة حية ، فتاكل كل من اكل واكل واكل !

وطبيعى أن ما قدمناه هنا ليس إلا صورة مصغرة ومتواضعة لسلاسل معقدة ومتشابكة ، وتعرف باسم سلاسل الطعام .. وهى تعنى ببساطة : ان كل من اكل لابد ان يؤكل .. او عندما تجوع البطون ، فكل المبادىء تهون ، خاصة فى عالم «الرعاع» ، ولا يختلف هنا ـ من حيث المبدأ ـ البشر عن الحشرات او اى كائن آخر !

المبدأ الثانى

ومادامت الأمور تسير هناك على مبدأ اشباع البطون ، فلابد ان يعوض المفقود عن طريق المولود ، وهنا يظهر المبدأ الثانى : تناكحوا وتكاثروا .. لتكون هناك



فراشة من مدغشقر ، وهى تعتبر من اكبر واجمل انواع الفراشات ، ولهذا يطلقون عليها احيانا الفتنة المحلقة !



نعم .. خنافس ، لكنها بمثابة الزبرجد الحى ، وهى تعتبر من اكثر الحشرات جاذبية ، خاصة عندما تلمع فى اشعة الشمس ، فتحسبها حجرا من الاحجار الكريمة ، ولا غرو ـ والحال كذلك ـ ان تصبح زينة للنساء !

ذرية تعوض الماكول ، وتحفظ الانواع من الانقراض .. وقد كان !

وقد يتقابل الانسان الحشرى ـ الذى لايزال يعيش فى رعب دائم ـ مع نملة محنكة فيانس اليها ، وتانس اليه (المعروف ان بعض انواع النمل تستضيف فى مستعمراتها حشرات أخرى ، وليكن صاحبنا من هؤلاء الضيوف) ، وقد يطلعها على بعض معالم حياة عالمه ، وعندئذ ترق لحاله ، وتعلمه الحكمة ، وكانما هو «سليمان» زمانه ، فتقول «اعلم يا صاح ان كل هذه الانواع قد صمدت عشرات الملايين من السنين عن طريق حيل ووسائل لتتجنب بها المخاطر ، وعلى رأس هذه الوسائل تاتى ضخامة التناسل ، فلا احد هنا يستطيع ان يتجنب المحظور .. ولا شك ان لنا أعداء كثيرين ، ونقع لها ضحايا بالملايين ، فلماذا لا نعوض ذلك بانتاج ذرية بعشرات ومئات الملايين .. انها ـ كما ترى ـ عملية حسابية بسيطة .. وكلما ضعفت حيلة المخلوق فى تجنب المحظور ، كلما كانت ذريته كثيرة .. ان لنا ملكة ـ بورك فيها ـ لا تكف عن وضع البيض اثناء الليل واطراف النهار .. عشرة الاف بيضة فى يوم واحد ، بعشرة الاف قادم للحياة كل يوم ، وتستمر العملية يوماً فى اثر يوم ، وأسبوعاً من وراء أسبوع ، وشهراً يعقبه شهر وشهور ، ولابد من رعاية وعناية واطعام لهذه العشرات او المئات من الألوف ، ولقد علمتنا الحياة الا نتراخى ولا نتكاسل ولا نتواكل ، بل علينا ان نعمل ونعمل بجدية وكفاح ، وان نحصل على لقمة العيش باية وسيلة ومن اى مصدر .. ان عالمنا لا يختلف عن عالمكم المدلل .. الحياة بالنسبة لنا معادلة صعبة ، ومع ذلك ، فلا صعاب مع الكفاح .. انها دروس مستفادة عبر ملايين السنين ، والحكيم من استفاد» !

والواقع أن عالم الحشرات وما دونه ضليـــع فى انتـاج اعداد هائلة مــن الذرية ، فرب حشرة واحـــدة من مليون حشرة يمتد بهـا العمــر لتمـــوت بالشيخوخـــة ، والباقــى يتعرض رغماً عنه لعوامل طبيعية وحياتية تنال منه من مولده حتى شبابه ، ونادراً ما يصل الى سن الشيخوخة كما هو الحال فى الانسان والحيوانات الثديية ، كما أن تربية صغار الحشرات وتنشئتهم تتم فى اسرع وقت ممكن ، ثم دفعهم بعد ايام لمجابهة معركة الحياة . ومن خلال ذلك تتوازن الامور بين ما يفد على هذا الكوكب ، وما يرحل عنه ولكل شيء فى الخلق حساب ومقدار ، وما اكثر ما يغيب فيه عن مدارك الناس ، إلا من وهبوا انفسهم للبحث والتنقيب عما فى هذا الخلق من أسرار ظاهرة وخافية !

عالم من الفتنة والجمال

ورغم ان ذكر الحشرة قد يصيب بعض النفوس بالقرف والازدراء ، نتيجة للخلط بين النافع والضار ، أو لذكر الكائنات بسيئاتها دون حسناتها ، أو لما وقر فى النفوس من أن الحشرات هى جالبة الأمراض ، ومهلكة الزرع والضرع .. لكن ذلك ليس عدلا ، فالخدمات التى تقدمها الحشرات للحياة ، حتى لا تتقطع سلاسلها ، ولا تنفصم روابطها ، خدمات لا تكاد تعد ولا تحصى ، وقد نتعرض لذلك فى دراسات أخرى قادمة ، لكن الذى عولنا عليه من البداية أن نقدم ما فى الحشرات من صور حية جميلة ، حتى لكانما بعضها بمثابة أحجار كريمة متحركة ، ليس ذلك فحسب ، بل ان الألوان المختلفة تتوزع عليها ، وتعطيها بريقاً كانما هو ناشيء من جواهـــر مرصعة !

حتى يرقات هذه الحشرات (هى ديدان) قد جاءت هى الأخرى وكانما هى «بانوراما» تضفى على الطبيعة رونقاً وجاذبية خاصة .. وأحيانا ما تاتى البويضات مزركشة باشكال هندسية ، أو الوان متداخلة ، فتفصح عن بديع صنع الله !

واما عن الفراشات ، فحدث ولا حرج ، ولابد أن تكون فى هذه الحالة شاعرا ملهما ، أو فنانا رقيقا ، لتتامل وتصف وتنقل صورا لا يغنى عنها وصف ولا كلام والصور المنشورة خير دليل على ما نقول «صنع الله الذى اتقن كل شيء» .

دكتور عبد المحسن صالح

● قصة قصيرة ●

إبراهيم أصلان

الصاحبان



«.. وفي الطريق كان يكتفي بالنظرة العابرة، ولا يفعل مثل هؤلاء الناس الذين يقفون او يجلسون ليفحصوا المعروضات.. انه لا يحب غير هذه الأشياء التي نادرًا ما كانت تصادفه دون تقليب، والتي لا يعرف لها أحد من الناس أصلا، ولا يرى فيها قيمة ولا منفعة ..»

● كان هناك صاحبان يعيشان فى مدينة (إمبابة) . احدهما هو (محمود) الذى يعيش وحيداً ، والآخر هو (مرزوق) الذى يعيش مع زوجته وولديه . وفى يوم (الجمعة) كان (محمود) يقوم من نومه متأخراً ، اما (مرزوق) فقد كان يصحو مبكراً من دوشة الأولاد ، يفطر معهم ، ثم يخرج الى سوق (إمبابة) ويمشى بين صفوف الباعة الذين يعرضون مخلفات البيوت على جانبى الطريق الممتد ، فى سبيله الى البيت الصغير الذى يعيش فيه صديقه (محمود) ، لكى يزوره ، ويقضى معه فترة من الوقت .

وفى الطريق كان (مرزوق) يكتفى بالنظرة العابرة ، ولا يفعل مثل هؤلاء الناس الذين يقفون او يجلسون ليفحصوا المعروضات ويقلبوا فيها ، لأنه لم يكن يحب إلا هذه الأشياء التى نادراً ما كانت تصادفه دون تقليب ، والتى لا يعرف لها احد من الناس اصلا ولا يرى فيها قيمة ولا منفعة ، والتى كان يعرف انه على نحو ما سوف يلقاها ، فيلقاها ، ويتجه اليها ويشتريها ويحملها الى صديقه (محمود) الذى لا يذهب الى السوق ، لأن السنوات الطويلة التى جرب فيها علمته انه لو عاند نفسه ولم يأخذها ، فانه سوف يأتى يوم الجمعة التالية الى السوق باحثاً عنها ، وهو يعرف انه لن يجدها ، فلا يجدها ، حينئذ يحس بالخسارة ، ويستولى عليه الندم ، ويظل طول وقته يذكرها ولا يعــــرف كيف ينساها .

المرة الوحيدة التى اشترى فيها شيئاً من تلك الأشياء التى يعرفها الناس ، كانت زجاجة عسلية اللون ، لها بطن صغير مكور ، خشنة الملمس ولها عنق قصير حافته مقلوبة وناعمة ، وكانت كلها فى حجم عقلة الأصبع ، وكان قد رآها فاحبها واقتناها دون ان يخبر (محموداً) عنها ، ومن يومها لم تفارقه إلا عندما يخلع ثيابه لينام ، وكان يمسك بها الآن فى جيب سترته الصوفية المفتوحة ، عندما خايل عينيه هيكل معدنى فى لون الفضة الى جوار كومة قاتمة من الخردة انحدر من عليها واستقر على قاعدته المتربة الخفيفة ، حمله وراح يتأمل فيه . فى الناحية اليسرى ، كانت خمس قطع مختلفة الأحجام والأطوال ، وكانت كل قطعة تمد من كتفها قطعتين من السلك النحاسى القصير ومكسوتين بخيوط من الحرير الملون . وكانت القطع الخمس ملتمة فى شبه دائرة حول أصغرها حجماً ، ومحجوزة كلها داخل قفص من الأسلاك الرفيعة ،وله بوابة صغيرة تطل على الناحية الأخرى من القاعدة ، حيث انتصب حاملان فى أعلاهما محور صغير تقوم عليه عجلة مستديرة من السلك المزدوج المطروق ، ادارها بابهامه ، وعندما توقفت ، رأى المفاتيح الجانبية العارية فى قاعدته المتربة الخفيفة ، واعاده الى مكانه ، واتجه الى بيت صديقه (محمود) ، وهناك صافح السيدة العجوز التى تجلس وحدها تبكى فى طرحتها السوداء ، ودخل من الباب .

كان (محمود) يجلس وحيداً على السرير السفرى المنصوب . وكانت الجدران مغطاة بكميات من الكتب المتراصة على ارفف الخشب المحمولة من اطرافها بالحبال المجدولة . وكان هناك عدد من اللوحات المعلقة ، وماسورة بندقية ، ومجموعة مختلفة من زجاجات الخمر الفارغة وبابات الجاز النحاسية واجهزة الراديو ذات الصناديق القديمة العالية ، ومراة عريضة باطار من الخشب الثقيل المنقوش ، ومقعدان ، ودولاب قصير من (الأبلاكاش) عليه (بيك اب) وتحته زوجان من الأحذية . تطلع (مرزوق) الى (محمود) وساله إن كان قد أيقظه من النوم ، وقال (محمود) دون ان ينظر اليه انه صحا اليوم مبكراً مع انه نام فى وقت متأخر ، وتساءل (مرزوق) وهو يهم بالقيام إن كان يريد ان ينام الآن ، ولكن (محمود) انكر ذلك بهزة من رأسه ، وحينئذ تناول (مرزوق) الجريدة المفتوحة على حافة السرير المنصوب وراح يتفحصها ويطل من فوق حافتها الى (محمود) الذى ذهب ليعد الشاى . وساله (محمود) عن احوال السوق ، وقال (مرزوق) وهو يخرج علبة سجاير انه لا يوجد هناك ما يستحق الاهتمام ، واخذ نفسا من السيجارة وفكر فى الهيكل المعدنى الذى راه ، واخذه الضيق وقال انه لن يشترى بعد اليوم شيئاً من السوق ، بل انه لن يذهب اليه ، ابداً . وعاد (محمود) مسرعاً وهو يقول كيف ؟ وقال (مرزوق) هكذا ، لأنه لا يفهم فائدة ان ينفق الواحد نقوده على اشياء لا قيمة لها ويزحم بها البيت ، ولكن (محمود) عاد يقول كيف ؟ هل نسيت ؟ هل نسيت كل الأشياء التى اتينا بها من هناك ؟ هل نسيت الموتور الصغير الذى صنعنا منه المروحة التى مازالت تدور عند شقيقتك المتزوجة ؟ والأباجورة ، والساعة الخشبية التى أصلحناها ، وعربة الاطفاء الصغيرة ، والاسطوانات القديمة التى استمعنا اليها ، والمفتاح الكبير ، والعدسة البللور التى رأينا بها الكلمات الدقيقة ،ذكره بكل الأشياء التى صنعاها معاً ، وجلس حزيناً وهو ينظر الى قدميه الحافيتين وترك (مرزوق) الجريدة وظل صامتاً وهو يضم شفتيه ويمدهما الى الأمام ، وقال يائساً انه يريد حقاً أن يكف عن ذلك ، قال انه صادف اليوم شيئاً من الأشياء التى لا يمكن تعويضها ، ومع ذلك لم يأخذه ، لأنه قرر وانتهى الأمر . وتغير صوته وهو يصيح فى (محمود) كأنه يعايره لأنه لا يعرف الشراء ، إن السوق لم يعد هو السوق ، والأيام لم تعد هى الأيام . ونظر الى (محمود) الذى كان مازال مطرقاً وحزيناً ، واطفأ سيجارته وهو يقول ، لا فائدة ، نعم ، سوف يظل يقول هذا الكلام دون فائدة ، وهز رأسه ، انه لا يتوب ابداً ، ويعرف انه لن يكف عن شراء هذه الأشياء اللعينة ، وقام (محمود) واقفاً ، ومد يده الى مفتاح الراديو الخشبى القريب وأداره ، وصب الشاى وأذاب السكر وعاد بوجه صغير مبتسم ، كان قد وضع الكوبين فى كفة ميزان من النحاس القديم الأصفر ، وجلس الصديقان ورأى كل منهما الآخر ، وفكر (مرزوق) أن يقوم ويشترى الهيكل المعدنى ويعود به حتى لا يضيع ، ولكنه تردد قليلا ثم عاند نفسه ، وفكر أن يمد يده الى جيب سترته ويتناول زجاجته الصغيرة التى يخفيها ، ولكنه خشى ان يفعل ذلك حتى لا يراها (مرزوق) . وقال لنفسه انه لن يذهب الآن ، وانه سوف يبحث عنه جيداً عندما يذهب الى السوق يوم الجمعة القادم ، وامسك كوب الشاى الكبير الدافىء . أراد (مرزوق) مرة اخرى ، أن يجرب حظه .

ابراهيم اصلان

د. محمد يوسف نجم

مسرح أولاد عكاشة

وثيقة هامة في تاريخ المسرح العربي

● في العدد الماضي تحدث د. محمد يوسف نجم عن «مسرح أولاد عكاشة» من حيث الجهود والمراحل التي مر بها ذلك المسرح، حتى أصبح حقيقة مسرحية رائدة، وفي هذه الحلقة يلقي الكاتب الضوء على الأعمال المسرحية المتعددة التي قدمها «أولاد عكاشة»، وآراء النقاد فيها، وكذلك المنافسات الفنية التي قامت حينذاك بين فرقة أولاد عكاشة، والفرق المسرحية الأخرى ●



زكي عكاشة



عبد الله عكاشة

نقد المؤلف الممثل عبد العزيز حمدي تمثيل جوق عكاشة مسرحية «السلطان صلاح الدين ومملكة أورشليم». وبعد أن تحدث عن المعركة التي أثارها المؤلف فرح أنطون بتقديمه المسرحية لجوقي عكاشة وأبيض وحجازي في الوقت نفسه، تناول المسرحية بالتقديم ثم تحدث عن التمثيل فقال:

ولقد أظهر الممثلون في جوقة عكاشة براعة تذكر، إلا أن بعضهم لم يظهر بالمظهر اللائق به، كممثل دور أمير الأسطول فانه أفقد الدور قوته لما أبداه من الضعف والجبن اللذين لا يلتقيان بأمير البحر في عهد السلطان صلاح الدين فضلاً عن ظهوره بشارب أسود ولحية حمراء.. وقد ظهر أكثر الممثلين بملابس أفخر وأبهى من ملابس السلطان، مع أن اللياقة تقضي بأن تكون ملابس الحاشية أقل في رونقها وبهائها من ملابس الملك مهما كان تقشفه وورعه، وقد لاحظت أن ممثل دور صلاح الدين في جوق عكاشة ظهر بمظهر رجل يناهز الأربعين من عمره أو أكثر قليلاً. وهذا ينافي ما جاء في كلامه حيث قال: إن له سبعة عشر ابنا وابنة ـ يندر أن يرزق رجل بكل هذه الأبناء وهو في ذلك العمر. أما من حيث التمثيل فقد أجاد إجادة أعجب بها جل المشاهدين وكان تصفيق الاستحسان حاداً. «٣٣»

وانتهى هذا الموسم في ١٠ يوليه ١٩١٥، ولم تستطع الفرقة السفر الى سورية، كالعادة، بسبب الحرب، فقضت موسمها الصيفي في رأس البر.

وقد سجل لنا محمد تيمور رأيه في هذا الموسم فقال:

وكان صاحب دار التمثيل العربي قد هدمه عن آخره ثم أعاد بناءه من جديد على طرز حديث، فاستأجره آل عكاشة بعد أن افترق عنهم عزيز عيد ولكنهم استعاضوا عنه ببعض أفراد جوق أبيض كحسن ثابت وعبد المجيد شكري وأخيه أحمد حافظ. وانضم اليهم من بين أفراد جوق الشيخ: حسين حسني وماري ابراهيم، ووثبوا للتمثيل في دار التمثيل العربي، وأخرجوا للناس روايات جديدة لا تستحق الذكر لخروجها عن دائرة الفن الصحيح فمن (بريد ليون) (لذات نجلاء العين) ومن (ذات نجلاء العين) الى (لأجل الشرف) ومن (أجل الشرف) (لليد السوداء) وكل هذه الروايات من نوع (اليتيمتين) ولكنها أقل منها شهرة وتأثيراً. فلم ينجح الجوق في إخراجها، والسبب في ذلك الجهل بأسرار الفن وعدم تأليف لجنة فنية تفرق بين الغث والثمين من الروايات. أما عبد الله فقد تخلى عن جميع هذه الروايات ولكنه عاد ومثل دور البطل في (ذات نجلاء العين) وفي (لأجل الشرف) ولكنه أضحك الناس بدل أن يبكيهم. أما زكي فمثل في كل هذه الروايات دور الفتى الأول ولكنه هوى به الى قرار الهاوية، وذلك لكثرة إشاراته وحركاته، بل لصراخه الذي يضعه في غير موضعه. ولو تخلى زكي عن هذه العيوب متبعاً نصيحة الناصحين ـ وهذا من أصعب الأمور ـ لكان له في عالم التمثيل شأن آخر، وذلك لصلاحية جسمه وصوته للمسرح. أما عبد الحميد فلم يخرج فيها عن دائرة (الكمبارس). ثم عاد الجوق يمثل رواية (أبي حسن المغفل) وهي فودفيل قديمة العهد جميلة الموضوع أضحكت الناس كثيراً ونجحت نجاحاً كبيراً، كان الفضل فيه للمرحوم محمود حبيب. ومثل عبد الله دور الفتى الأول ومر فيه دون أن يلتفت اليه انسان. ثم أعاد الجوق تمثيل رواية (اليتيمتين) وقام عبد الحميد بدور الشيخ فلم يحسن الغناء ولا التمثيل، وكانت هذه أول مرة وآخر مرة مثل فيها عبد الحميد دوراً مهماً، اللهم إلا دور المزاحم في رواية (شهداء الغرام). والدور لا يحتاج للبراعة ولا للرشاقة. ومثل زكي دور الفارس روجيه فكان فيه خيراً من عبد الله، ولكنه اتبع فيه تلك الخطة التي تقف في سبيله كلما أراد الصعود. ثم أعاد الجوق رواية (الشيخ متلوف)، وأتقن فيها عبد الله دوره. ثم مثلوا (صلاح الدين ومملكة أورشليم) وكان الفضل في إخراجهم هذه الرواية الفنية عائداً للخلاف الذي وقع بين فرح أنطون وأبيض. «٣٤»

موسم ١٩١٥ ـ ١٩١٦:

عاد الجوق من موسمه الصيفي برأس البر حوالي منتصف سبتمبر ١٩١٥، «٣٥» وقرر أن يستأنف التمثيل ويجعله ثلاث ليال في الأسبوع كالمعتاد. وعين عبد الواحد صالح مديراً للأوركسترا. «٣٦» وقد أشيع بعد مضي شهر على افتتاح الموسم أن الشيخ سلامة حجازي أخذ يفاوض أولاد عكاشة في أن يشترك معهم في العمل ويشترط عليهم أن تسمى دار التمثيل العربي والجوق باسمه. «٣٧» على أن ذلك لم يحدث لأن الشيخ استمر مع شريكه أبيض حتى نهاية الموسم. ويبدو أن ظروف الحرب القاسية ومنافسة أبيض وحجازي حالا بين الجوق وبين تقديم الكثير من المسرحيات الجديدة، ولعله قنع بما قدمه منها في موسمه السابق فأعاد في مطلع موسمه تقديم المسرحيات القديمة، من حصيلته وحصيلة الفرق الأخرى، فمثل المسرحيات التالية «القضاء والقدر» و «الشيخ متلوف» و «اليتيمتين» و «تليماك» و «القضية المشهورة» و «عائدة» و «تسبا» و «بائعة الخبز» و «عظة الملوك» و «هملت» و «ضحية الغواية» و «مظالم الآباء» (الابنة المظلومة).

مثل الجوق هذه المسرحيات في الأسابيع الخمسة الأولى من موسمه، بمعدل مسرحيتين كل أسبوع، مستعيناً بشهرة محمود حبيب وبالفصول الهزلية التي كان يقدمها محمد ناجي.

ويبدو أن فاتحة الموسم لم تكن تبشر بخير كثير يبعث في نفوس أصحاب الجوق الاطمئنان الى سائره. ولذا قرروا أن يبعثوا النشاط في الموسم بإدخال عنصر الفودفيل والتمثيل الهزلي.

كان عزيز عيد قد ألف في مايو من هذا العام جوقاً للفودفيل، دعاه «جوق الكوميدي

العربى» «٣٨» حقق النجاح ولفت النظر بقوة الى هذا اللون الجديد للقبول شعبيا . فقرر ابناء عكاشة توحيد جهود الجوقين ، على ان يبقى لكل منهما استقلاله ، بمعنى ان يمثل كل منهما ليلة ثم يقسم الايراد بينهما مناصفة . «٣٩» واخذت نتائج هذا التعاون تظهر منذ شهر نوفمبر ، واستمر الحال كذلك حتى اوائل مايو ١٩١٦ . وقد قدم «جوق الكوميدى العربى» اثناء ذلك عدداً من المسرحيات الهزلية التى اشتهر عزيز عيد بتقديمها فى مواسمه السابقة . وعندما انشق عنه عزيز عيد وتلاميذه ضم اليه الممثل الكوميدى عمر وصفى ليقوم ببطولة المسرحيات الكوميدية . «٤٠»

اما جوق عكاشة فقد اقتصر فى ما تبقى من شهور الموسم على إعادة المسرحيات القديمة ، فقدم منها : «صلاح الدين الايوبى» و «الشيخ متلوف» و «مظالم الآباء» و «القضاء والقدر» و «عبرة الأبكار» (ابنة حارس الصيد) و «بائعة الخبز» و «البريئة المتهمة» و «العواطف الشريفة (ابنة صاحب معمل الحديد) و «تسبا» و «عظة الملوك» و «اليتيمتين» و «غانية الأندلس» و «القضية المشهورة» و «هارون الرشيد مع قوت القلوب وخليفة الصياد» و «صدق الاخاء» و «طارق بن زياد» و «شهداء الغرام» و «هملت» و «مصرع الزباء» و «بريد ليون» و «البخيل» و «عنترة بن شداد» .

كما اضطر ـ إنقاذاً لموسمه ـ الى تقديم عدد من المسرحيات الجديدة ، وهى : «الميت الحى» و «زفاف النوتى» و «ابنة وصي الملك» و «زهراب ورستم» التى كانت مقررة على طلاب البكالوريا ، وكان جوق ابيض وحجازى قد قدمها قبله فى الموسم نفسه .

وفى الاسبوع الثانى من شهر أغسطس ١٩١٦ ، انهى الجوق موسمه فى القاهرة وسافر الى راس البر لتقديم موسمه الصيفى . «٤١»

موسم ١٩١٦ ـ ١٩١٧

عاد الجوق من موسمه الصيفى حوالى منتصف سبتمبر ليبدأ موسمه الجديد فى دار التمثيل العربى . وكان الجوق المنافس قد حل انذاك «٤٢» والف الشيخ جوقاً جديداً مثل به موسمه الاخير على مسرح الأوبرا .

ويبدو ان عقد العكاشيين مع صاحب دار التمثيل كان لسنتين فقط ، إذ ان الجوق لم يمثل فيه اثناء الموسم سوى ثلاثة شهور متقطعة ، كذلك مثل فى بعض عواصم القطر كالمنيا والزقازيق . وقدم اثناء ذلك المسرحيات التالية : «البخيل» و «مصرع الزباء» و «الشيخ متلوف» و «تليماك» و «خداع الدهر» و «شهداء الغرام» و «غرام وانتقام» و «عواطف البنين» و «اليتيمتين» و «القضية المشهورة» و «غانية الأندلس» و «القضاء والقدر» و «الافريقية» و «محاسن الصدف» و «هملت» و «ضحية الغواية» و «شمس الصباح» و «اليد السوداء» .

وفى يناير ١٩١٧ حين كانت الفرق الكبيرة التى عنيت بالمسرحية الغنائية والتراجيديا تعانى الكساد بسبب انصراف الجمهور عنها وإقباله على مسرح الفودفيل والريفيو ، تداعى نفر من المثقفين والمصلحين الى شد ازر الاجواق الجدية (المحترمة) لكى تستطيع الصمود فى وجه التيار الفودفلى الطاغى . وراوا ان خير وسيلة لتقوية هذه الأجواق وتوحيدها فى جوق واحد . وكان على راس هذه الدعوة الدكتور عبد العزيز نظمى ومحمد طلعت حرب وعبد الكريم رؤوف المحامى الذين تالفت منهم لجنة ـ إثر احد الاجتماعات ـ لوضع القانون اللازم لهذه الشركة الموحدة . «٤٣» .

وبعد ايام تمخضت هذه الجهود عن تاليف شركة توصية باسهم قوامها اولاد عكاشة وبعض رجال المال وعلى راسهم عبد الخالق باشا مدكور ومحمد طلعت حرب . دعيت «شركة ترقية التمثيل العربى» «ونيطت إدارتها بمحمود عزت . وقد عينت رواتب الممثلين ، فكان راتب عبد الله عكاشة مثلاً عشرة جنيهات وراتب فكتوريا موسى ثمانية جنيهات . «٤٤» واعلنت الشركة الجديدة انها ستبدأ تمثيلها فى العهد الجديد مساء الخميس ٨ فبراير على مسرح دار الأوبرا .

شركة ترقية التمثيل العربى : ما قبل الأزبكية ١٩١٧ ـ ١٩٢٠

اخذت صورة هذا العهد الجديد تتضح فى إجراءات كثيرة مستحدثة بدات الشركة عهدها بها ، ومنها العناية بالاعلانات الضخمة البارزة ، ونشر المقالات الاعلانية التى تذكر فيها أسماء الممثلين وادوارهم «٤٥» . وتقديم المسرحيات الجديدة التى اخذ يعد لها كبار كتاب العصر .

وفى شهر مارس ذكرت الاهرام ان الشركة تسعى لدى وزارة الاشغال العمومية كى تعطيها حق التمثيل فى تياترو الأزبكية التزاما لمدة سنتين او ثلاث بشروط معينة «٤٦» . ثم عادت الأهرام فى شهر مايو فاوردت الخبر التالى :

اتفقت وزارة الاشغال العمومية وشركة التمثيل العربى المعروفة فى القاهرة على ان تتنازل الاولى منها للثانية عن تياترو حديقة الازبكية خمس عشرة سنة متوالية باجرة قدرها ١٢ جنيها فى السنة . وعلى ان تجدد الشركة فى هذا التنازل بناء تياترو وتصلحه وتنظمه وتؤسسه بالشكل والاثاث الذى كان فى النية تجديده به وتاثيثه قبيل الحرب الحالية . وكانت النفقة المقدرة له يومئذ نحو ١٨٠٠ جنيه مصرى . وقد وقع الفريقان هذا الاتفاق امس . والخمس عشرة سنة المبينة فى هذا الاتفاق تبدأ من تاريخ تجديد التياترو وتصليحه وتاثيثه وموافقة وزارة الاشغال العمومية عليه . «٤٧»

اخذت الشركة إذن تفكر فى مشكلة وجود المسرح الثابت المجهز ، ذلك ان الاستقرار فى مسرح واحد معد إعداداً جيداً كان سبباً من اسباب نجاح الاجواق ، وخاصة فى هذه الفترة التى كانت المسارح المجهزة فيها قليلة . وقد اتضحت خطورة هذه المشكلة فى الموسم التالى للفرقة ، بعد ان اضطرت الى إخلاء مسرح دار التمثيل العربى الجديد الذى شغلته فى الموسمين السابقين . ولو لم يسعفها الحظ والنفوذ والقدرة المالية ، وتساعدها احداث الحرب التى حالت دون قدوم الفرق الاجنبية لما وجدت لها موطىء قدم فى مسرح برنتانيا او مسرح الاوبرا .

وقد تابعت الشركة تمثيل الشهور الباقية من موسمها الشتوى على مسارح متعددة فى القاهرة وخارجها . وقدمت اربع مسرحيات جديدة هى : «القرصان» و «الاتجار بالزواج» و «معارك الحياة» و «المراة الفاتنة» . فضلا عن المسرحيات القديمة التى سبق لها ولغيرها من الاجواق تقديمها ، ومنها «الشيخ متلوف» و «تليماك» و «القضاء والقدر» و «شمس الصباح» و «الافريقية» و «ابو الحسن المغفل» و «طارق بن زياد» و «القضية المشهورة» و «عواطف البنين» و «اليتيمتين» و «عائدة» .

وقد استطعنا بفضل الاعلانات الضخمة المفصلة التى كانت تنشرها الفرقة فى عهدها الجديد ان نعرف اسماء بعض ممثلى المسرحيات وادوارهم فيها . فكان توزيع الادوار فى مسرحية «الاتجار بالزواج» كما يلى : «٤٨»

عبد الله عكاشة (محمود بك) ، زكى عكاشة (ابنه جميل) ، توفيق ظاظا ومحمود رحمى (من اصدقاء محمود بك) ، عبد الحميد عكاشة (فؤاد) محمد بهجت (رئيس المحكمة) ، احمد فهمى (الخادم) ، حسن حبيب (العسكرى) ، محمود وهبى (السجان) ، فكتوريا موسى (زوجة محمود

محمد تيمور



عزيز عيد

سلامة حجازى

جورج ابيض

بك) ، لطيفة امين (الخادمة) ، مريم سماط ، نهوى حسنى ، لبيبة فارس . ووزعت الادوار فى «القضية المشهورة» كما يلى : «٤٩»

عبد الله عكاشة (جان رينو) ، توفيق ظاظا (الدوق دوبتر) ، زكى عكاشة (راؤول) ، احمد فهمى (شنبوران) ، فكتوريا موسى (ماتيلده) ، مريم سماط (الرئيسة) ، نهوى حسنى (فالانتين)، لبيبة فارس (الدوقة) ، محمد بهجت ، عبد الحميد عكاشة ، محمد يوسف . ووزعت ادوار «معارك الحياة» كما يلى : «٥٠»

عبد الله عكاشة (الفيكونت دى لانكراى) ، زكى عكاشة (الضابط روشكيم) ، محمد يوسف (ليكورتو) ، فكتوريا موسى (ماتيلده) ، توفيق ظاظا (المسجل سيشرين) . نهوى حسنى (أوروزيل) ، مريم سماط (الحماة) ، لبيبة فارس (العمة) . ووزعت ادوار «المرأة الفاتنـــــة» كما يلى : «٥١» محمد بهجت (مستر جاك) ، توفيق ظاظا (السير ماتشم) ، محمد يوسف (زوج اميليا) ، مريم سماط (الزوجة الغيورة) ، زكى عكاشة (الزوج العاشق) ، نهوى حسنى (المرأة الفاتنة) ، لبيبة فارس (جوليا) .

موسم ١٩١٧ ـ ١٩١٨

انقضى الموسم السابق فى القاهرة فى اواخر يونيو ١٩١٧ ، ثم سافرت الفرقة الى الاسكندرية لتقضى جزءا من موسمها الصيفى ، وبعد ذلك سافرت الى راس البر .

عادت الفرقة من راس البر فى اوائل سبتمبر ١٩١٧ . واستهلت موسمها الجديد فى ١٠ سبتمبر ١٩١٧ . ومثلت على مسارح عدة فى القاهرة وخارجها ،واسهمت فى حفلات الصليب الأحمر التى كان يقيمها إسهاما فى مشروع «يومنا هذا» . وقدمت فى موسمها هذا أربع مسرحيات جديدة هى : «انجومار المتوحش» و «الراهب المتنكر او الحضارتين» و «ابن تميم او الأمير الظافر» و «الزنبقة الذهبية» .

كما قدمت عددا من المسرحيات القديمة ، من حصيلتها وحصيلة الفرق الأخرى نذكر منها : «معارك الحياة» و «ابو الحسن المغفل» و «مصرع الزباء» و «طارق بن زياد» و «عبرة الأبكار» و «عظة الملوك» و «مى وهوراس» و «القضاء والقدر» و «القضية المشـــــهورة» و «تليماك» و «اليتيمتين» .

واستمر موسم القاهرة حتى أواخر مايو ١٩١٨ ثم قدمت ست حفلات فى الاسكندرية ، فى شهر يوليه . ولعلها اتمت موسمها الصيفى فى راس البر كالعادة .

موسم ١٩١٨ ـ ١٩١٩

افتتحت الفرقة موسمها الجديد فى ٢٢ أكتوبر ١٩١٨ على مسرح الأوبرا ، وتنقلت فى هذا الموسم بين مسرح الأوبرا ومسرح بريتانيا . وقد قدمت فى موسمها هذا مسرحيتين جديدتين هما :

«الامير سليم» و «مصارع الشهوات» ، وقدمت من مسرحياتها المستحدثة والقديمة المسرحيات التالية : «الراهب المتنكر» و «الزنبقة الذهبية» و «القضاء والقدر» و «انجومار المتوحش» و «زفاف التوتى» و «مصرع الزباء» و «خداع الدهر» و «ابو الحسن المغفل» و «ضحية الغواية» و «اليتيمتين» و «معارك الحياة» و «الانتحار بالزواج» و «عظة الملوك» و «تسبا» و «غانية الاندلس» .

وقد تعطل موسمها هذا بسبب احداث الثورة . وفى شهر يوليه اشتركت مع جوق الأوبريت كوميك الذى كان يديره سليم عطا الله وكميل شمبير وقدمت فى الاسكندرية عددا من الحفلات المشتركة .

وفى اغسطس ١٩١٩ اعلنت الأهرام «٥٢» انها بحاجة الى مسرحيات جديدة بمناسبة قرب افتتاح مسرحها الجديد ، وكان نص الاعلان كما يلى :

تتشرف شركة ترقية التمثيل العربى بمناسبة قرب افتتاح التياترو الجديد بحديقة الأزبكية باعلان حضرات المؤلفين والكتاب انها فى حاجة الى ثلاث روايات موضوعة غير منقولة مصرية او شرقية موضوعا واشخاصا :

الأولى : تاريخية موضوعها واقعة صحيحة .
الثانية : اخلاقية جدية .
الثالثة : اخلاقية هزلية .

والشركة تقبل ما يعرض عليها من الروايات لغاية ١٥ اكتوبر ١٩١٩ ، بشرط ان تكون مطابقة لشروط الشركة . ويمكن لحضرات المؤلفين الاطلاع عليها بمكتب حضرة فؤاد بك سلطان بمركز شركة التعاون المالى التجارية بشارع الكنيسة الجديدة بالاسماعيلية رقم ٢ . وللشركة مطلق الحرية فى قبول او رفض اى رواية بدون إيضاح اسباب .

موسم ١٩١٩ ـ ١٩٢٠

استهلت الفرقة موسمها الأخير قبل عهد حديقة الأزبكية على مسرح برنتانيا فى ٦ سبتمبر ١٩١٩ فى اول ليالى عيد الفطر ، ولم يكن موسما منتظما حافلا لانشغالها باعداد المسرح الجديد . ومثلت فى شهر ابريل موسما على مسرح الأوبرا ، قدمت فيه مسرحيتين جديدتين هما «الشريف الطريد» و «الشريط الأحمر» ، واعادت تمثيل مسرحياتها القديمة فقدمت منها : «اليتيمتين» و «انجومار المتوحش» و «مغاور الجن» و «غانية الاندلس» و «معارك الحياة» و «تليماك» و «الأمير سليم» و «عظة الملوك

ومثلت فى الاسكندرية فى شهر اغسطس اربع ليال هى ليالى عيد الأضحى .

وبهذا انتهى موسمها الأخير ، فى طور الحيرة والتنقل بين المسارح ، وسيغدو لها شان كبير فى عهد مسرح حديقة الأزبكية الذى مثلت عليه ثمانية مواسم منتظمة .

د. محمد يوسف نجم

هوامش

٣٣ ـ المؤيد ١٠ ابريل ١٩١٥ .
٣٤ ـ حياتنا التمثيلية ٢٠٨ ـ ٢١٠ ، وانظر نقد عقيرة فى الأفكار ١٩ فبراير ١٩١٥ .
٣٥ ـ الأفكار والمقطم والأهرام ١٣ سبتمبر ١٩١٥ .
٣٦ ـ الأهرام ١٣ سبتمبر ١٩١٥ .
٣٧ ـ الأخبار ٢٠ اكتوبر ١٩١٥ .
٣٨ ـ انظر اخباره فى مقالنا «المسرح الكوميدى فى مصر ١٩٠٥ ـ ١٩٢٠» بمجلة الأبحاث ، السنة ٢٢ (حزيران ١٩٦٩) .
٣٩ ـ مذكرات نجيب الريحانى (كتاب الهلال ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٩) : ٥٦ ـ ٥٧ .
٤٠ ـ المنبر ١٩ يونية ١٩١٦ .
٤١ ـ المقطم ٨ اغسطس ١٩١٦ .
٤٢ ـ حل جوق ابيض وحجازى فى أوائل سبتمبر ١٩١٦ . انظر الوطن (القاهرة) ١ سبتمبر ١٩١٦ .
٤٣ ـ انظر الوطن ٧ يوليه ١٩١٦ ، والأخبار ١٨ يناير ١٩١٧ ، والمحروسة ٢٠ يناير ١٩١٧ .
٤٤ ـ المحروسة ٢٢ يناير و ٨ فبراير ١٩١٧ ، والأخبار ٢٨ يناير ١٩١٧ ، والمقطم ٢ فبراير ١٩١٧ .
٤٥ ـ انتقلت عدوى التجديد ايضا الى اعلانات جورج ابيض ومنيرة المهدية وفرق الفودفيل .
٤٦ ـ الأهرام ٣ مارس ١٩١٧ .
٤٧ ـ الأهرام ١٣ مايو ١٩١٧ .
٤٨ ـ المقطم ٢٤ فبراير ١٩١٧ .
٤٩ ـ المقطم ٢٣ ابريل ١٩١٧ .
٥٠ ـ ٢٤ أبريل ١٩١٧ .
٥٠ ـ المقطم ٢٤ ابريل ١٩١٧ .

الإنسان .. الكبرياء

● كان فى قلبى فرح غريب .. فرح لا يتاتى إلا من الضمير المرتاح .
● اننى احب هذه الحياة حبا لا تكلف فيه ، واريد ان اتحدث عنها بحرية : إنها تمنحنى كبريائى لكونى انساناً .

● انا لا اتخلى عن شىء من ذاتى ، ولا اتحجب باى قناع . يكفينى ان اتعلم بالصبر علم الحياة الصعب الذى يفوق كل فنون الحياة .

● امام هذا العالم لا اريد ان اكذب ولا يكذب علي . اريد ان احمل صحوى حتى الثمالة ، وان انظر الى نهايتى بكل إسراف غيرتى وسعادتى . إننا بابداعنا ميتات واعية تقرب المسافة التى تفصلنا عن العالم ، وندخل بلا فرح فى الانجاز الواعى لصور نشوى عن عالم اضعناه الى الابد .

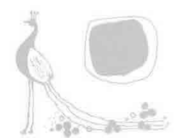
«البير كامو»



افكار الآخرين

● كل ما هنالك انه لم يكن على استعداد لان يسمح لافكار الآخرين او عواطفهم بان تنتقل ـ عن طريق العدوى ـ الى دنياه .

«اندريه جيد»



الجرح .. والشعر

رب جرح قد صار ينبـوع شـعر
تلتقـى عنده النفوس الظوامـى
وزفير امسى ـ إذا قدسـته الروح ـ
ضربـا مـن قـدس الانغـام
وعـذاب قد فاح منـه بخـور
خالـد فى مجامـر الاحـلام
وإذا انت لم تعـذب وتغمس
قلمـا فـى قـرارة الآلام
فقوافيـك زخـرف وبريـق
كعظـام فى مدفـن من رخـام

«الياس ابو شبكة»

[illegible]

● لا يتصور احد ان الشاعر ينبغى ان يرتبط باعظم الأشياء منذ اللحظة الأولى فسوف يدفعه القدر مع الزمن الى الكشف عن ذاته من خلال تلك الأشياء ، وهى هدفه الماثل لعينيه دائما ، بوسائل خاصة لم يعرفها احد من قبل .

«رينيه ماريا ريلكه»

مجد الأولين

ماذا يرد عليكـم عـز اولكـم
إن ضـاع اخـره أو ذل واتضعـا
قوموا قياماً على أمشاط ارجلكـم
ثم افزعوا . قد ينال الأمن من فزعـا
يا قـوم : إن لكم من إرث اولكـم
مجداً قد اشفقت ان يفنـى وينقطعـا

«لقيط بن يعمر الايادى»
اول شاعر قومى فى الجاهلية



الزبد والبحر

● إن الأحداث تبعث فى نفسى السام .
الأحداث هى الزبد ، وأنا مشغول بالبحر .
فالبحر هو الذى يصطاد فيه
والبحر هو الذى نبحر فوق مياهه
والبحر هو الذى نغوص فى اعماقه .

«بول فاليرى»



الزمن المكتوب

غدا ، وغدا ، وغدا
وكل غد يزحف بهذه الخطا الحقيرة
يوما إثر يوم ،
حتى المقطع الأخير من الزمن المكتوب .
وإذا كل أماسينا قد انارت للحمقى
المساكين ، الطريق الى الموت والتراب .
ألا انطفئى ايتها الشمعة الوجيزة !
ما الحياة إلا ظل يمشى ،
ممثل مسكين يتبختر ويستشيط ساعة
على المسرح ، ثم لا يسمعه احد .

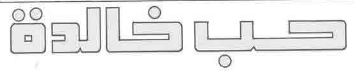
«مكبث شكسبير»
ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا

المودة

● ليس فى العالم ما يجعل الانسان ضرورياً لأخيه الانسان .. إلا المودة .

«جيته»

رسالة



بقلم: جان جاك روسو — ترجمة: نجيب المستكاوي

هذه رسالة حب كتبها جان جاك روسو إلى الآنسة سير. وكان قد رآها ذات مرة فى زيارة لأحد الأديرة بمدينة ليون، وتعرف بها، وأثرت فى نفسه أعمق التأثير ثم عاد ورآها مرة أخرى بعد الأولى بست سنوات، كما يتبين من «الاعترافات». وأحبها روسو حبا عنيفا، شأنه فى كل حب، وقد قالت له مدام دوديتو ذات مرة «إنك أرق حبيب يمكن أن يخطر على البال، كلا ما أحب رجل قط مثلما تحب». ولعل هذه الرسالة تعبر خير تعبير عن بعض ما يخالج قلب العاشق من مشاعر وعواطف..

آنستى ...

لقد عرضت نفسى لخطر رؤيتك مرة اخرى، وقد حقق مراك مخاوفى، إذ نكا كل جراح قلبى. لقد فقدت بقربك البقية الباقية من صوابى، وإنى لأشعر ــ فى حالتى التى أرديتينى اليها ــ بأنى لم اعد أصلح لشيء إلا لأن اعبدك. إن بلائى لبيلغ من الوبال بحيث لا رجاء لي ولا رغبة فى البرء منه، ومع تعرضى لكل ما قد ينجم عنه، لابد من أن احبك الى الأبد. افهم، يا آنستى، أن ليس لي أى أمل فى تجاوب من ناحيتك، فأنا شاب معدم، وليس لي إلا قلب أقدمه لك، ومهما كان هذا القلب مفعما باللهب والعاطفة والحنان فهو بلا شك ليس بالهدية التى تحظى قبولك. ومع ذلك اشعر فى ذوب حنوى الذى لا ينضب له معين، وفى طبعى الحى دائما والثابت دائما، بموارد للسعادة كان يجب أن يقام لها وزن ــ لدى حبيبة مرهفة الحس ــ كتعويض عما يعوزنى من مال ووسامة. لكن واعجباه! فقد عاملتينى بجفوة لا تصدق، وإذا كان حدث ان أظهرت حيالى شيئا من المجاراة فقد كنت تقتضين منى على إثره ثمنا يبلغ من الفداحة بحيث يجعلنى أكاد اقسم انك لم يكن لك مقصد إلا ان تسومينى العذاب.

كل هذا يؤنسنى ولا يدهشنى، فانى اجد فى نقائصى ما يبرر صلابة قلبك نحوى: لكن لا تحسبى أنى أتهمك بصلابة القلب حقيقة. لا، فان قلبك قد خلق للحب مثلما خلق محياك. أما يأسى فمرجعه الى انى لم اكن الذى يؤثر فيه. إنى اعلم علم اليقين انه كان لك صلات، بل أعرف اسم ذلك المخلوق السعيد الذى عرف ببراعته كيف يحملك على الاستماع اليه. ولكى أعطيك فكرة عن طريقتى فى التفكير، فانى عرفت ذلك صدفة، دون سعى منى، ولن يسمح لي احترامى لك بان اود معرفة شيء آخر عن سلوكك إلا ما تشائين ان تخبرينى به بنفسك. وجماع القول إنى إذا كنت قلت لك إنك لن تكونى راهبة قط، فانما لمعرفتى انك لم تخلقى بأية حال لتكونى راهبة. ولئن كنت كعاشق ولهان انظر بهول وورع الى ذلك القرار المجحف فانى كصديق ورجل فاضل لن انصحك بان توافقى على نوايا أهلك فى هذا الشأن؛ إذ انك باستعدادك المناقض لذلك تماما لن تعملى إلا على أن تعدى نفسك لأسف زائد وندم طويل. وإنى لأقول لك ذلك كما اعتقد به فى اعماق نفسى ودون أن اصغى الى مصالحى الخاصة، ولو قد فكرت على خلاف ذلك، لأعربت لك عن فكرى بالمثل؛ ولكنت وجدت على الأقل سعادتى فى سعادتك، لما أرى من عجزى عن أن أكون سعيدا أنا نفسى. استطيع

ان أؤكد لك انك ستجدين منى فى الجملة نفس الاستقامة ونفس الرقة ؛ ومهما بلغ من حنانى ومن هيامى فانى أؤكد لك انى افتخر بانى اكثر من ذلك رجل شريف فاضل .

واأسفاه ! لو شئت ان تعيريني اذنا صاغية ، أستطيع أن أقول إنى إذن لكنت أجعلك تعرفين السعادة الحقة . وما من شخص يستطيع ان يستشعرها خيرا منى ؛ بل ازعم انه ما من شخص يستطيع أن يذيقها خيرا منى : رباه ! لو انى استطعت ان اتوصل الى هذا الامتلاك الفاتن ، للقيت فيه حتفى بلا مراء . وكيف اجد فى روحى من الوسائل ما يكفى لصد هذا السيل من اللذاذات .

لكن لو ان الحب اتى بمعجزة ، لو انه ابقى على حياتى ، فمهما كان مبلغ الاضطرام فى قلبى احس انه إذن لكان يضاعفه ، وانه لكى يحول دون ان اقضى نحبى فى غمار سعادتى ، لكان فى كل لحظة بلفحات النيران الجديدة يؤجج دمى : وإن هذه الفكرة وحدها لتجعله يغلى .

لست بمستطيع ان اقاوم حبائل خيال مغو ، فان صورتك السابية تتعقبنى حيثما كنت ؛ ولا أستطيع ان اتخلص منها حتى بالاستسلام لها ؛ إنها تلاحقنى حتى خلال رقادى ، إنها تهيج قلبى وتثير خواطرى ، إنها تضعنى بنيتى . والخلاصة انى أشعر بانك تقتلينى برغمك ، وبانه مهما بلغ من قسوتك حيالى ، فنصيبى أن أموت بحبى لك . وسواء أكانت قسوة حقيقية ، أو طيبة وهمية فان المقدر لحبى هو دائما ان يوردنى حتفى . لكن واأسفاه ! إنى بشكواى من عذابى أعد لنفسى عذابا جديدا ؛ فلا أستطيع ان افكر فى شان حبى دون ان يضطرم قلبى ويحتدم خيالى ، ومهما قررت أن اطيعك فى بدء رسائلى ، اشعر على الأثر بانى اندفع فاخرج عما تطلبينه منى . أتراك من القسوة بحيث تعاقبيننى على ذلك ؟ إن الله يغتفر الغلطات غير الارادية ، فبربك لا تكونى امعن منه صرامة ، واقيمى وزنا لشطط ميل لا يغلب ولا يرد ، يقودنى برغمى الى ابعد مما أود : ابعد بكثير حتى إنه لو كان بوسعى أن أنال مليكتى المعبودة لحظة واحدة على شريطة ان اشنق بعدها بربع ساعة ، لقبلت هذا العرض بغبطة اكثر مما لو عرض علي عرش الكون !

بعد هذا لم يعد لي ما اقوله لك ؛ لابد ان تكونى وحشا همجيا لكى تابى علي على الاقل قليلا من الشفقة .

لا الطمع ولا البطلان يمسان قلبا مثل قلبى ؛ وقد كنت عزمت على إنفاق بقية عمرى كفيلسوف فى صومعة كانت عرضت لي : لقد قضيت على هذه المشروعات الجميلة جميعا ؛ إذ شعرت أنه يستحيل علي أن أعيش بعيدا عنك ، ولكى أدبر وسائل اقترابى منك ، فانى اعول على القيام برحلة ومشروعات سوف تحول تعاستى المعهودة دون نجاحها بلا شك .

اما وقد قدر لي أن أجتر الأوهام ، فلا مناص على الاقل من ان استسلم لأعذبها ، أعنى لتلك التى تنصب عليك : أى آنستى ، تفضلى فاظهرى شيئا من إمارات العطف والحدب على صب مستهام لم يقترف جرما حيالك غير ان وجدك خليقة بالحب ؛ عينى لي عنوانا ، واسمحى أن أعين لك آخر ، للرسائل التى سوف يكون لي شرف كتابتها إليك ، والردود التى ستتفضلين بتدبيجها إلي . والخلاصة بربك دعي لي بدافع الشفقة بعض شعاع من الأمل حتى ولو لتسكين الحماقات التى أستطيع ان اقدم عليها ليس غير .

ولا تحكمى علي خلال إقامتى هنا بان اراك بهذه الندرة ، فلن يسعنى ان اطيق هذا الحكم ؛ امنحينى على الاقل ، فى فترات عدم التلاقى ، سلوة الكتابة إليك وتلقى انبائك ؛ وإلا زدت من ترددى عليك ، مخاطرا بمهاجمة كل ما قد ينجم عن ذلك . إنى أقيم لدى الأرملة بتى ، بشارع جانتى ، بالسيف الملكى .

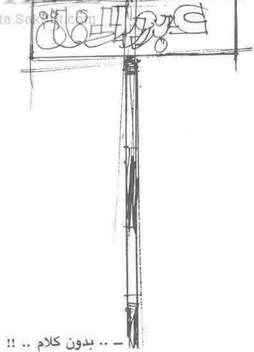




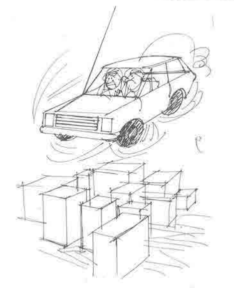
محشي ورق خس

.. ده تزوير فى ورق ... محشي ..!!

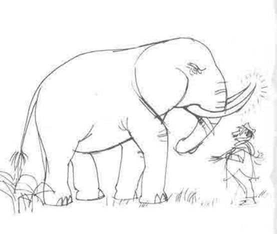




— .. بدون كلام .. !!



.. عاوز الحق اتفرج على
التجاروالمستهلكين على القناة الهضمية



ـ .. أنا شخصياً باحترمك
.. من أجل سنك فقط .. !!



ـ مكتب طيران

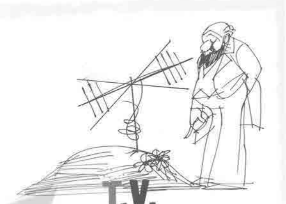


ـ .. من ايام قدماء العصريين
.. لما كانوا بيطلعوا القمر بسلم .. !!



دارون .. بأثبت ان أصل القرد .. إنسان .. !!





.. هنا يرقد الأبيض والأسود فى أمان .. !!

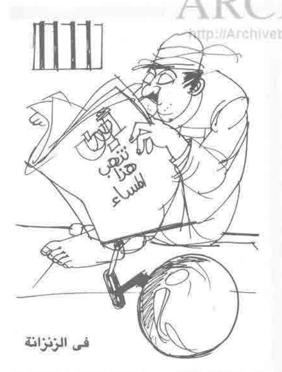
برج بيزا المائل

- .. نشاهد فيه ايش .. ما الدنيا مليانه حاجات كثير مايله .. !!

من العصر الفقرى



.. بدون كلام .. !!



فى الزنزانة

وسام التعب

شعر : محمد القيسي
"الأردن"



أى نافذة سكنت هذه الليلكه
وزعت فى الجهات يدى
وضلوعى
شظايا غدي
وانزوت فى الخطى المربكه !

• • •

قلت من اين الى اين تدور الشبكه
لا رعاياك ناموا وكفوا
ولا
مر فى جسدى
طائر الحركه

• • •

قلت أتيك ذات ضحى من شقوق الخيام
داخلا فى التفاصيل او خارجاً
من صليل العظام
قلت سيدتى
ها انا ذا أدور الأرض فاتحة ودماً
ضالعاً فى الضلالة والصعلكه
مشرعاً قامتى مثل صفصافة لا تنام
عيونى معى
ناقتى ودمى ورغيف الكلام
وارى ما يمور بعينيك من فرح غائب ،
وسبيل ،
أرى دعوة التعب أن أسلكه
فترين الذي بي لهوا إذن
ام ترين على جبهتى ،
شارة التهالكه !
ليس تفاحة ما توهج فى الصدر ، لكن قلبى الذى قادنى
لرنين الخسارة ، قلبى الذى كان قيدنى بالسبب
ثم قلدنى فى احتفال طويل ،
وسام التعب
ها هو الآن ينفض عنه الرذاذ
شفقاً يدفق الضوء ، دفلى ،
عصافير تغرد أضلاعها وتغنى ،
فضاء يد ، وعناقيد مشتبكه
يدخل الآن تجربة اللون منفرداً ،
ساحلا ، ومدى موحشاً فى الظلال ،
وقُبرة هالكه
كوكب غامض ما أرى ،
أم ترى كرة برتقالية ،
زهرة تتهدل فى خفة ،
قمر نابض فى الخطوط ، واجنحة ،
وقصائد جارحة مشركه
انها بهجة اللون ، حالمة مرة ،
ومراراً أرى وجهها ليلكه
فى يديها اناشيد بحر ،
فاين حدود الرضا
أى زهر تفتح فى ذروة اللؤلؤه ؟!
كرنفال امراة
وسرير من العشب ، هذا حنايا تراب بعيد ،
وأيقونة موشكه
ان تقول الذى فى دمى من صراخ ،
ولجلجة وعيون
ان تقول الجنون
وهى تومىء لى مدركه
أن نهراً من الأخضر الانفعالى يلبس وجهى
يجوس البرارى غزالا ،
وانى لن اتركه
أى درب سيفضي الى بنية اللون ،
او كرمة فى الرؤى غائمه !
أى شمس تكون دليلى الى بيت أمى
ودفقة رعشتها الحالمه
لا بد تسند الآن صدر المغنى
وقد أوشك الصمت ان يدركه .

قنطار من الحلاوة ودرهم من الحلاوة أيضاً

● قولة الأستاذ العقاد «إن القصة تعطيك قنطاراً من الخشب لتستخرج منه درهماً من الحلاوة» و «أن ما تعطيه القصة أو الرواية فى صفحات كثيرة ربما يعطيه الشعر فى بيت واحد» ـ ليست هذه القولة مسلمة، وخاصة بالنسبة لما كتبه الأستاذ الفاتح ابراهيم احمد فى الورقة الأخيرة من «الدوحة» ـ عدد ٦٢ ـ إذ تحدث عن مسرحية «بيجماليون» لبرناردشو، والقى نظرات إعجاب على مضمونها وموضوعها الذى يقول إن بطلة المسرحية التى اجريت عليها التجربة لنقلها من حال الجهل والابتذال فى النطق والكلام الى حال الرقى ـ كانت قبل التعليم فى حكم الميتة فلم تواجهها متاعب الحياة، ولكن بعد أن تعلمت واجهت متاعب كثيرة، لما أثاره التعليم وما أججه فى نفسها من تفاعلات ادت الى تغيير نظراتها وموقفها من الحياة. ثم قال الأخ الفاتح ان هذا المعنى انعكس فى بيت واحد للمتنبى هو:

ذو العلم يشقى فى النعيم بعقله
واخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

ولكى يصل الى قولة العقاد التى حكاها وصف البيت بانه «ومضة مشرقة فى بيت واحد تعبر عما تعجز الرواية أن تعبر عنه إلا فى مئات من الصفحات».

والواقع أن المسرحية لم ترد أن تقول ذلك فى ومضة وعجزت.. وما كان لها ولا لغيرها من القصص ان تفعل، وإنما أرادت أن تجسد المعنى المقصود بتصوير حياة البطلة وما جرى لها، ولم يكن هذا التجسيد «خشباً» بل كان حلاوة يستمتع بها القارىء على طول الصفحات، ولم «تعجز» المسرحية عن ان تقول شيئاً فى ومضة.. وليس من شانها ان تفعل، بل يقتضى الفن القصصى ـ ككل فن ـ ان تبث ما تقول فى تضاعيف التصوير، ولو قالته مباشرة فى ومضة كما قال الشاعر لكان ذلك عيباً كبيراً، إذ يعد من المباشرة التى تفسد الفن. وشعر الحكم كله يؤتى من هذه الناحية..

أرأيت لو تغذيت باقراص محضرة تمد جسمك بحاجته من الغذاء وتغنيك عن تناول الطعام العادى الشهى فى خضم وقضم ومضغ وتذوق وتلمظ؟

الرواية أو القصة او المسرحية هى التى تتيح لك ما يتيحه الطعام الشهى من متعة التذوق والتلمظ و... و... الخ، فهى «مطبوخة» لكى تستمتع بها على طول القراءة فى الصفحات الكثيرة، ثم تستخلص منها ما تستخلص، كما تستخلص الخلاصة المهضومة فى المعدة وتوابعها وتجرى هذه الخلاصة فى العروق دما يغذى سائر الأعضاء. وكان يمكن ان تستغنى عن شراء اللحم والخضر والسمن والبصل والثوم والتوابل.. الخ، وتستغنى كذلك عن الطاهى او الطاهية، أو تريح زوجتك من عناء الطهى، او توفر جهداً تبذله بنفسك... وما عليك إلا ان تاخذ اقراصاً تبلعها فى «ومضة» وينتهى الأمر.

ولا أريد بعد ان أفضل شيئاً على شىء فاقول بأن القصة أفضل من الشعر، فلكل مذاقه، ولكل حلاوته، وليس لافعل التفضيل أن يتسلل الى هنا، وما أكثر ما يتسلل فيفسد الأمور.. يبدو لى ان أفعل التفضيل لازمنا من الصغر يوم كان يقال لنا: أيهما تحب الفطير أم الشوكولاته؟

فالقصة حلوة، والشعر حلو. وإذا كان البيت الواحد يعطى درهم حلاوة فان الرواية تعطى قنطاراً من الحلاوة، ولكل حلاوته كما قلت.

العقاد عملاق فى الأدب، كما كان عملاقاً فى الجسم، وكما أطلق عليه المسلسل التليفزيونى الذى عرضته الشاشة الصغيرة من قطر. وبرغم ذلك ليس كل ما يقوله يؤخذ قضية مسلمة.

مسرحية «بيجماليون» انت قراتها يا سيد فاتح، وشاهدت الفلم «سيدتى الجميلة» الذى اخذ منها، قل لى كم استمتعت بها وكم قضيت من وقت فى هذا الاستمتاع، هل كنت تعانى خشباً ام كنت تتذوق حلاوة؟

وروايات وقصص توفيق الحكيم ونجيب محفوظ والطيب صالح وغيرهم من عمالقة القصة عرباً وغير عرب، اهذا كله خشب يفتقد الحلاوة التى تكون فى بيت شعر للمتنبى او غيره؟

أنت سودانى كريم، من البلاد التى انجبت الطيب صالح، فهل رايت الحياة السودانية المصورة المعطاة من قلمه فى «عرس الزين» و «موسم الهجرة الى الشمال»؟ هل يعطيك حلاوتها المبثوثة فى الصفحات الكثيرة العدد بيت واحد او اكثر لشاعر اى شاعر؟

والعقاد نفسه فى روايته «سارة» التى صور فيها حالة الشك: شك المحب فى حبيبه من حيث الشرك فى الحب، هل يعطيك ما اعطاه بيت أو حتى قصيدة من شعره نفسه؟

حقا ان كثيرا من الروايات والقصص هذر فى هذر.. لا تبلغ أن تكون خشباً، وكذلك الشعر، كم فيه من نظم لكلام فارغ...

والحلاوة تكون فى القصة وتكون فى الشعر، والخشب او نشارته يكون فى هذا كما يكون فى تلك.. من الخشب ما هو «فورمايكا» أثمن بكثير من بعض الشعر والقصص.

عباس خضر